أجاثا كريستي

من الذي قتل السيد روجر اكرويد

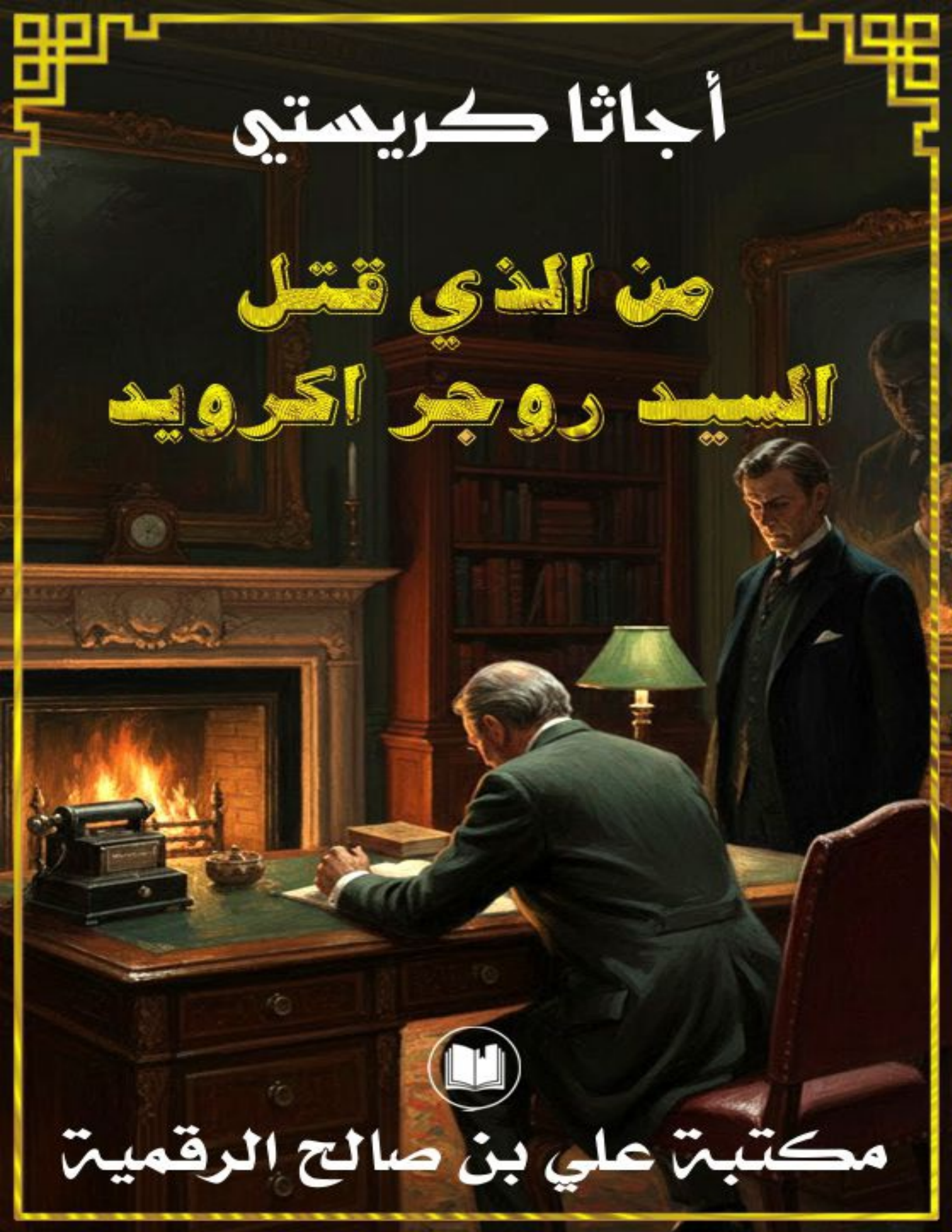

مكتبة علي بن صالح الرقمية

أجاثا كريستي

من الذي قتل السيد روجر أكرويد

رواية بوليسية

1926

كتب أونلاين
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

الفصل الأول

الدكتور شيبارد على مائدة الإفطار

توفيت السيدة فيرارز فى ليلة الخميس الموافق السادس عشر من سبتمبر، ولقد أرسلوا فى طلبى فى تمام الثامنة من صباح الجمعة، السابع عشر من سبتمبر، ولم يكن بإمكانى أن أفعل أى شىء؛ حيث كانت قد توفيت قبل حضورى بساعات.

كانت الساعة تشير إلى التاسعة وبضع دقائق عندما عدت إلى منزلى. فتحت الباب الخارجى بمفتاحى وتعمدت التمهل فى الصالة بضع لحظات لكى أعلق قبعتى والمعطف الذى رأيت من الحكمة أن أرتديه تحسباً لبرد صباح أحد أيام الخريف الأولى. وللحقيقة، فقد كنت منزعجاً وقلقاً إلى حدٍّ كبير. لن أزعم أنى ــ فى ذلك الوقت ــ كنت أتنبأ بما سيحدث خلال الأسابيع القليلة القادمة؛ فهذا لم يحدث على الإطلاق، لكنّ إحساساً بداخلى أخبرنى بأن هناك أوقاتاً مثيرة آتية.

ومن غرفة الطعام على يسارى، تناهى إلى سمعى أصوات أكواب الشاى وصوت السعال الجاف لأختى كارولين.

نادت أختى قائلة: "أهذا أنت يا جيمس"".

كان سؤالاً بلا معنى، فمن يمكن أن يكون سواى" والحقيقة أن أختى كارولين هى السبب فى تريثى فى الصالة لبعض الوقت. إن شعار عائلة النمس، كما يقول السيد كيبلينج، هو: "اذهب واعرف"، ولئن قُدِّر لكارولين أن تتخذ لنفسها شعاراً خاصاً، فإننى أرى أن يكون صورة نمس يقف على قدميه متأهباً، ويمكن للمرء أن يحذف الكلمة الأولى من الشعار؛ حيث تستطيع كارولين أن تعرف ما تريد وهى جالسة فى بيتها مطمئنة. لا أعرف كيف تقوم بذلك، لكن هذا هو ما يحدث، وأظن أن الخدم والباعة يشكلون فريق استخباراتها، وحينما تخرج كارولين من البيت، فهى لا تخرج لجمع المعلومات ولكن لتنشرها، وهى خبيرة بارعة فى هذا المجال أيضاً.

إن صفتها الأخيرة هذه هى ما جعلنى أتردد فى الدخول، فأياً كان ما سأقوله لكارولين الآن حول وفاة السيدة فيرارز، فإنه سينتشر فى أرجاء القرية خلال ساعة ونصف، وبصفتى طبيباً محترفاً، فإنه من الطبيعى أن أميل إلى التكتم، ولذلك فقد اعتدت عدم الإدلاء بالمعلومات أمام أختى كارولين قدر المستطاع، وهى عادة ما تكتشف ما أكتمه عنها من معلومات من مصادر أخرى، ولكنى

أبقى مقتنعاً ـــ من الناحية الأخلاقية ـــ بأننى لست من يفشى هذه المعلومات.

كان زوج السيدة فيرارز قد توفى قبل سنة تقريباً، وقد أكدت كارولين مراراً، ودون أى دليل يذكر، أن زوجته قد قتلته بالسم.

كانت كارولين دائماً ما تسخر من ردى الثابت بأن السيد فيرارز قد مات نتيجة لالتهاب حاد بالمعدة، والذى زاد تفاقماً من جراء إفراطه فى شرب الكحوليات، وعلى الرغم من أن أعراض التهاب المعدة لا تختلف كثيراً عن أعراض التسمم بالزرنيخ إلا أن كارولين تبنى اتهاماتها على أسباب مختلفة تماماً.

لقد سمعتها مرة تقول: "ما عليك إلا أن تنظر إليها".

ومع أن السيدة فيرارز لم تكن فى ريعان شبابها إلا أنها كانت امرأة شديدة الجاذبية، وكانت ملابسها ـ رغم بساطتها ـ تبدو دائماً أنيقة وجيدة التصميم، ومع ذلك، فإن كثيراً من النساء يشترين ملابسهن من باريس دون أن يعنى ذلك بالضرورة أنهن يقمن بتسميم أزواجهن.

وبينما أنا واقف فى الصالة متردداً، وكل هذه الأفكار تجول فى خاطرى، جاء صوت كارولين مرة أخرى بنبرة حادة وهى تقول:

"ما الذى تفعله عندك يا جيمس" لماذا لا تدخل وتتناول إفطارك"".

قلت بتعجل: "أنا قادم يا عزيزتى. كنت أعلق معطفى".

"كان بإمكانك أن تعلق دستة معاطف خلال هذا الوقت".

كانت على حق. كنت أستطيع ذلك بالفعل.

دخلت إلى غرفة الطعام وقبّلت كارولين على وجنتها كالمعتاد، ثم جلست أتناول البيض واللحم المقدد البارد.

قالت كارولين: "جاءك استدعاء مبكر، أليس كذلك"".

"نعم، إلى منزل كينج بادوك.... السيدة فيرارز".

قالت أختى: "أعرف ذلك".

"وكيف عرفت"".

"أخبرتنى آنى".

كانت آنى خادمة الاستقبال فى البيت، فتاة لطيفة ولكنها محترفة ثرثرة.

ساد الصمت فى الغرفة قليلاً، بينما واصلت أكل البيض واللحم، وارتعش أنف أختى ـ وهو أنف طويل ورفيع ـ كما هى عادتها إذا كانت منفعلة أو مهتمة بأمر ما.

سألتنى قائلة: "حسنًا، وماذا هناك"".

"أمر مؤسف. لم أستطع عمل شىء. لابد أنها ماتت أثناء نومها".

ردت أختى مرة أخرى: "أعرف ذلك".

لكنى تضايقت بالفعل هذه المرة.

صحت قائلاً: "لا يمكن أن تعرفى. أنا نفسى لم أعلم إلا بعد أن وصلت إلى هناك ولم أذكر ذلك لأى مخلوق بعد. إن كانت تلك الفتاة، آنى، قد علمت بالأمر، فلابد أنها تقرأ الطالع".

"ليست آنى هى من أخبرنى، وإنما بائع الحليب، وقد عرف بالأمر من الطاهية التى تعمل فى بيت فيرارز".

كما قلت سلفًا، لا تحتاج كارولين إلى الخروج لتحصل على المعلومات. إنها تجلس فى بيتها فتأتيها الأخبار.

أكملت كارولين متسائلة:

"ما سبب الوفاة "السكتة القلبية"".

سألتها ساخرًا: "ألم يخبرك بائع الحليب بذلك"".

ولكن السخرية تضيع سدى مع كارولين؛ فهى تأخذ الأمور على محمل الجد وتجيب وفقًا لذلك.

قالت موضحة: "لم يكن يعرف".

لابد أن تعرف كارولين بالأمر عاجلاً أو آجلاً، ولذلك فمن الأفضل أن تسمعه منى.

قلت: "توفيت نتيجة تناول جرعة مضاعفة من حبوب الفيرونال. كانت تتناولها فى الآونة الأخيرة لمعالجة الأرق، ولابد أنها أخذت جرعة كبيرة منها".

ردت كارولين على الفور: "هراء، لقد تناولتها متعمدة. هذا هو ما حدث".

من الغريب أنه عندما يكون لديك اعتقاد خاص لا تريد الإقرار به علنًا، ثم تسمع شخصًا آخر يصرح به، ترى نفسك تبادر غاضبًا إلى إنكار اعتقادك، ولذلك اندفعت صارخًا على الفور:

"ها أنت تتعجلين الحكم مرة أخرى دون سبب أو منطق. ما الذى يمكن أن يدفع السيدة فيرارز إلى الانتحار" أرملة مازالت فى شبابها، ثرية بقدر كبير، وفى كامل عافيتها، وليس هناك ما تفعله فى حياتها سوى الاستمتاع. إنه كلام سخيف".

"هذا غير صحيح. لابد أنك قد لاحظت مدى التغير الذى طرأ عليها مؤخرًا، ولقد

بدأ التغير بالازدياد خلال الأشهر الستة الماضية. كانت تبدو فريسة للكوابيس، كما أنك قد اعترفت تواً بأنها لم تكن قادرة على النوم".

سألتها ببرود: "وما تشخيصك للأمر" أظن أنها علاقة حب فاشلة، أليس كذلك"".

هزت كارولين رأسها نافية.

قالت بحماسة شديدة: "إنه الشعور بالندم".

"الندم"".

"نعم. أنت لم تصدقنى أبداً عندما أخبرتك بأنها قتلت زوجها بالسم، ولقد أصبحت الآن أكثر اقتناعاً بهذا الرأى من أى وقت مضى".

قلت معترضاً: "لا أراك منطقية تماماً. من المؤكد أن امرأة ترتكب جريمة بشعة كالقتل لابد أن تكون قاسية القلب؛ بحيث تستمتع بثمار جريمتها دون أن تتملكها عاطفة رقيقة كالندم".

هزت كارولين رأسها وقالت: "ربما توجد نساء من هذه النوعية ـــ لكن السيدة فيرارز ليست منهن. لقد كانت كتلة من المشاعر، ولقد سيطر عليها دافع قوى جعلها تتخلص من زوجها؛ لأنها من النوع الذى لا يستطيع تحمل أى نوع من المعاناة، ولاشك أن زوجة رجل مثل آشلى فيرارز لابد أن تعانى كثيراً".

أومأت برأسى موافقاً.

تابعت كارولين قائلة: "ومنذ ذلك الوقت أرّقها هاجس ما فعلته بزوجها. لا أستطيع سوى أن أشعر بالأسف من أجلها".

لا أعتقد أن كارولين قد أحست بالأسى من أجل السيدة فيرارز وهى على قيد الحياة، أما وقد رحلت الآن إلى عالم لن تحتاج فيه إلى ارتداء الملابس الباريسية، فقد أصبحت كارولين مستعدة لإظهار عواطف أكثر رقة كالشفقة والتعاطف.

أخبرتها ـ فى تأكيد ـــ بأن رأيها هذا لا معنى له، ولقد كنت أكثر حزماً فى ذلك لأننى ـــ فى قرارة نفسى ـــ كنت أتفق معها فى جزئية صغيرة مما قالته، ولكن لا يجوز أن تصل كارولين إلى الحقيقة ببساطة عن طريق ضرب من التخمين، وما كنت لأشجع مثل هذا الأمر؛ إذ إنها ستجوب القرية كلها وتذيع آراءها تلك، فيظن الناس بأن هذه الآراء تستند إلى معلومات طبية زودتها أنا بها. كم الحياة مرهقة للغاية!

قالت كارولين رداً على انتقاداتى: "هراء! وسوف ترى. أراهن على أنها قد تركت رسالة تعترف فيها بكل شىء".

قلت بحدة، دون أن أعى أين يقودنى هذا الاعتراف: "إنها لم تترك أى رسالة".

قالت كارولين: "إذن فقد سألت فعلاً عن هذا الأمر، أليس كذلك" أعتقد يا جيمس أنك ترى ما أراه تمامًا فى قرارة نفسك. يا لك من مخادع!".

قلت مستسلمًا: "يجب على المرء أخذ احتمال الانتحار بعين الاعتبار".

"هل سيتم إجراء أى تحقيق"".

"محتمل. هذا يتوقف على الظروف. إذا ما قمت شخصيًا بالتصريح بأننى مقتنع تمامًا بأنها قد أخذت الجرعة المضاعفة عن طريق الخطأ، فربما لا يتم إجراء أى تحقيق".

سألتنى أختى بدهاء: "وهل أنت مقتنع تمامًا بهذا"".

لم أجب عن سؤالها، وإنما غادرت المائدة على الفور.

الفصل الثانى

مشاهير كينج أبوت

قبل الاسترسال فى سرد ما دار بينى وبين كارولين، ربما يكون من الأولى أن أقدم لكم لمحة عن المنطقة التى نعيش فيها. تدعى قريتنا كينج أبوت، وأعتقد أنها تشبه أى قرية أخرى، والمدينة التى نتبعها تسمى كرانشستر، وتبعد عن قريتنا مسافة تسعة أميال. يوجد عندنا محطة قطار كبرى، ومكتب بريد صغير، ومتجران كبيران متنافسان، ومن عادة الشبان ترك القرية فى وقت مبكر من حياتهم، لكن قريتنا مليئة بالنساء العوانس وضباط الجيش المتقاعدين، ويمكن تلخيص هواياتنا ووسائل الترفيه لدينا فى كلمة واحدة فقط هى "النميمة".

ولا يوجد فى كينج أبوت سوى منزلين يتمتعان بشهرة حقيقية أحدهما هو كينج بادوك، الذى ورثته السيدة فيرارز عن زوجها بعد وفاته، أما الآخر فيدعى فيرنلى بارك، ويملكه روجر أكرويد، ولقد أثار أكرويد اهتمامى دائماً لكونه مثالاً نمطياً دقيقاً لمالكى الأراضى الريفية فى إنجلترا. إنه يذكرنى بأولئك الرجال الرياضيين ذوى الوجوه المتوردة، والذين دائماً ما كانوا يظهرون فى الفصل الأول من أى مسرحية غنائية تقليدية، والتى بالطبع كانت أحداثها فى قرية خضراء المروج، وعادة ما كنت تجد هؤلاء الرجال ينشدون أغنية عن الذهاب إلى لندن، أما الآن فصارت مسرحياتنا الغنائية أكثر تطوراً، ولم تعد وجوه ملاك الأراضى الريفية شيئاً مألوفاً فى المسرحيات الغنائية.

لكن روجر أكرويد لم يكن من مالكى الأراضى حقاً؛ فهو رجل صناعة ناجح جداً، وأعتقد أنه يصنع عجلات السيارات، ويبلغ أكرويد الخمسين من العمر تقريباً، وهو أحمر الوجه، حلو المعشر، ويدفع التبرعات السخية للأعمال الخيرية (رغم أن الشائعات تقول إنه بخيل للغاية فى نفقاته الخاصة) وهو أيضاً يشجع مباريات الكريكت وأندية الشباب وجمعيات الجنود المعاقين. إنه ـ فى الواقع ـ قلب وروح قرية كينج أبوت الهادئة.

عندما كان روجر أكرويد فى الحادية والعشرين من عمره وقع فى حب امرأة جميلة تكبره سناً بخمس أو ست سنوات وتزوجها. كانت تدعى باتون، وكانت أرملة ولها طفل وحيد، ولقد كان الزواج قصيراً ومؤلماً؛ فقد كانت السيدة أكروياد ـــ بصراحة مطلقة ـــ مدمنة للكحوليات، وقد استهلكت

صحتها فى الشراب حتى ماتت بعد أربع سنوات من الزواج.

وفى السنوات التى أعقبت ذلك، لم يظهر روجر أكرويد أى رغبة فى تكرار الزواج، وكان ابن زوجته من زواجها الأول فى السابعة من العمر عندما توفيت والدته، وهو الآن فى الخامسة والعشرين من العمر، ولقد كان أكرويد دائماً ما يعتبره ابناً له، وقام بتربيته على هذا النحو، لكنه كان صبياً طائشاً وكان مصدر قلق وإزعاج كبير لزوج أمه، ورغم ذلك، فقد كنا جميعاً فى قرية كينج أبوت نحب رالف باتون كثيراً، كما كان شاباً بالغ الوسامة.

وكما قلت من قبل، فإننا دائماً مستعدون للنميمة فى قريتنا، وقد لاحظ الجميع، من البداية، أن العلاقة بين أكرويد والسيدة فيرارز جيدة للغاية، وقد ازدادت علاقتهما قوة بعد وفاة زوجها. كانا يشاهدان معاً دائماً، وكان من السهل توقع أن السيدة فيرارز سوف تصبح السيدة أكرويد بعد انقضاء فترة الحداد، والحقيقة أن الجميع قد شعروا بوجود تناسب فى هذا الزواج؛ فزوجة روجر أكرويد قد توفيت نتيجة إفراطها فى الشراب، وكان آشلى فيرارز هو الآخر مدمناً للكحوليات لسنوات عديدة قبل وفاته، وكان مناسباً جداً أن يتزوج أكرويد بالسيدة فيرارز وكلاهما ضحية لمدمنى الشراب، خاصة وأنهما قد صبرا طويلاً على أذى شريكى حياتيهما السابقين.

جاءت عائلة فيرارز للعيش هنا قبل سنة واحدة فقط، لكنّ طوقاً من الشائعات كان قد أحاط بأكرويد منذ عدة سنوات؛ فقد تعاقبت سلسلة من مديرات المنزل على بيته فى الوقت الذى كان رالف يشب إلى مرحلة الرجولة، ولقد كانت كارولين ورفيقاتها ينظرن إلى كل واحدة من تلك السيدات بعين الريبة، وليس من المبالغة القول بأن القرية كلها قد توقعت ـــ خلال السنوات الخمس عشرة الأخيرة ـــ أن يعمد أكرويد إلى الزواج بواحدة من مديرات منزله، وكانت آخرهن امرأة مخيفة تدعى الآنسة راسل، والتى اشتقرت عنده خمس سنوات كاملة، وهى ضعف المدة التى قضتها أى مديرة منزل قبلها، وقد شعر الناس بأنه لولا مجىء السيدة فيرارز لما استطاع أكرويد النجاة من مخالبها. علاوة على وجود سبب آخر، وهو الوصول المفاجئ لأرملة أخيه مع ابنتها من كندا، فقد أقامت السيدة سيسيل أكرويد، وهى أرملة الأخ الأصغر الفاشل لروجر أكرويد، فى فيرنلى بارك، وقد نجحت ـ طبقاً لما تقوله كارولين ـ فى وضع الآنسة راسل فى مكانها الصحيح.

ورغم أننى لا أعرف تماماً ما المقصود بـ "المكان الصحيح"- مع أنه يبدو كمكان بارد ومؤسف ـ إلا أننى أعرف أن الآنسة راسل قد أخذت تزم شفتيها كلما راحت أو جاءت وتكتفى بما يمكن أن أصفه فقط بابتسامة لاذعة وتبدى كل شفقة على السيدة أكرويد ولسان حالها

يقول: "كم هى مسكينة السيدة أكرويد ـــ إنها تعتمد على صدقة شقيق زوجها. إن خبز الصدقة مر المذاق، أليس كذلك؟ كم كان حالى سيكون مؤسفاً لو أننى لا آكل

من كسب يدى".

لا أدرى كيف كانت السيدة سيسيل تنظر إلى علاقة أكرويد بالسيدة فيرارز عندما تطرح على مائدة البحث، ومن الواضح أن بقاء السيد أكرويد دون زواج كان من مصلحتها، وقد كانت دائمًا لطيفة ــ إن لم نقل بالغة اللطف ــ مع السيدة فيرارز عندما تلتقيان، لكن كارولين تقول إن ذلك لا يثبت شيئًا على الإطلاق.

كانت تلك الأحاديث هى شغلنا الشاغل فى القرية خلال السنوات القليلة الماضية، ولقد ناقشنا أكرويد وعلاقاته من كل الجوانب، وقد أخذت السيدة فيرارز مكانها المناسب فى تلك النقاشات.

أما الآن فيتم إعادة ترتيب للمشهد، فقد انتقلنا من الأحاديث التافهة حول هدايا الزفاف المتوقعة إلى خضم مأساة مروعة.

وبعدما قلبت التفكير فى هذا الأمر وفى أمور أخرى مختلفة انتقلت بصورة آلية إلى عملى. لم تكن لدى أية حالات مرضية تتطلب منى اهتمامًا خاصًا، وربما كان ذلك أفضل لأن أفكارى كانت تعود إلى لغز وفاة السيدة فيرارز باستمرار. أتراها انتحرت بالفعل؟ لو كانت فعلت ذلك، فبالتأكيد كانت ستترك رسالة وراءها تقول فيها ما كانت تفكر به. فحسب خبرتى، فإن المرأة عندما تقدم على الانتحار فإنها ـ فى العادة ـ تحب كشف الحالة النفسية التى دفعتها إلى القيام بذلك الفعل الرهيب. إن النساء دائمًا ما تتوق إلى جذب الأضواء والاهتمام.

متى رأيتها آخر مرة؟ لم يمض على ذلك سوى أسبوع. لقد بدت طبيعية آنذاك إذا ما أخذنا بعين الاعتبار... إذا ما أخذنا بعين الاعتبار كل الظروف.

ثم تذكرت ـ فجأة ـ أننى رأيتها أمس فقط رغم أننى لم أتحدث إليها. كانت تسير مع رالف باتون ولقد فُوجئتُ بذلك لأننى لم أكن أعرف أنه موجود بالقرية، والحق أننى ظننت أنه قد تشاجر مع زوج والدته شجاراً نهائيًا، فلم يره أحد هنا منذ ستة أشهر تقريبًا. كانا يمشيان جنبًا إلى جنب وكانت تتكلم بجدية.

أظن أننى أستطيع القول باطمئنان إننى قد شعرت بنذير شؤم يجتاحنى فى تلك اللحظة بالذات. لم يكن فى الأمر شىء ملموس بعد، ولكنه كان نذيراً غامضًا تجاه الطريقة التى كانت تترتب بها الأحداث؛ إذ لم يعجبنى ذلك الحديث المتبادل بين رالف باتون والسيدة فيرارز.

كنت لا أزال أفكر فى ذلك الأمر عندما تقابلت مع روجر أكرويد وجهًا لوجه.

صاح قائلاً: "شيبارد! إنك الشخص الذى كنت أبحث عنه تمامًا. يا له من أمر فظيع!".

"إذن فقد سمعت بالخبر!".

أومأ برأسه، ورأيت أنه قد تأثر كثيراً بهذه الصدمة، فقد بدت وجنتاه الحمراوان متهدلتين، وبدا أشبه بحطام ذلك الرجل المرح الذى كان عليه من قبل.

قال بهدوء: "الأمر أسوأ مما تظن. اسمع يا شيبارد، يجب أن أتحدث معك. هل يمكنك العودة معى الآن؟".

"لا أظن. هناك ثلاثة مرضى يجب أن أذهب لرؤيتهم، كما يجب أن أعود فى الساعة الثانية عشرة لأرى مرضى العيادة".

"إذن عصر اليوم... كلا، الأفضل أن نتناول العشاء معًا الليلة. الساعة السابعة والنصف، هل يناسبك هذا الوقت؟".

"نعم، يمكننى ذلك، ولكن ما الخطب؟ أهو رالف؟".

لا أعرف لماذا قلت ذلك، باستثناء أن المشاكل كانت غالبًا بسبب رالف.

حدق أكرويد إلىّ وكأنه لم يفهم ما قلته، فبدأت أدرك وجود شىء غير طبيعى دون ريب؛ فأنا لم أشاهد أكرويد على هذا القدر من الانزعاج من قبل.

قال وهو شارد الذهن: "رالف؟ كلا، ليس رالف. رالف موجود فى لندن... تبًا! إن الآنسة جانيت تتجه نحونا. لا أريد التحدث معها بخصوص هذا الأمر المروع. أراك هذه الليلة يا شيبارد، الساعة السابعة والنصف".

أومأت له برأسى فذهب مسرعًا وتركنى أتساءل فى حيرة. رالف فى لندن؟ ولكنه كان فى القرية بالتأكيد بعد ظهر الأمس. لابد أنه عاد إلى المدينة فى الليلة الماضية أو فى وقت مبكر من صباح اليوم، ومع ذلك كانت ملامح أكرويد تعطى انطباعًا مختلفًا تمامًا، لقد تكلم كأن رالف لم يأت للمدينة منذ شهور.

لم يكن الوقت كافيًا للتفكير فى هذا الأمر؛ فقد انقضت علىّ الآنسة جانيت متعطشة للمعلومات. كانت الآنسة جانيت تتحلى بجميع صفات كارولين ولكنها كانت تفتقد ذلك الحدس الذى لا يخطئ فى القفز إلى النتائج، وهو ما يضفى لمسة من العظمة على مناورات كارولين. كانت الآنسة جانيت تلهث وتتساءل.

"أليس مؤسفًا ما حدث للسيدة فيرارز المسكينة؟ كثير من الناس يقولون إنها تتعاطى المخدرات منذ سنوات. يا للطريقة البشعة التى يتحدث الناس بها! وأسوأ ما فى الأمر هو أن بعض الحقيقة عادة ما توجد وراء هذه الأقوال القاسية. لا دخان بلا نار، كما يقولون. إنهم يقولون أيضًا إن السيد أكرويد قد اكتشف هذا الأمر ففسخ الخطوبة "لأنهما كانا مخطوبين بالفعل، كانت الآنسة جانيت تمتلك دليلاً دامغًا على ذلك. وبالطبع، كان يفترض بى أن أعرف كل شىء عن الأمر؛ فالأطباء دائمًا يعرفون، لكنهم لا يبوحون أبدًا بما يعرفونه!

كانت الآنسة جانيت تتكلم معى وهى تتفرسنى بعينين براقتين حادتين لترى رد

فعلى على هذه الافتراضات، ولحسن الحظ فإن طول اعتيادى على كارولين قد جعلنى أحافظ على مظهر جامد وأن أكون مستعداً للرد بعبارات قصيرة لا يفهم منها شىء.

وبهذه المناسبة هنأت الآنسة جانيت على إحجامها عن المشاركة فى أحاديث النميمة البغيضة، ورأيت ذلك هجوماً معاكساً متقناً من طرفى، وقد أصابها ذلك بالحيرة، وقبل أن تستجمع قواها مرة أخرى، كنت قد أسرعت بالفرار من أمامها.

عدت إلى البيت مستغرقاً فى التفكير لأجد عدة مرضى فى انتظارى بالعيادة.

وعندما ظننت أننى قد صرفت آخرهم وهيأت نفسى لنزهة تأملية فى الحديقة لعدة دقائق قبل ساعة الغداء، أدركت أن مريضة أخرى كانت فى انتظارى. نهضت من مكانها وتحركت تجاهى بينما وقفت مندهشاً بعض الشىء.

ولست أدرى لماذا شعرت بالاندهاش، باستثناء أن شكل الآنسة راسل كان دائماً ما يوحى بالصلابة والقوة، إذ بدت ـ بشكل ما ـ أقوى من علل الجسم وأمراضه.

كانت مديرة منزل أكرويد امرأة طويلة، جميلة الوجه، رغم ملامحها الحادة، وكانت ذات عينين قويتين وشفتين مزمومتين، وخطر ببالى أننى لو كنت خادماً يعمل تحت إمرتها، كنت سأفر للنجاة بحياتى كلما أراها تقترب.

قالت الآنسة راسل: "صباح الخير يا دكتور شيبارد. سأكون ممتنة لو ألقيت نظرة على ركبتى".

ألقيت نظرة على ركبتها، ولكننى فى الحقيقة لم أر ما يسوء. كان حديثها عن آلام غامضة فى ركبتها غير مقنع إلى حد كاد يجعلنى أشك، لولا استقامة شخصيتها، بأن القصة كلها ملفقة، وخطر لى لوهلة أن الآنسة راسل ربما تعمدت اختراع قصة آلام ركبتها لكى تنتزع منى معلومات عن موضوع وفاة السيدة فيرارز، لكنى أدركت أننى قد أسأت الحكم عليها فى الحال؛ إذ لم تشر إلى الحادث إلا إشارة عابرة ولم تزد على ذلك شيئاً، ومع ذلك بدت ميالة للتمهل والثرثرة.

وأخيراً قالت: "شكراً جزيلاً على زجاجة المرهم يا دكتور، رغم أنى لا أظن أنها ستفيدنى بشىء".

لم أكن أظن ذلك أنا الآخر ولكنى اعترضت بدافع من الواجب؛ إذ إن المرهم فى نهاية الأمر، لن يضرها بشىء، كما أن المرء ملزم بالدفاع عن عدة عمله.

قالت الآنسة راسل باستخفاف، وهى تقلب عينيها فى العدد الكبير من زجاجات الأدوية: "أنا لا أومن بكل هذه العقاقير. إنها تسبب ضرراً كبيراً. خذ عادة إدمان الكوكايين مثلاً ـــ".

"حسناً، بالنسبة لهذا الأمر ـــ".

"إنها شائعة جداً فى المجتمع الراقى".

أنا على يقين من أن الآنسة راسل تعرف عن المجتمع الراقى أكثر مما أعرفه بكثير، ولذلك لم أحاول مجادلتها.

قالت: "أرجو أن تخبرنى يا دكتور؛ لنفترض أن المرء قد أصبح عبداً لإدمان المخدرات، فهل يوجد علاج لذلك؟".

لا يمكن للمرء الإجابة عن سؤال كهذا بشكل عابر، ولذا أعطيتها محاضرة قصيرة حول هذا الموضوع وكانت تصغى إلىّ باهتمام شديد، وإن كنت لا أزال أشك فى أنها تسعى للحصول على معلومات عن السيدة فيرارز.

ثم تابعت قائلاً: "الفيرونال على سبيل المثال ـــ".

لكن الغريب أنها لم تبد مهتمة بالفيرونال، وبدلاً من ذلك فقد غيرت موضوع الحديث وسألتنى عن حقيقة وجود أنواع معينة من السموم النادرة التى يصعب كشفها.

قلت: "آه، لقد كنت تقرئين روايات بوليسية!".

اعترفت بأنها كانت تقرأ مثل هذه الروايات.

فقلت لها: "إن جوهر الرواية البوليسية هو سم نادر لم يسمع به أحد من قبل، من أمريكا الجنوبية إن أمكن، وتستخدمه قبيلة مجهولة من المتوحشين لتسمم سهامها به، وهو يؤدى إلى الوفاة على الفور ويقف العلم الغربى عاجزاً عن كشفه. أهذا ما تقصدينه؟".

"نعم. هل يوجد شىء كهذا حقّاً؟".

هززت رأسى آسفاً.

ثم قلت: "أخشى أنه لا يوجد شىء كهذا، وإن كانت توجد بعض السموم بالطبع...".

بدأت أحدثها بشكل مطول عن السموم النادرة، ولكن يبدو أنها فقدت اهتمامها بالأمر مرة أخرى، ثم سألتنى إن كنت أحتفظ بشىء من السموم النادرة فى خزانة السموم عندى، وعندما أجبتها بالنفى بدا لى أن منزلتى قد ضعفت فى نظرها.

وأخيراً استأذنتنى بالعودة وودعتها عند باب العيادة عندما رن جرس المنزل معلناً حلول وقت الغداء.

ما كنت أتخيل أبداً أن للآنسة راسل ولعاً بالروايات البوليسية، ولقد استمتعت كثيراً وأنا أتخيلها تخرج من غرفتها لتوبخ خادمة مقصرة فى عملها ثم تعود لتتابع بارتياح رواية لغز القتيل السابع، أو شيئاً من هذا القبيل.

الفصل الثالث

الرجل الذي يزرع الخضراوات

أخبرت كارولين ونحن نتناول الغداء بأننى سأتعشى الليلة فى فيرنلى بارك، ولم تبد أى اعتراض ـــ بل كان رد فعلها عكس ذلك تماماً.

قالت: "رائع! سوف تسمع كل شىء عن الأمر. بالمناسبة، ما هى مشكلة رالف؟".

قلت وقد تفاجأت بسؤالها: "رالف؟ لا توجد أى مشكلة".

"إذن لماذا يقيم فى فندق ثرى بورز بدلاً من فيرنلى بارك؟".

لم أشك للحظة فى صحة هذه المعلومات عن إقامة رالف باتون فى أحد الفنادق المحلية؛ إذ يكفينى دليلاً أن تقول كارولين ذاك.

"أخبرنى أكرويد بأنه كان فى لندن "، هكذا قلت، وقد جعلتنى المفاجأة أتخلى عن قاعدتى القيمة التى تنص بألا أبوح بمعلومات.

صاحت كارولين: "هكذا "، ثم رأيت أرنبة أنفها ترتجف وهى تعمل ذهنها فى هذه المعلومة.

قالت: "لقد وصل إلى فندق ثرى بورز صباح أمس، ومازال هناك، ولقد خرج الليلة الماضية بصحبة إحدى الفتيات".

لم يفاجئنى هذا على الإطلاق؛ إذ إن رالف يخرج بصحبة فتيات فى معظم لياليه، ولكن ما حيرنى هو اختياره لقريتنا مكاناً لمغامراته العاطفية بدلاً من المدينة الصاخبة.

سألتها: "أكانت إحدى العاملات فى الحانة؟".

"كلا، وهنا تكمن المعضلة؛ فقد خرج لمقابلتها، ولا أعرف من تكون".

(من الصعب على كارولين أن تضطر إلى مثل هذا الاعتراف).

وأكملت أختى التى لا تعرف التعب كلامها قائلة: "ولكننى أستطيع التخمين "، وانتظرتها فى صبر.

فقالت: "ابنة عمه".

صحت فى دهشة: "فلورا أكروید؟".

لا توجد ــ طبعًا ــ علاقة قرابة حقيقية بين فلورا أكروید ورالف باتون، ولكن رالف اعتُبر منذ سنوات طويلة ابنًا لأكروید، ولذلك اعتبر الجميع قرابتهما أمرًا مسلمًا به.

قالت كارولين: "نعم، فلورا أكروید".

"ولكن لماذا لم يذهب إلى فيرنلى إذا كان يريد رؤيتها؟".

ردت كارولين باستمتاع كبير: "لأنهما مخطوبان سرًا، وأظن أن أكروید غير موافق على تلك الخطبة، ولذلك فهما مضطران للقاء بهذه الطريقة".

رأيت كثيرًا من الخلل فى نظرية كارولين، ولكنى أحجمت عن الإشارة إلى ذلك، وكان من شأن ملاحظة بريئة قلتها عن جارنا الجديد أن تغير الموضوع.

البيت المجاور لنا، ويسمى منزل لارشيز انتقل إليه مؤخرًا رجل غريب عن القرية، وما أثار فى كارولين بالغ الانزعاج أنها لم تستطع معرفة أى شىء عنه سوى أنه أجنبى، ولقد أثبت جهاز مخابراتها فشله الذريع، وعلى الرغم من أن هذا الشخص من المفترض أنه يشترى اللبن والخضار واللحوم ـ كأى شخص فى القرية ـ إلا أن أحدًا ممن تقتضى أعمالهم تزويده بهذه الأشياء لم يستطع الحصول على أية معلومات عنه. يبدو ظاهريًا أن اسمه هو السيد بوارو، وهو اسم يوحى بإحساس غريب من عدم الواقعية. الشىء الوحيد الذى نعرفه عنه هو اهتمامه بزراعة القرع.

لكن هذه المعلومة ليست ما تسعى كارولين إلى معرفته بالتأكيد. إنها تريد معرفة من أين أتى، وماذا يعمل، وهل هو متزوج أم لا، ومن زوجته، وما صفاتها، وهل له أولاد، وما اسم أمه قبل الزواج؟... وهكذا. لاشك أن شخصًا مثل كارولين هو الذى اخترع الأسئلة التى تكتب فى جواز السفر!

قلت: "يا عزيزتى، لا يوجد شك على الإطلاق بخصوص مهنة الرجل. إنه حلاق متقاعد... انظرى إلى شاربه".

عارضتنى كارولين فى هذا الأمر، وقالت إن الرجل لو كان حلاقًا لكان شعره مموجًا وليس مستويًا، فكل الحلاقين هكذا.

استشهدت بالكثير من الحلاقين الذين أعرفهم ولهم شعر مستوٍ لكن كارولين رفضت أن تقتنع.

قالت بصوت حزين: "لا أستطيع فهم هذا الرجل. لقد استعرت منه أمس بعض أدوات الحديقة، وكان فى غاية الأدب، ولكننى لم أستطع الحصول منه على أى معلومة، وفى نهاية الأمر سألته صراحة ودون مواربة إن كان فرنسيًا، فأجابنى بأنه ليس فرنسيًا... وبشكل ما لم أشأ أن أوجه مزيدًا من الأسئلة إليه".

بدأت تدريجيًا أهتم بجارنا الغامض. لابد أن رجلاً يستطيع إسكات كارولين وإعادتها خاوية الوفاض من حيث أتت لابد أنه يتمتع بشخصية متميزة.

قالت كارولين: "أظن أن لديه واحدة من تلك المكانس الكهربية الجديدة".

رأيت فى عينيها مشروع استعارة وفرصة لمزيد من الأسئلة يتم التخطيط لها، ثم جاءتنى فرصة للهروب إلى الحديقة؛ فأنا أحب العمل فى الحديقة. وعندما كنت مشغولاً فى استئصال جذور بعض النباتات الضارة سمعت صرخة تحذير من مكان قريب وصوت جسم ثقيل يئز قرب أذنى ثم يسقط عند قدمى بقوة. كانت حبة من القرع!

رفعت وجهى غاضبًا فرأيت وجهًا يطل من أعلى الجدار إلى يسارى، ورأسًا بيضاوى الشكل مكسواً بشعر أسود كثيف يثير الريبة وعلى الوجه شاربان كبيران وعينان يقظتان تحدقان. كان ذلك هو جارنا الغامض السيد بوارو.

وعلى الفور تدفقت كلمات الاعتذار على لسانه.

"أرجو المعذرة يا سيدى، رغم أنه لا عذر لما فعلته. إننى أزرع القرع منذ بضعة أشهر، وفجأة غضبت من حبة القرع هذا الصباح فقذفتها بعيداً، وللأسف أمسكت بأكبر حبة فيها فقذفتها فوق الحائط! إننى خجل منك يا سيدى. اعذرنى".

كان غضبى قد هدأ قبل سيل الاعتذارات هذا، إلى جانب أن حبة القرع المسكينة لم تصبنى، ولكنى كنت أرجو ــ مخلصاً ــ ألا يكون إلقاء الخضراوات الكبيرة من فوق الجدران هواية من هوايات جارنا الجديد، فتلك عادة لا تجعله جاراً محبباً للنفس.

بدا كأن الرجل الغريب الضئيل قد قرأ أفكارى.

صاح قائلاً: "كلا، لا تقلق. إنها ليست إحدى عاداتى، لكنك تستطيع أن تتخيل أن الرجل منا قد يعمل للوصول إلى هدف معين، ويكدح لكسب نوع من الراحة أو التفرغ لهواية معينة، ثم يكتشف أنه ــ فى نهاية الأمر ــ يتوق إلى أيام الانشغال التى مضت وإلى وظيفته القديمة التى ظن أنه سعيد لتركها.

قلت ببطء: "نعم، أظن أنها ظاهرة شائعة. أنا نفسى مثال على ذلك، فقبل سنة حصلت على ميراث يكفى لتحقيق أحلامى، ولقد أحببت دوماً السفر لرؤية العالم. كان ذلك قبل عام كما قلت... ولكنى مازلت هنا!".

أومأ جارى الضئيل برأسه.

ثم قال: "إنها قيود العادة. نحن نعمل لتحقيق غرض معين، وعندما نحققه نجد أن ما نفتقده هو العمل اليومى... وأريد أن ألفت انتباهك يا سيدى إلى أن عملى كان مثيراً؛ بل إنه أكثر الأعمال إثارة فى العالم".

قلت مشجعاً: "صحيح؟"، وفى تلك اللحظة سرت فى نفسى روح كارولين

وحيويتها.

أما جارى فقد قال موضحًا: "كان عملى هو دراسة الطبيعة البشرية يا سيدى!".

قلت بلطف: "شىء جميل".

واضح أنه حلاق متقاعد. من يعرف أسرار الطبيعة البشرية أكثر من الحلاقين؟

"إلى جانب أنه كان لدى صديق ــ صديق لم يفارقنى لسنوات عديدة. كانت تنتابه أحيانًا حماقة تخيف المرء، ومع ذلك كان عزيزًا علىّ كثيرًا. تصور أننى أفتقد حماقته وغباءه. أفتقد سذاجته ونظرته البريئة النزيهة للأشياء، وأفتقد سرورى من إدهاشه وإسعاده بمواهبى الفائقة... كل هذه الأشياء أفتقدها بطريقة لا أستطيع وصفها لك".

تساءلت فى تعاطف: "هل مات؟".

"لا. إنه حى يرزق... ولكنه فى الجانب الآخر من العالم. إنه الآن يعيش فى الأرجنتين".

قلت بلهجة حسد: "فى الأرجنتين؟!".

دائمًا ما كنت أرغب فى السفر إلى أمريكا الجنوبية. تنهدت فى حسرة، ثم رفعت بصرى لأجد السيد بوارو ينظر إلى بعين العطف. بدا رجلاً متفهمًا.

ثم سألنى: "أتحب أن تذهب إلى هناك؟".

تنهدت وهززت رأسى أسفًا.

ثم قلت: "كنت أستطيع ذلك قبل سنة، ولكنى كنت أحمق ـ أكثر من أحمق ـ كنت جشعًا، لقد جازفت بكل ما فى يدى سعيًا وراء السراب".

قال السيد بوارو: "فهمت. هل ضاربت فى البورصة؟".

أومأت برأسى أسفًا، ولكنى شعرت ــ رغمًا عنى وفى قرارة نفسى ــ بأننى موضع حفاوة. إن هذا الرجل الضئيل ذا المظهر السخيف جاد فى اهتمامه.

ثم سألنى فجأة: "هل كانت مضارباتك فى حقول نفط بوركيوبين؟".

حدقت إليه مندهشًا.

ثم قلت: "فى الواقع لقد فكرت فى المضاربة فيها لكنى عدلت عنها إلى المضاربة فى منجم ذهب فى غرب أستراليا".

كان جارى يتفحصنى بنظرات غريبة لم أفهمها.

وأخيرًا قال: "إنه القدر".

سألته بانفعال: "ما القدر؟".

"قدرى أن أعيش بجوار رجل يفكر ـــ جاداً ـــ فى الاستثمار فى حقول نفط بوركيوبين ومناجم الذهب فى غرب أستراليا. قل لى، هل أنت مولع بالشعر الكستنائى أيضاً؟".

حدقت إليه مشدوهاً فانفجر ضاحكاً.

قال: "كلا، كلا، لست أعانى من الجنون. هوّن عليك. كان سؤالاً أحمق هذا الذى سألتك إياه؛ لأن صديقى الذى حدثتك عنه كان رجلاً شاباً، وكان يعتقد أن جميع النساء طيبات ويرى معظمهن جميلات، ولكنك رجل فى أوسط عمرك، طبيب، رجل يعرف تفاهة وزيف الكثير من الأشياء فى حياتنا هذه. حسناً، حسناً، نحن جيران. أرجو أن تتقبل منى أفضل حبة قرع عندى وتهديها إلى أختك الرائعة".

ثم انحنى أمامى وأخرج بحفاوة حبة قرع ضخمة، وقبلتها منه بنفس الود الذى قدمها لى به.

قال الرجل الصغير مبتهجاً: "الحق أن صباحى لم يضع هباء؛ فقد تعرفت على رجل يشبه إلى حد كبير صديقى البعيد. بالمناسبة، أريد سؤالك عن شىء. لاشك أنك تعرف كل من فى هذه القرية الصغيرة. من ذلك الشاب أسود الشعر والعينين ذو الوجه الوسيم؟ ذلك الذى يمشى مرفوع الرأس وعلى شفتيه ابتسامة عفوية؟".

لم يكن هناك شك فى صاحب هذا الوصف.

قلت ببطء: "لابد أنه الكابتن رالف باتون".

"لم أره هنا من قبل".

"إنه لم يأت إلى هنا منذ فترة من الزمن. إنه ابن السيد أكرويد، صاحب منزل فيرنلى بارك أو بالأحرى ابن زوجته".

أشار جارى بيده إشارة تبرم خفيفة.

"بالطبع، كان علىّ أن أخمن ذلك؛ لقد تحدث عنه السيد أكرويد كثيراً".

قلت وقد فاجأتنى إجابته قليلاً: "أتعرف السيد أكرويد؟".

"لقد قابلت السيد أكرويد فى لندن، عندما كنت أعمل هناك، ولكنى طلبت منه ألا يبوح بشىء عن مهنتى هنا".

رأيت فى ذلك تبجحاً واضحاً أثار اهتمامى، ولكنى اكتفيت بالقول: "فهمت".

لكن الرجل الصغير واصل حديثه بابتسامة متكلفة قائلاً:

"إننى أفضل أن أبقى مجهولاً، ولست أسعى إلى الشهرة، بل إننى لم أكلف نفسى

عناء تصحيح اسمى الذى ينطقه أهل القرية بطريقة خاطئة".

قلت دون أن أعرف تمامًا ما يجب قوله: "بالفعل".

تمتم السيد بوارو قائلاً: "الكابتن رالف باتون. إذن فهو خطيب ابنة أخ السيد أكرويد، الآنسة فلورا الفاتنة".

سألته وقد فوجئت بكلامه كثيرًا: "من أخبرك بذلك؟".

"السيد أكرويد، قبل أسبوع تقريبًا. إنه سعيد جدًا بتلك الخطبة؛ حيث كان يرغب بهذا منذ وقت طويل كما فهمت منه، حتى إننى أعتقد أنه قد ضغط على الشاب حتى يقبل بالأمر، وهو إجراء يفتقد الحكمة؛ إذ إن على الشاب أن يتزوج لكى يسعد نفسه، لا ليسعد زوج أمه لمجرد أن لديه أموالاً ستئول إليه".

اضطربت أفكارى تمامًا. لم أفهم كيف يمكن أن يبوح أكرويد لحلاق بأسراره الخاصة ويناقش معه زواج ابنة أخيه من ابن زوجته. كان أكرويد لطيف المعشر مع من هم دون منزلته، ولكنه ـ بالمقابل ـ ذو إحساس شديد بكرامته وقدره، وبدأت أفكر أن بوارو لا يمكن أن يكون حلاقًا.

وحتى أخفى ارتباكى قلت أول شىء خطر ببالى.

"ما الذى جعلك تلحظ رالف باتون؟ وسامته؟".

"لا، ليس ذلك وحده ـــ رغم أنه وسيم بشكل غير عادى بالنسبة لشاب إنجليزى ـــ بل إنه أشبه ما يكون بأبطال الإغريق الذين يصورونهم فى الروايات العاطفية. كلا، ولكنْ هناك شىء يتعلق بذلك الشاب لم أفهمه".

قال الجملة الأخيرة بنبرة تأملية غريبة أثرّت على تأثيرًا لم أدرك كنهه. كان كمن يقوم بتحليل ذلك الشاب معتمدًا على معرفة داخلية لم أكن أشاركه إياها، وقد بقى ذلك الأثر لدى؛ إذ إن كارولين نادتنى فى تلك اللحظة من داخل البيت.

عدت إلى البيت، وكانت كارولين تضع قبعتها، وبدا أنها عادت لتوها من القرية، ولقد بدأت حديثها دون مقدمات قائلة:

"لقد التقيت بالسيد أكرويد".

"حقًا؟".

"أوقفته بالطبع، لكنه كان فى عجلة من أمره، حريصًا على الهروب منى".

لم يكن عندى شك فى أنه كان كذلك، فلابد أنه قد شعر إزاء كارولين ما شعرته أنا تجاه الآنسة جانيت فى صباح ذلك اليوم ـ وربما أكثر ـــ مع الأخذ فى

الاعتبار أن التخلص من كارولين أصعب بكثير.

"سألته عن رالف على الفور، وقد ذهل تمامًا. لم يكن يعرف أن الولد كان فى القرية، وقد قال إنه يظن أننى مخطئة. تصور... أنا مخطئة!".

قلت: "يا للسخافة! يفترض فيه أن يعرفك أفضل من ذلك".

"ثم أخبرنى بأن رالف وفلورا مخطوبان".

قاطعتها فى قليل من تفاخر: "لقد عرفت ذلك أيضًا".

"من أخبرك؟".

"جارنا الجديد".

ترددت كارولين أمام هذا الخبر لحظة كما تتردد كرة البلياردو قبل السقوط فى الفتحة، ولكنها ما لبثت أن تجاهلت هذا الطعم الجديد.

ثم قالت: "ولقد أخبرت السيد أكرويد بأن رالف كان يقيم فى فندق ثرى بورز".

صحت قائلاً: "كارولين، ألم تفكرى بأنك قد تسببين أذى بعادتك هذه فى ترديد كل شىء دون تمييز؟".

"هراء، يجب أن يعرف الناس الأخبار. أرى أن من واجبى إخبارهم، ولقد امتنّ السيد أكرويد لى كثيرًا".

بدا واضحًا أن لدى كارولين المزيد، فقلت: "حسنًا، وماذا بعد؟".

"أظن أنه قد ذهب إلى الفندق مباشرة، ولكنه لن يجد رالف هناك على أية حال".

"لن يجده؟".

"نعم؛ لأننى عندما كنت عائدة عبر الغابة...".

قاطعتها قائلاً: "أعدت عبر الغابة؟".

تنازلت كارولين وسمحت لوجهها أن يحمر خجلاً.

ثم صاحت قائلة: "كان يومًا رائعًا ورأيت أن أتجول قليلاً. إن الغابة جميلة فى مثل هذا الوقت من السنة بألوانها الخريفية".

لم تكن كارولين تهتم بالغابات فى أى وقت من أوقات السنة، وعادة ما تعتبرها أمكنة تتوحل فيها الأقدام وتسقط فيها كل الأشياء الكريهة على رأس المرء. كلا، إن ما دفعها إلى الغابة هى غريزة النمس التى تمتلكها؛ فالغابة هى المكان الوحيد القريب من قرية كينج أبوت الذى يستطيع فيه الرجل أن يتحدث إلى رفيقته بعيداً عن أعين سكان

القرية، إلى جانب أنها تجاور منزل فيرنلى بارك.

قلت: "حسنًا، أكملى".

"كما كنت أقول، كنت عائدة من خلال الغابة عندما سمعت أصواتًا".

ثم سكتت كارولين.

"وماذا بعد؟".

"كان أحدهما هو صوت رالف باتون... عرفته على الفور، وأما الصوت الآخر فكان صوت فتاة. أنا لم أقصد الإصغاء إليهما طبعًا...".

قاطعتها بسخرية واضحة لم تكن تنفع مع كارولين على أية حال: "بالطبع لم تقصدى".

"ولكنى لم أملك إلا سماع ما تناهى إلى أذنى. قالت الفتاة شيئًا... لكنى لم أفهم ما قالته بالضبط، وأجابها رالف، الذى بدا غاضبًا بقوله: "يا عزيزتى، ألا تدركين أن الرجل العجوز قد يحرمنى من الميراث؟ لقد كان منزعجًا منى طوال السنوات القليلة الماضية، وأى تصرف آخر سيقضى على آمالى، ونحن بحاجة إلى النقود يا عزيزتى. سأصبح غنيًا جدًا عندما يموت العجوز. إنه بخيل للغاية، ولكنه يتقلب فى الثراء ولا أريده أن يغير وصيته. اتركى الأمر لى ولا تقلقى". كانت تلك هى كلماته بالضبط، أتذكرها تمامًا، ولسوء الحظ داست قدمى على غصن جاف فأحدث صوتًا، فخفضا صوتيهما وابتعدا، ولم أستطع ـ بالطبع ـ اللحاق بهما حتى أعرف من الفتاة".

قلت: "لابد أن ذلك أثار حنقك كثيرًا، وأظنك قد هرعت إلى الفندق وأحسست بالدوار فدخلت إلى المقهى لتناول كأس من الليمون ولكى تتأكدى أن النادلتين العاملتين فيه موجودتان".

قالت كارولين دون تردد: "لم تكن الفتاة التى بصحبته نادلة. الحقيقة هى أننى أكاد أكون واثقة من أنها فلورا أكرويد، إلا أن...".

وافقتها قائلاً: "إلا أن هذه الفرضية لا تبدو ذات معنى".

"ولكن لو لم تكن فلورا، فمن تكون إذن؟".

ثم راجعت كارولين ـ بسرعة ـ قائمة بأسماء الفتيات اللاتى يعشن بالقرب منا، مع كثير من الأسباب التى تدعم شكها فى إحدى الفتيات

أو استبعادها لأخرى.

وعندما سكتت لتلتقط أنفاسها تذرعت بوجود مريض أريد زيارته وتسللت خارجًا من البيت.

اعتزمت الذهاب إلى فندق ثرى بورز، فمن المرجح أن يكون رالف باتون قد عاد إلى الفندق الآن.

كنت أعرف رالف جيداً، وربما أكثر من أى شخص آخر فى القرية؛ لأنى كنت أعرف والدته من قبل ولذلك كنت أفهم فيه أشياء تحير الآخرين. كان رالف ــ إلى حد ما ــ ضحية الوراثة. لم يرث عن والدته الميل القاتل إلى الشراب، ولكنه كان يحمل فى داخله شيئًا من ضعفها، وكما وصفه صديقى الجديد صباح اليوم، كان شديد الوسامة، يتجاوز طوله مائة وثمانين سنتيمتراً وجسمه متناسب مع طوله، وله قوام رياضى طبيعى. كان، مثل والدته، ذا شعر داكن، وأما وجهه الذى لوحته الشمس فكان مستعداً دوماً للإشراق بابتسامة. كان رالف أحد هؤلاء الذين ولدوا لكى يسحروا الناس بسهولة ودون تكلف. كان منغمساً فى الملذات ولا يعبأ بشىء من هموم الحياة، لكنه

كان محبوباً وكان جميع أصدقائه مخلصين له.

هل باستطاعتى مساعدة الفتى؟ رأيت أننى أستطيع.

عندما سألت عنه فى الفندق أخبرونى بأنه قد وصل لتوه فصعدت إلى غرفته ودخلت دون استئذان.

وللحظات، ولأنى تذكرت ما سمعته وما رأيته، فقد شككت فى حسن استقباله لى، ولكن لم تكن هناك حاجة لهذا الشك.

فقد استقبلنى قائلاً: "من؟ شيبارد! كم تسرنى رؤيتك!".

ثم تقدم للقائى مادًا يده لمصافحتى وقد أضاءت وجهه ابتسامة جميلة وهو يضيف:

"أنت الوحيد الذى تسعدنى رؤيته فى هذه القرية المقيتة".

رفعت حاجبى فى دهشة.

"وماذا فعلت القرية لك؟".

أطلق ضحكة تنم عن الضجر ورد قائلاً:

"إنها قصة طويلة. الأمور لا تسير على ما يرام معى يا دكتور. هل تريد بعض الشراب؟".

"لا بأس بذلك، شكراً لك".

قرع الجرس ثم عاد وألقى بنفسه على كرسى.

قال عابساً: "لا أريد تزويق الكلام؛ فأنا فى ورطة كبيرة. الواقع أننى لا أعرف ماذا أفعل".

سألته متعاطفاً: "ما الخطب؟".

"إنه زوج أمى البغيض".

"وما الذى فعله؟".

"الأمر ليس ما فعله بعد، بل ما يمكن أن يفعله".

جاء خادم الغرف وطلب رالف بعض المرطبات.

وعندما ذهب الخادم، جلس على الكرسى منحنيًا إلى الأمام وعلى وجهه أمارات العبوس.

سألته: "هل الأمر خطير إلى هذه الدرجة؟".

أومأ برأسه.

ثم قال بجدية: "إننى أواجه مشكلة عويصة هذه المرة".

أنبأتنى رنة التجهم غير المعتادة فى صوته أنه يقول الحقيقة؛ إذ إن رالف ليس بالرجل الذى يتمكن منه الحزن بسهولة.

أكمل يقول: "الواقع أننى لا أرى طريقًا أمامى... لست أرى مفرًا على الإطلاق".

قلت مترددًا: "إن كنت أستطيع المساعدة...".

لكنه هز رأسه بكل حزم.

قال: "شكرًا لك يا دكتور، لكنى لا أستطيع إقحامك فى هذا الأمر. إننى مضطر لخوض هذا الأمر وحيدًا!".

سكت بعض الوقت ثم عاد يقول بنبرة تختلف قليلاً:

"نعم؛ إننى مضطر لخوض هذا الأمر وحيدًا!".

الفصل الرابع

عشاء فى فيرنلى بارك

كانت الساعة تقترب من السابعة والنصف عندما قرعت جرس الباب الخارجى فى فيرنلى بارك، وقد فتح الخادم، باركر، الباب بسرعة مثيرة للإعجاب.

كان الجو لطيفاً فى تلك الليلة ولذلك فضلت الذهاب سيراً على الأقدام. دلفت إلى الصالة الكبيرة المربعة وساعدنى باركر فى خلع معطفى، ثم مر من جانبى سكرتير أكرويد، وهو شاب حسن المظهر يدعى ريموند، وكان فى طريقه إلى مكتب أكرويد يحمل كومة من الأوراق.

"مساء الخير يا دكتور. هل جئت لتناول العشاء أم أنها زيارة طبية؟".

كان سؤاله إشارة إلى حقيبتى السوداء التى وضعتها على خزانة الأدراج.

شرحت له أننى أتوقع استدعائى إلى حالة ولادة فى أية لحظة ولذلك جئت مستعداً للطوارئ. أومأ ريموند برأسه وذهب فى طريقه وهو ينظر إلىّ ملتفتاً ويقول:

"تفضل فى غرفة الاستقبال. أنت تعرف الطريق، وسوف تنزل السيدات بعد قليل. يجب أن آخذ هذه الأوراق إلى السيد أكرويد، وسوف أخبره بحضورك".

كان باركر قد عاد إلى عمله عند ظهور ريموند، ولذلك بقيت فى الصالة بمفردى. عدلت من وضع رابطة عنقى ونظرت فى المرآة الكبيرة التى كانت معلقة هناك ثم ذهبت إلى الباب المواجه لى مباشرة، والذى أعرف أنه الباب المؤدى إلى غرفة الاستقبال.

تنامى إلى سمعى صوت من الداخل وأنا أدير مقبض الباب، وظننته صوت إغلاق نافذة، ولقد أصغيت إلى الصوت بطريقة آلية دون أن أعير الأمر أية أهمية فى ذلك الوقت.

فتحت الباب ودخلت، وعند دخولى كدت أصطدم بالآنسة راسل التى كانت خارجة لتوها، واعتذر كل منا للآخر.

ولأول مرة رأيت نفسى أتأمل مديرة المنزل وأفكر إلى أى مدى كانت جميلة فى سنوات شبابها الأولى. لم يكن الشيب قد خالط شعرها الأسود، وعندما يحمر وجهها ـــ

كما حدث معها فى تلك اللحظة ــ لم تكن آثار الحدة والصرامة فى نظرتها تبدو جلية واضحة.

وقد تساءلت فى نفسى إن كانت قادمة من خارج البيت لأنها كانت تتنفس بصعوبة وكأنها كانت تركض.

قلت: "أخشى أن أكون قد جئت مبكراً بضع دقائق".

قالت: "آه، لا أظن ذلك. لقد تجاوزت الساعة السابعة والنصف يا دكتور "، وسكتت للحظة قبل أن تضيف: "لم أكن أعرف أنك مدعو للعشاء هذه الليلة؛ حيث لم يذكر السيد أكرويد ذلك لى".

انتابنى إحساس غامض بأن دعوتى إلى العشاء قد أزعجتها بشكل ما، ولكننى لم أستطع إدراك السبب.

سألتها: "كيف حال ركبتك؟".

"كما هى، ولكن شكراً لسؤالك يا دكتور. يجب أن أذهب الآن، فسوف تنزل السيدة أكرويد فى الحال. لقد جئت... جئت إلى هنا فقط لكى أرى إذا كانت الورود على ما يرام".

خرجت من الغرفة مسرعة، واتجهت أنا ناحية النافذة متعجباً من رغبتها الواضحة فى تبرير وجودها فى الغرفة، وهناك رأيت ما كان بإمكانى أن أدركه من البداية لو أنى تعمدت التفكير فيه قليلاً؛ وذلك أن نوافذ الغرفة لم تكن نوافذ عادية بقدر ما كانت أبواباً زجاجية تفتح على الشرفة الخارجية، ولذاك فإن الصوت الذى سمعته لا يمكن أن يكون صوت نافذة تغلق.

وبتكاسل واضح، ولإبعاد ذهنى عن أية أفكار أخرى مزعجة، سليت نفسى فى محاولة تخمين ما يمكن أن يكون سبب ذلك الصوت.

أكان صوت الفحم فى المدفأة؟ لا، لم يكن ذلك الصوت يشبهه على الإطلاق. أهو صوت إغلاق أحد أدراج المكتب؟ لا، ليس ذلك الصوت.

عندئذٍ وقعت عيناى على ما ظننت أنه طاولة الفضيات، من ذلك النوع الذى يمكن رفع غطائه ورؤية محتوياته من خلال الزجاج. ذهبت إليها وتفحصت محتوياتها. كان فيها قطعة أو قطعتان من الأطباق الفضية القديمة، وحذاء طفل يعود للملك تشارلز الأول، وبعض التماثيل الصينية، وعدد من التحف الإفريقية. رفعت الغطاء لأتفحص أحد التماثيل الصينية عن قرب لكن الغطاء انزلق ووقع لينطبق من جديد.

وعلى الفور أدركت ماهية الصوت الذى سمعته. لقد كان صوت إغلاق غطاء هذه الطاولة نفسها، عندما يتم غلقه بهدوء وحذر. كررت الفعل أكثر من مرة لكى أتأكد، ثم رفعت الغطاء لكى أتفحص المحتويات عن قرب.

كنت لا أزال منحنيًا فوق طاولة الفضيات المفتوحة عندما دخلت فلورا أكروید.

كثير من الناس لا يحبون فلورا أكروید، لكنّ أحدًا منهم لا يستطيع منع نفسه من الإعجاب بها. أما بالنسبة لأصدقائها فقد كانت ذات شخصية ساحرة. وأول ما يلفت نظرك إلى فلورا أكروید هو جمالها الأخاذ. كان شعرها الذهبى يشبه شعر الإسكندنافيات أما عيناها الزرقاوان فكانتا أشبه بزرقة مياه الخلجان النرويجية. كانت بشرتها فى نعومة الزهور، وكتفاها عريضتين كأكتاف الفتيان. كانت رؤية فتاة بمثل هذه الصحة الوافرة بالنسبة لطبيب مُتعَب مثلى أمرًا يجدد الحيوية والنشاط.

كانت فلورا أكروید فتاة إنجليزية بسيطة، وقد أكون شخصًا عتيق الطراز، لكنى أعتقد أن ذلك النوع من الفتيات قد صار نادر الوجود.

انضمت إلىّ فلورا عند طاولة الفضيات وأعربت عن شكوكها فى أن الملك تشارلز الأول قد لبس هذا الحذاء وهو طفل.

ثم تابعت تقول: "وعلى أية حال، فإن عمل ضجة لهذه الأشياء لمجرد أن شخصًا ما قد لبسها أو استعملها يبدو لى مسألة تافهة؛ فهى اليوم لا تلبس ولا تستعمل. ولماذا يصنع أحدهم كل هذه الضجة حول القلم الذى استخدمته جورج إليوت فى كتابة رواية طاحونة على النهر. إنه مجرد قلم، ولو أن المرء مولع بجورج إليوت إلى هذا الحد، فلماذا لا يشترى النسخة الرخيصة من رواية طاحونة على النهر ويقرؤها؟".

"أظنك لا تقرئين هذا النوع من الروايات الرومانسية القديمة يا آنسة فلورا؟".

"أنت مخطئ يا دكتور شيبارد؛ إننى أحب رواية طاحونة على النهر".

سعدتُ لسماع كلامها هذا. إن الأشياء التى تقرؤها الشابات هذه الأيام وتستمتع بها تخيفنى بشدة.

قالت فلورا: "لم تبارك لى يا دكتور شيبارد! ألم تسمع الخبر؟".

مدت لى يدها اليسرى لترينى، وكان فى الإصبع البنصر منها خاتم ثمين من اللؤلؤ.

أكملت تقول: "سوف أتزوج رالف. إن عمى مسرور للغاية؛ وهذا يضمن بقائى ضمن العائلة".

هنأتها بحرارة قائلاً: "أتمنى لك السعادة يا عزيزتى".

أضافت تقول بصوتها الهادئ: "كنا مخطوبين منذ حوالى شهر، لكننا أعلنا ذلك بالأمس فقط. سيرمم لنا عمى منزل كروس ستونز لكى نعيش فيه، وسوف نتظاهر بأننا نزرع، بينما نقوم فعليًا بالصيد طوال الشتاء، ونذهب إلى المدينة فى فترات الأعياد، ثم نذهب لممارسة رياضة اليخت، فأنا أحب البحر كثيراً. سوف أعطى كثيراً من وقتى للجمعيات الخيرية وأحضر اجتماعات نوادى سيدات المجتمع".

فى تلك اللحظة دخلت السيدة أكروید مسرعة وبدأت تعتذر عن تأخرها.

يؤسفنى القول إننى أكره السيدة أكروید؛ فهى مجموعة من الأسنان والعظام والعقود المتدلية. امرأة كريهة جداً ذات عينين زرقاوين صغيرتين شاحبتين، ورغم كل التدفق والعاطفية فى كلماتها إلا أن عينيها تمتلئان بالبرود على الدوام.

ذهبت إليها، تاركًا فلورا عند النافذة، فمدت إلىّ يداً ليس فيها إلا الأصابع النحيلة والخواتم لأصافحها، ثم أطلقت العنان للسانها.

سألتنى إن كنت قد سمعت بخطوبة فلورا، وكيف أنهما يلتقيان ببعضهما كثيراً، وأصرت على أن الصغيرين قد وقعا فى الحب من النظرة الأولى، وأنهما زوجان مثاليان ـــ هو بملامحه السمراء وهى ببشرتها شديدة البياض.

قالت: "لا أعرف كيف أصف لك يا دكتور شيبارد مدى الارتياح الذى يمكن أن يشعر به قلب الأم لخبر كهذا".

تنهدت السيدة أكروید مثل أى أم رقيقة القلب، بينما ظلت عيناها تراقباننى بدهاء.

ثم قالت: "كنت أتساءل. أنت صديق قديم لروجر ونحن نعلم إلى أى مدى يثق فى حكمتك. من الصعب علىّ ـ كأرملة لأخيه المسكين ـ أن أتحدث إليه، ولكن لدينا أمور كثيرة تشغل البال... الميراث ومثل هذه الأمور. أنا أومن تماماً بأن روجر يعتزم تسوية الأمور المالية للعزيزة فلورا، لكنه يتصرف بغرابة بعض الشىء عندما يتعلق الأمر بالمال كما تعلم. يقال إن هذا أمر عادى جداً بين الرجال العاملين بالصناعة. ترى هل يمكنك جس نبضه حول هذا الموضوع؟ إن فلورا تحبك كثيراً، ونحن نعتبرك صديقاً قديماً رغم أننا لم نعرفك إلا منذ سنتين فقط و...".

انقطعت كلمات السيدة أكروید عندما فُتح باب الغرفة مرة أخرى، ولقد ارتحت لهذه المقاطعة؛ إذ إننى أكره التدخل فى شئون الآخرين، ولم أكن أنوى أبداً مناقشة أكروید حول موضوع تسوية مخصصات فلورا، ولولا المقاطعة لاضطررت لإبلاغ السيدة بموقفى.

قالت السيدة أكروید: "إنك تعرف الميجور بلانت يا دكتور، أليس كذلك؟".

رددت قائلاً: "نعم، بالتأكيد".

كثير من الناس يعرفون هكتور بلانت ـــ على الأقل من خلال السمعة؛ فقد قتل من الحيوانات البرية، فى أماكن غريبة لا يتوقعها أحد، أكثر مما قتل أى شخص غيره، وعندما تذكره يقول الناس: "بلانت... هل تعنى ذلك الصياد الضخم؟".

ولقد أصابتنى صداقته لأكروید بالحيرة إلى حد ما، فالرجلان يختلفان عن بعضهما تماماً. كان هكتور بلانت يصغر أكروید بخمس سنوات، وقد بدأت صداقتهما فى وقت مبكر من العمر، ورغم أن سبل الحياة اختلفت

بينهما إلا أن الصداقة بقيت كما هى، وكان بلانت يأتى لزيارة أكرويد مرة كل سنتين ويقيم فى بيته لمدة أسبوعين، ولقد كانت هناك رأس حيوان ضخم له عدد لا يصدق من القرون تحدق إليك عند مدخل الباب الخارجى، والتى تذكرك دومًا بالصداقة التى بينهما.

دلف بلانت إلى داخل الغرفة بمشيته المتأنية الهادئة. وهو رجل متوسط الطول ذو بنية قوية مائلة إلى البدانة ووجه أحمر خال تمامًا من أى تعبير، أما عيناه الرماديتان فدائمًا ما تعطيان انطباعًا بأنه يراقب شيئًا يحدث بعيدًا جدًا. والرجل يتحدث قليلاً، والعبارات القليلة التى يقولها يطلقها قذفًا، وكأن الكلمات تندفع من فمه رغمًا عن إرادته.

قال بسرعة وبطريقته المعتادة: "كيف حالك يا شيبارد؟"، ثم وقف منتصبًا أمام المدفأة ينظر إلى ما فوق رءوسنا وكأنه يرى شيئًا مثيرًا جدًا يحدث فى جزيرة مهجورة تبعد ألف ميل.

قالت فلورا: "أرجو أن تحدثنى ـ يا ميجور بلانت ـ عن هذه الأشياء الإفريقية. أنا واثقة أنك تعرف ما هى".

كنت قد سمعت من يصف الميجور بلانت بأنه يكره النساء، ولكننى لاحظته ينضم إلى فلورا عند طاولة الفضيات بما يمكن وصفه بالحيوية والنشاط، وهناك راحا يتفحصان محتوياتها معًا.

كنت أخاف أن تعود السيدة أكرويد للحديث عن شئون الميراث مرة أخرى، ولذلك أسرعت إلى إلقاء بعض الملاحظات العابرة عن ذلك النوع الجديد من البازلاء العطرة، وكنت أعرف بأمر وجود بازلاء عطرة جديدة لأن صحيفة الديلى ميل قد ذكرت شيئًا عن ذلك هذا الصباح. لم تكن السيدة أكرويد تعرف شيئًا عن البستنة لكنها من النوع الذى يحب أن يظهر بمظهر المطّلع على موضوعات الساعة، كما أنها تقرأ الديلى ميل أيضًا، وقد تحدثنا حديثًا علميًا إلى أن حضر أكرويد وسكرتيره، وعلى الفور أعلن باركر أن العشاء جاهز.

كان مقعدى على مائدة العشاء بين السيدة أكرويد وفلورا، وكان بلانت يجلس على الجانب الآخر من السيدة أكرويد وبجانبه جيفرى ريموند.

لـــم يكـن العشـاء مبـهجًا؛ فقـد ظـهر واضـحًا أن أكروي ـد مشـغول البـال، وكـان يبـدو بـائسًا ولـم يـأكل شـيئًا، وقـد أبقينـا أنـا والسـيدة أكروي ـد وريموند على الحديث دائرًا. وبدت فلورا متأثرة لاكتئاب عمها، بينما ركن بلانت إلى صمته المعتاد.

بعد العشاء مباشرة دس أكرويد ذراعه تحت ذراعى وأخذنى إلى مكتبه.

ثم قال موضحًا: "بعد أن نشرب القهوة سنأخذ راحتنا؛ فقد قلت لريموند أن يحرص

شخصيًا على ألا يقاطعنا أحد".

نظرت إليه نظرات متفحصة دون أن أبدى ذلك. بدا واضحًا أنه تحت تأثير انفعال قوى، وقد راح يذرع الغرفة جيئة وذهابا لبعض الوقت، وعندما دخل باركر حاملاً صينية القهوة ألقى أكروويد بنفسه على كرسى أمام المدفأة.

كان مكتب أكروويد عبارة عن حجرة كبيرة الحجم، وقد غطت أرفف الكتب إحدى جدرانها، وكانت الكراسى كبيرة ومغطاة بجلد أزرق داكن اللون، وبقرب النافذة كان يوجد مكتب ضخم عليه أوراق مرتبة ومنظمة، وعلى طاولة مستديرة وُضِعَت مجلات مختلفة وصحف رياضية.

قال أكروويد بهدوء بعد أن ارتشف من فنجان القهوة: "لقد عاد إلىّ مؤخرًا ذلك الألم الذى يصيبنى بعد تناول الطعام. يجب أن تعطينى مزيدًا من الحبوب".

خطر لى أنه كان حريصًا على إعطائى انطباعًا بأن اجتماعنا كان لأهداف علاجية، ولذلك جاريته فى ذلك.

"لقد ظننت ذلك، ولهذا أحضرت معى بعضًا منها".

"أحسنت. أعطنى إياها الآن".

"إنها فى حقيبتى فى الصالة؛ سأذهب لأحضرها".

أمسك أكروويد بذراعى.

"لا تتعب نفسك، سيحضرها باركر. أحضر حقيبة الدكتور يا باركر".

خرج باركر، وعندما كنت على وشك الحديث رفع أكروويد يده.

ثم قال: "ليس الآن... انتظر. ألا ترى أننى فى حالة عصبية لا أكاد معها أسيطر على نفسى؟".

كنت أرى ذلك بوضوح، وكنت قلقًا للغاية وانتابتنى كل أنواع الهواجس بشأنه.

تكلم أكروويد مرة أخرى على الفور قائلاً:

"هل تأكدت من إغلاق النافذة؟".

نهضت إليها وقد فاجأنى طلبه إلى حد ما. لم تكن النافذة بابًا زجاجيًا، بل نافذة عادية ذات إطار، وتغطيها ستائر زرقاء وثقيلة وناعمة،

ولكن النافذة نفسها كانت مفتوحة من أعلى.

جاء باركر ثانية وهو يحمل الحقيبة وأنا مازلت عند النافذة.

قلت وأنا أعود إلى مكانى: "حسنًا".

"هل أغلقت النافذة بالمزلاج؟".

"نعم، نعم. ماذا أصابك اليوم يا أكرويد؟".

كان باركر قد أغلق الباب وراءه لتوه، وإلا ما سألته ذلك السؤال.

انتظر أكرويد دقيقة قبل أن يجيبنى ببطء قائلاً:

"إننى أتعذب. لا، لا تشغل بالك بأمر هذه الحبوب. لقد قلت ذلك فقط أمام باركر. إن الخدم فضوليون جداً. تعال واجلس هنا. هل الباب مغلق أيضاً؟".

"نعم، لن يسمعنا أحد، لا تقلق".

"شيبارد، لا أحد يعلم ما مررت به خلال الساعات الأخيرة. لو أن بيتًا قد تحطم فوق رأس صاحبه فهو بيتى، وجاء أمر رالف ليكمل المصيبة. لكننا لن نتحدث عن ذلك الآن، وإنما عن الأمر الآخر... الآخر! لا أعرف ما الذى أفعله حيال ذلك، ويجب أن أحزم أمرى فى أقرب وقت".

"ما المشكلة؟".

ظل أكرويد صامتًا بعض الوقت وبدا كأنه يكره البدء بالحديث، وعندما تكلم كان السؤال الذى سأله مفاجئًا لى تمامًا... كان آخر ما توقعته منه.

حيث قال: "شيبارد، لقد أشرفت على علاج آشلى فيرارز فى مرضه الأخير، أليس كذلك؟".

"نعم، فعلت".

بدا وكأنه يواجه صعوبة أكبر فى صياغة سؤاله التالى.

"هل شككت... أو خطر لك أبدًا... أنه... أنه ربما مات مسمومًا؟".

سكت قليلاً، ثم أجمعت أمرى على ما أريد قوله، فروجر أكرويد لم يكن كارولين.

قلت: "سأقول لك الحقيقة. فى ذلك الوقت لم يكن لدى أى شك على الإطلاق، ولكن منذ... حسنًا، كان مجرد حديث من جانب أختى هو الذى وضع الفكرة فى رأسى، ومنذ ذلك الحين لم أستطع إبعادها عن تفكيرى. ولكن تذكر أنه ليس لدى أساس حقيقى لذلك الاشتباه".

قال أكرويد: "لقد مات مسمومًا بالفعل".

قال ذلك بصوت ثقيل متعب.

فسألت بحدة: "ومن الذى سمه؟".

"زوجته".

"وكيف عرفت ذلك؟".

"هى أخبرتنى بنفسها".

"متى؟".

"أمس. يا إلهى، أمس! يبدو كأنه منذ عشر سنوات". انتظرت لدقيقة فتابع أكرويد كلامه قائلاً:

"أتفهم يا شيبارد؟ إننى أصارحك بهذا السر بينى وبينك، ويجب ألا يخرج إلى أحد غيرك، وأنا أريد نصيحتك. لا أستطيع تحمل هذا العبء كله بنفسى، وكما قلت لك، لا أعرف ماذا أفعل".

"هل يمكنك إخبارى بالقصة كاملة؟ ما زلت لا أفهم شيئًا. كيف اعترفت لك السيدة فيرارز بذلك؟".

"الأمر كما يلى: قبل ثلاثة شهور طلبت يد السيدة فيرارز للزواج، فرفضت، ثم طلبت يدها مرة أخرى فقبلت، لكنها رفضت السماح لى بإعلان خبر الخطوبة حتى تنتهى سنة حدادها. وقد زرتها أمس وقلت لها إن سنة وثلاثة أسابيع قد مضت على وفاة زوجها وأنه لم تعد هناك أية عوائق أمام إعلان الخطبة، وكنت قد لاحظت أن سلوكها قد صار غريبًا جدًا فى الأيام القليلة الماضية، لكنها انهارت أمس فجأة ودون مقـــدمات. لقـــد... لقـــد أخبـــرتنى بكـــل شـــىء؛ كراهيتـــها المتناهيـــة لزوجـــها القاســـى، وحبـــها المتزايـــد لـــى، و... والوســـيلة الرهيبـــة التـــى استخدمتها. السم! يا إلهى! لقد كانت جريمة قتل وحشية".

رأيت الاشمئزاز والرعب فى وجه أكرويد، ولابد أن السيدة فيرارز قد رأت ذلك أيضًا؛ فأكرويد ليس ذلك العاشق العظيم الذى يمكن أن يغفر كل شىء من أجل الحب. إنه مواطن صالح فى جوهره، ولاشك أن كل ما تحمله نفسه من عدالة واستقامة والتزام بالقانون قد جعله ينقلب ضدها بعد لحظة المكاشفة تلك.

ثم أكمل حديثه بصوت منخفض رتيب قائلاً: "نعم، اعترفت بكل شىء، ويبدو أن شخصًا واحدًا كان يعرف بهذا من البداية ـــ وكان يبتزها ويأخذ منها مبالغ كبيرة من المال؛ وذلك ما دفعها إلى حافة الجنون".

"من ذلك الرجل؟".

فجأة ظهرت أمام عينى صورة رالف باتون والسيدة فيرارز جنبًا إلى جنب ورأساهما قريبان من بعضهما، وأحسست للحظة بالانفعال الشديد. لنفترض أن... آه! ذلك مستحيل بالتأكيد. تذكرت ترحيب رالف الحار بى بعد ظهر ذلك اليوم. هراء!

قال أكرويد ببطء: "لم تخبرنى باسمه، وفى الواقع لم تقل إنه رجل، لكن بالطبع...".

وافقته قائلاً: "بالطبع، لابد أن يكون رجلاً. ألا تشك بأحد على الإطلاق؟".

همهم أكرويد مجيباً عن سؤالى بالنفى وألقى برأسه بين يديه.

ثم قال: "هذا غير ممكن على الإطلاق. سأكون مجنوناً حتى لو فكرت فى هذا الشىء. لا، لن أعترف حتى لك أنت بالشك الطائش الذى خطر لى، ومع ذلك فإننى سأقول لك ما يلى: لقد قالت شيئاً جعلنى أعتقد أن هذا الشخص قد يكون واحداً من أهل بيتى! ولكن هذا غير ممكن... لابد أننى أسأت فهمها".

تساءلت قائلاً: "وما الذى قلته لها؟".

"وماذا يمكننى أن أقول؟ لقد لاحظت تأثير الصدمة علىّ بالطبع، ثم كان علىّ أن أقرر ما سأفعل حيال هذه المسألة؛ فقد جعلتنى ـ باعترافها هذا ـ شريكاً فى الجريمة بعد وقوعها، وقد أدركت هى ذلك بأسرع مما أدركته أنا؛ فلقد أذهلتنى الصدمة، وبعد ذلك طلبت منى مهلة لمدة أربع وعشرين ساعة وجعلتنى أعدها بألا أفعل أى شىء لحين انتهاء هذه المهلة، وأصرت على رفضها إعطائى اسم ذلك الوغد الذى كان يبتزها. أظن أنها كانت تخشى أن أذهب إليه مباشرة وأنال منه فأصب الزيت على النار وهو ما لم ترغب به، ولقد أخبرتنى بأنها ستتصل بى قبل انقضاء الوقت المحدد. يا إلهى! أقسم لك يا شيبارد أننى لم أفكر أبداً فيما كانت تعتزم فعله. انتحار! وأنا الذى

دفعتها إليه".

قلت: "لا، لا تبالغ فى رؤيتك للأشياء. إن المسئولية عن وفاتها لا تقع عليك".

"السؤال هو: ماذا أفعل الآن؟ لقد ماتت السيدة المسكينة، فلماذا أثير أحداثاً مضت؟".

قلت: "أتفق معك فى هذا".

"ولكن توجد مسألة أخرى. كيف أمسك بذلك الوغد الذى دفعها إلى الموت دفعاً كأنه قتلها بيده؟ لقد عرف عن جريمتها فراح يبتزها

بجشعه وطمعه. لقد دفعت هى ثمن جريمتها؛ فهل يفلت هو من العقوبة؟".

قلت ببطء: "فهمت. أتريد القبض عليه؟ سيقود ذلك إلى فضيحة كبرى".

"نعم، لقد فكرت فى هذا، وقلبت الأمر فى ذهنى كثيراً".

"أوافقك على أن هذا الوغد يجب أن ينال جزاءه، ولكن علينا أن نحسب حساباً للثمن".

نهض أكرويد عن مقعده وراح يذرع الغرفة جيئة وذهاباً، ثم رمى بنفسه على الكرسى مرة أخرى.

ثم قال: "اسمعنى يا شيبارد، ماذا لو تركنا الأمر على هذه الحال، فإذا لم تأت كلمة

منها فسوف يبقى السر مدفوناً".

سألته بفضول: "ماذا تقصد بقولك "تأتى كلمة منها "؟".

"لدى إحساس قوى بأنها قد تركت وراءها رسالة لى فى مكان ما أو بطريقة ما قبل انتحارها. لا أستطيع إثبات ذلك، ولكن هذا ما أحسه

وما أنا مقتنع به".

هززت رأسى نفيًا.

ثم قلت: "إنها لم تترك أية رسائل. لقد سألت عن ذلك بالفعل".

"شيبارد، أنا مقتنع بأنها قد فعلت، وأكثر من ذلك، لدى إحساس بأنها كانت تريد ـ بانتحارها هذا ـ كشف الأمر كله، وأن هدفها الوحيد هو الانتقام من ذلك الرجل الذى دفعها إلى حافة اليأس. أعتقد أنه لو قدّر لى أن أراها فى تلك اللحظة لأخبرتنى عن اسمه ولطلبت منى ملاحقته ما استطعت".

نظر أكرويد إلىّ وقال:

"ألا تؤمن بالأحاسيس؟".

"نعم أومن بها، بشكل ما. لو وصلت إلينا ـــ كما تقول ـــ كلمة منها...".

لكنى توقفت عن الكلام حيث فتح باركر الباب بهدوء ودخل حاملاً صفحة عليها بعض الرسائل.

قال وهو يقدم الصينية إلى أكرويد: "بريد المساء يا سيدى".

ثم حمل فنجانى القهوة وخرج.

انتبهت مرة أخرى إلى أكرويد والذى تحول إلى تمثال، رأيته يحدق إلى ظرف أزرق طويل، أما الرسائل الأخرى فتركها تسقط على الأرض.

قال هامسًا: "هذا خطها. لابد أنها خرجت ووضعت الرسالة فى البريد الليلة الماضية قبل... قبل...".

فتح الظرف بسرعة وأخرج منه ورقة سميكة، ثم رفع بصره بحدة.

وقال: "هل أنت متأكد من أنك أغلقت النافذة؟".

قلت متفاجئًا: "بالتأكيد. لماذا تسأل؟".

"لدى إحساس غريب بأن أحداً يراقبنى ويتجسس علىّ منذ بداية هذا المساء. ما هذا؟".

التفت بحدة، والتفتُّ أنا معه. وخُيل إلينا أننا سمعنا صوت مزلاج الباب يفتح قليلاً. ذهبت صوبه وفتحته، ولم يكن هناك أحد.

تمتم أكرويد محدثًا نفسه: "لا أكاد أسيطر على أعصابى!"، ثم فتح الرسالة وقرأ بصوت خفيف:

"عزيزى الغالى روجر. العين بالعين. إننى أرى هذا... رأيته فى وجهك بعد ظهر هذا اليوم، ولذلك فإننى أسلك الطريق الوحيد المفتوح أمامى، وأترك لك معاقبة الشخص الذى جعل حياتى جحيمًا طوال السنة الماضية. لم أخبرك باسمه بعد ظهر اليوم، لكنى أريد كشفه لك الآن. ليس عندى أطفال أو أقارب مقربون أخشى على سمعتهم، ولذلك لا تخش من انتشار الخبر. سامحنى يا عزيزى روجر واغفر لى الظلم الذى كنت على وشك إلحاقه بك، المهم أننى لم ألحقه بك فى نهاية الأمر...".

سكت أكرويد وأخذ يقلب الورقة بأصابعه.

ثم قال مترددًا: "اعذرنى يا شيبارد؛ يجب أن أقرأ هذه الرسالة بمفردى. لقد كتبت لتراها عيناى... عيناى فقط".

ثم وضع الرسالة فى الظرف ووضعه على الطاولة.

"سأقرؤها فيما بعد، عندما أكون بمفردى".

قلت بصورة عفوية: "لا، اقرأها الآن".

حدّق إلىّ أكرويد فى شىء من الاندهاش.

قلت وقد احمرّ وجهى: "عذرًا، لم أقصد أن تقرأها أمامى بصوت مرتفع، ولكن اقرأها فى سرك وأنا موجود هنا".

هزّ أكرويد رأسه.

"كلا، أفضل الانتظار".

لكنى ـ لسبب ما لا أعرفه ـ واصلت الإلحاح.

"اقرأ علىّ اسم الرجل على الأقل".

إن أكرويد عنيد تمامًا، وكلما ألححت عليه لفعل شىء أصر على عدم فعله؛ ولذلك ذهبت جميع محاولاتى معه سدى.

كانت الرسالة قد وصلت الساعة التاسعة إلا الثلث، وعندما تركته كانت تشير إلى التاسعة إلا عشر دقائق ولم تكن الرسالة قد قرئت بعد.

ترددت ويدى ممسكة بمقبض الباب وأنا أنظر إلى الوراء متسائلاً إن كان هناك شىء لأفعله، فلم أجد شيئًا. خرجت وأنا أهزّ رأسى أسفًا وأغلقت الباب ورائى.

فزعت من رؤية باركر قريباً منى. كان يبدو مرتبكًا وخطر لى أنه ربما كان يتنصت من وراء الباب.

أى وجه سمين متملق يمتلكه هذا الرجل! وقد كان فى عينيه ـ بالتأكيد ـ شىء من المكر.

قلت ببرود: "لا يريد السيد أكرويد أن يزعجه أحد، وقد طلب منى إخبارك بهذا".

"حقًا يا سيدى، لقد ـ لقد ظننت أنى سمعت صوت جرس الاستدعاء".

كانت تلك كذبة واضحة لم أكلف نفسى عناء الرد عليها. خطا باركر إلى الصالة أمامى، وعاوننى على ارتداء معطفى، ثم اندفعت عبر الباب الخارجى إلى ظلام الليل بالخارج. كان القمر ملبداً بالغيوم وبدا كل شىء معتماً وساكنًا. كانت الساعة تدق التاسعة عندما خطوت عبر بوابة المنزل، واستدرت إلى اليسار باتجاه القرية فكدت أصطدم برجل قادم من الاتجاه المعاكس.

سألنى الرجل الغريب بصوت أجش: "أهذا هو الطريق إلى فيرنلى بارك يا سيد؟".

نظرت إليه. كان يلبس قبعة تغطى عينيه ويرفع ياقة معطفه. لم أستطع رؤية شىء من وجهه، لكنه بدا شاباً، وكان صوته فظًا لا يدل على ثقافة.

قلت: "هذه هى بوابة البيت".

"شكرًا لك يا سيد". سكت قليلاً ثم أضاف دون ضرورة: "أنا غريب عن هذه القرية".

استمر فى طريقه حتى عبر البوابة والتفتُّ أنظر إليه.

والغريب أن صوته ذكرنى بصوت كنت أعرفه، لكننى لم أستطع تحديد صاحبه.

وبعد عشر دقائق كنت فى بيتى مرة أخرى. كانت كارولين فى غاية الفضول لمعرفة سبب عودتى فى هذا الوقت المبكر. كان علىّ أن أخترع قصة خيالية عن الأمسية حتى أرضيها، وقد انتابنى إحساس غريب بأنها كانت تستطيع بوضوح أن تقرأ أفكارى وتدرك كم كانت قصتى مزيفة.

فى تمام الساعة العاشرة نهضت من مقعدى، وتثاءبت، واقترحت أن نخلد إلى النوم، ووافقتنى كارولين فى ذلك.

كانت ليلة الجمعة، وقد اعتدت فى ليلة الجمعة ضبط توقيت ساعات المنزل. فعلت ذلك كالعادة، بينما تأكدت كارولين من أن الخدم قد قاموا بإغلاق باب المطبخ جيداً.

كانت الساعة تشير إلى العاشرة والربع عندما صعدنا إلى الطابق العلوى للنوم، وعندما وصلت إلى أعلى السلم رن جرس الهاتف فى الصالة بالأسفل.

قالت كارولين على الفور: "إنها السيدة بيتس".

قلت بامتعاض: "أخشى ذلك".

نزلت إلى الصالة مسرعًا ورفعت السماعة.

قلت: "ماذا؟!! بالتأكيد سآتى على الفور".

صعدت الدرج مسرعًا وأخذت حقيبتى ووضعت فيها بعض الضمادات الإضافية.

صحت أنادى كارولين قائلاً: "باركر هو الذى اتصل من فيرنلى؛ لقد وجدوا روجر أكرويد مقتولاً!".

الفصل الخامس

جريمة قتل

أخرجت السيارة على الفور، وانطلقت بها إلى فيرنلى بارك، وهناك قفزت خارج السيارة وضربت الجرس فى نفاد صبر. تأخر فتح الباب قليلاً فضربت مرة أخرى.

ثم سمعت صوت المفاتيح وفتح باركر بملامحه الجامدة.

دخلت إلى الصالة مسرعًا.

وسألته بحدة: "أين هو؟".

"عفوًا يا سيدى، ماذا تقول؟".

"سيدك، السيد أكرويد. لا تقف تحدق إلىّ هكذا يا رجل. هل أبلغتم الشرطة؟".

"الشرطة يا سيدى؟ هل قلت الشرطة؟"، قالها باركر وهو يحدق إلىّ كأننى شبح.

فقلت: "ماذا دهاك يا باركر؟ لو كان سيدك قد قتل كما تقول...".

انطلقت شهقة قوية من فم باركر.

"السيد أكرويد؟ قتل؟ هذا مستحيل يا سيدى".

جاء دورى للتحديق إليه بغرابة.

"ألم تتصل بى قبل أقل من خمس دقائق قائلاً إن السيد أكرويد قد وُجد مقتولاً؟".

"أنا يا سيدى؟ كلا بالطبع. ما كنت لأجرؤ على القيام بمثل هذا الأمر".

"هل تريد أن تقول إن الأمر كله مجرد خدعة وأن شيئًا لم يحدث للسيد أكرويد؟".

"عذرًا يا سيدى، هل استخدم الشخص الذى اتصل اسمى؟".

"سأخبرك بما قاله بالضبط: "الدكتور شيبارد؟ أنا باركر، الخادم من فيرنلى، هلا جئت على الفور يا سيدى، لقد قُتل السيد أكرويد """.

راح كل منا يحدق فى الآخر مشدوهًا.

وأخيراً قال بنبرة المصدوم: "إنها مزحة قذرة جداً يا سيدى. غريب أن يقول أحدهم شيئًا كهذا".

سألته فجأة: "أين السيد أكرويد؟".

"أظنه ما زال فى مكتبه يا سيدى. لقد صعدت السيدتان للنوم، والميجور بلانت فى حجرة البلياردو مع السيد ريموند".

"أريد أن ألقى نظرة على سيدك. أعرف أنه لا يريد لأحد أن يقطع خلوته، ولكن هذا الأمر الغريب أقلقنى. أريد فقط أن أطمئن أنه بخير".

"بالتأكيد يا سيدى. أنا الآخر بدأت أشعر بالقلق. أرجو ألا تمانع فى أن أرافقك حتى الباب يا سيدى".

"كلا بالطبع. هيا بنا".

دخلت عبر الباب القائم على اليمين وتبعنى باركر، وعبرنا الردهة الصغيرة حيث يوجد سلم صغير يؤدى إلى غرفة نوم أكرويد فى الطابق العلوى، وطرقت على باب حجرة المكتب.

لم يجبنى أحد، فأدرت مقبض الباب، لكنه كان مغلقًا بالمفتاح.

قال باركر: "دعنى أقم بذلك يا سيدى".

جثا على ركبته بخفة لا تناسب رجلاً فى مثل بنيته وقرب عينه إلى فتحة الباب.

قال وهو ينهض: "المفتاح موجود فى الباب من الداخل يا سيدى. لابد أن السيد أكرويد قد أغلق الباب على نفسه وربما غلبه النوم".

أنزلت رأسى لأتحقق من كلام باركر.

"يبدو الأمر على ما يرام، ومع ذلك سوف أوقظ سيدك من نومه يا باركر. لن أقنع بالعودة إلى البيت حتى أسمع منه شخصيًا أنه بخير".

وما إن قلت ذلك حتى بدأت أحرك مقبض الباب وأنادى: "أكرويد، أكرويد، دقيقة من فضلك".

لكنه لم يجبنى. نظرت خلف ظهرى.

وقلت مترددًا: "لا أريد أن أزعج أهل البيت".

ذهب باركر وأغلق باب الصالة الذى دخلنا منه.

قال: "أظن أن هذا يكفى يا سيدى؛ فغرفة البلياردو فى الجانب الآخر من البيت، وكذلك المطبخ وحجرتا نوم السيدتين".

أومأت برأسى راضيًا، ثم طرقت فوق الباب بقوة مرة أخرى وأنا أنظر من فتحة الباب وأنادى:

"أكرويد، أكرويد! أنا شيبارد، دعنى أدخل".

ورغم ذلك بقى الصمت سائداً. لا توجد علامة على الحياة من داخل الغرفة المغلقة. تبادلت النظرات مع باركر.

هنا قلت: "اسمعنى يا باركر، سوف أكسر هذا الباب، أو بالأحرى نكسره معًا، وسوف أتحمل مسئولية ذلك".

قال باركر بارتياب: "حسنًا، إن كان هذا ما تراه يا سيدى".

"هذا ما أراه فعلاً. إننى خائف جداً على السيد أكرويد".

نظرت حولى إلى الردهة الصغيرة وحملت كرسيًا ثقيلاً من خشب البلوط. أمسكت به أنا وباركر وتقدمنا هاجمين بضربة، ثم اثنتين، ثم ثلاث... وفى الضربة الثالثة فُتح الباب واندفعنا إلى داخل الحجرة.

كان أكرويد جالسًا ـ كما تركته ـ على كرسيه أمام المدفأة. كان رأسه يميل جانبًا، وبدا بوضوح ـ تحت ياقة معطفه ـ نصل معدنى لامع مغروس فى رقبته.

تقدمنا أنا وباركر إلى أن وقفنا أمام الجسد المرتخى، وسمعت الخادم يلتقط أنفاسه بحسيس حاد.

ثم تمتم: "لقد طُعن من الخلف... يا له من أمر شنيع!".

مسح العرق عن جبينه بمنديله ثم مد يده المرتعشة إلى مقبض الخنجر.

فقلت بحدة: "يجب ألا تلمسه. اذهب إلى الهاتف على الفور واتصل بمركز الشرطة. أبلغهم عما حدث، ثم أخبر السيد ريموند والميجور بلانت".

"حسنًا يا سيدى".

خرج باركر مسرعًا وهو مازال يمسح العرق عن جبينه.

لم يكن هناك داعٍ لفعلى أى شىء، ولقد حرصت على ألا أحرك الجثة من مكانها أو أمسك بالخنجر على الإطلاق، ولم أجد داعيًا لانتزاع الخنجر؛ إذ بدا واضحًا أن أكرويد قد مات منذ فترة.

ثم سمعت صوت ريموند من الخارج وقد ملأه الرعب وعدم التصديق.

"ماذا تقول؟ يا إلهى! مستحيل! أين الدكتور؟".

تقدم مندفعًا عند مدخل الباب ثم توقف متجمداً وقد علا الشحوب وجهه. حينئذٍ

حضر الميجور بلانت وأزاحه جانبًا ودخل إلى الحجرة.

قال ريموند من خلف بلانت: "يا إلهى! إذن فالأمر صحيح".

تقدم بلانت حتى وصل إلى الكرسى. مال على الجثة فظننت أنه سوف يمسك بمقبض الخنجر مثلما حاول باركر، فسحبته إلى الوراء بيدى.

ثم قلت موضحًا: "يجب ألا يُحرّك أى شىء من موضعه. يجب أن تراه الشرطة على حالته هذه".

أومأ بلانت وقد تفهم الأمر على الفور. كان وجهه خاليًا من التعبير كعادته، ولكنى ظننت أننى رأيت علامات الانفعال أسفل ذلك القناع

الجامد. جاء جيفرى ريموند ووقف بجانبنا ينظر إلى الجثة من وراء بلانت.

وقال بصوت خفيض: "يا له من شىء مخيف".

كان قد استعاد رباطة جأشه، ولكن عندما خلع نظارته التى كان يلبسها كالعادة وقام بمسحها لاحظت أن يده كانت ترتعش.

قال: "أظنها محاولة سطو. لكن كيف دخل المجرم؟ من النافذة؟ هل سُرق شىء؟".

ثم تحرك تجاه المكتب.

تساءلت ببطء: "أتظنها عملية سطو؟!".

"وماذا ستكون غير ذلك؟ لا أظن الانتحار أمرًا واردًا".

قلت واثقًا: "لا أحد يستطيع طعن نفسه بهذه الطريقة. إنها جريمة قتل دون شك، ولكن ما الدافع؟".

قال بلانت بهدوء: "ليس لروجر أى أعداء على الإطلاق. لابد أنهم لصوص، ولكن ما الذى كان يبحث عنه اللص؟ لا يبدو أن هناك أى عبث بالمكتب".

نظر إلى الغرفة من حوله. كان ريموند يقلب الأوراق الموجودة على الطاولة.

وأخيرًا قال السكرتير: "لم يُفقَد شىء كما يبدو، كما أنه لا توجد أى إشارة على العبث بالأدراج. شىء غامض للغاية".

حرّك بلانت رأسه قليلاً.

ثم قال: "توجد بعض الرسائل على الأرض".

نظرت إلى الأرض. مازالت هناك ثلاث أو أربع رسائل، وهى التى أسقطها أكرويد هذا المساء.

لكن المظروف الأزرق الذى يحتوى على رسالة السيدة فيرارز قد اختفى. كدت أفتح فمى لأتكلم لكنى سمعت صوت الجرس، ثم سمعت همهمات وأصواتًا مشوشة فى الصالة وبعدها ظهر باركر برفقة مفتش الشرطة وشرطى آخر.

قال المفتش: "مساء الخير يا سادة. أنا آسف للغاية لهذا الأمر. رجل لطيف وطيب مثل السيد أكرويد. يقول الخادم إنها جريمة قتل. ألا يوجد احتمال على وقوع حادث أو انتحار أيها الطبيب؟".

"كلا، على الإطلاق".

"آه، يا لها من جريمة مروعة!".

سار المفتش ثم وقف قرب الجثة.

وسأل بحدة: "هل حركتموه من مكانه؟".

"فيما عدا التأكد من وفاته ــ وهى مسألة سهلة ــ لم أحرك الجثة بأى شكل من الأشكال".

"آه، وكل شىء يشير إلى أن القاتل قد فر بجلده... مؤقتًا على الأقل، والآن أريد أن أسمع كل شىء عن الأمر. من اكتشف الجثة؟".

شرحت له الملابسات شرحًا دقيقًا.

"أتقول إنه قد جاءتك مكالمة هاتفية؟ من الخادم؟".

قال باركر بجدية: "مكالمة لم أُجرها على الإطلاق. أنا لم أقترب من الهاتف طوال المساء، ويمكن أن يؤكد الآخرون ذلك".

"هذا غريب. هل بدا الصوت كصوت باركر يا دكتور؟".

"حسنًا، لا أستطيع القول إنى قد لاحظت. لقد سلّمت بالأمر فقط".

"أمر طبيعى. حسنًا، وصلت إلى هنا وكسرت الباب ووجدت السيد أكرويد المسكين على هذه الحال. منذ متى تظن أنه توفى يا دكتور؟".

"منذ نصف ساعة على الأقل... وربما أكثر من ذلك".

"قلت إن الباب كان مغلقًا من الداخل؟ وماذا عن النافذة؟".

"أنا أغلقتها بالمزلاج بنفسى بناء على طلب أكرويد فى وقت سابق من هذه الليلة".

ذهب المفتش باتجاهها وسحب الستائر.

ثم قال: "حسنًا، إنها مفتوحة الآن".

بالفعل كانت النافذة مفتوحة؛ فالجزء السفلى من النافذة كان مرفوعًا إلى آخره.

أخرج المفتش مصباحًا كهربيًا من جيبه ووجهه تجاه عتبة النافذة من الخارج.

قال: "لا شك أنه خرج من هنا، ومن هنا دخل أيضًا. انظروا إلى هذا".

كان يمكن رؤية عدة آثار أقدام واضحة تحت ضوء المصباح. بدت كآثار حذاء له نعل من المطاط، وكانت بعضها واضحة وتشير إلى الداخل وأخرى تتقاطع معها وتشير إلى الخارج.

قال المفتش: "صار الأمر واضحًا للغاية. هل فُقد أى شىء ثمين؟".

هز ريموند رأسه نافيًا:

"لم نكتشف اختفاء أى شىء ثمين حتى الآن. إن السيد أكرويد لا يحتفظ بأشياء ثمينة فى هذه الغرفة".

قال المفتش: "حسنًا، لقد وجد الرجل نافذة مفتوحة فتسلقها ودخل، ورأى السيد أكرويد جالسًا هناك، وربما كان نائمًا، فطعنه من الخلف ثم فقد أعصابه وهرب، لكنه ترك آثاره واضحة. يجب أن نكشفه دون مشقة تُذكر. ألا توجد شبهات بخصوص أى شخص غريب كان يحوم قريبًا من البيت؟".

صحت فجأة: "نعم".

"ما الأمر يا دكتور؟".

"لقد قابلت رجلاً هذا المساء... عندما كنت خارجًا من البوابة تمامًا، وسألنى عن الطريق المؤدى إلى فيرنلى بارك".

"متى كان ذلك؟".

"الساعة التاسعة تمامًا. لقد كانت الساعة تدق التاسعة بينما كنت خارجًا من البوابة".

"هل يمكنك وصف ذلك الشخص؟".

وصفته له قدر استطاعتى.

التفت المفتش إلى الخادم وسأله:

"هل جاء أحد بهذه الأوصاف إلى بوابة البيت الأمامية؟".

"كلا يا سيدى، لم يأت أحد إلى البيت طوال هذا المساء".

"وماذا عن الباب الخلفى؟".

"لا أظن ذلك يا سيدى، ولكنى سأتحقق من الأمر".

خطا باركر نحو الباب لكن المفتش رفع يده معترضًا وقال:

"شكرًا لك، سأتحقق من ذلك بنفسى. ولكن قبل كل شىء أريد تحديد الأوقات بشىء من الوضوح. متى كانت آخر مرة شوهد فيها السيد أكرويد على قيد الحياة؟".

قلت: "ربما كنت آخر من رآه؛ وذلك عند مغادرتى فى الساعة... دعنى أتذكر... التاسعة إلا عشر دقائق تقريبًا. أخبرنى بأنه لا يريد أن يقطع عليه خلوته أحد فأخبرت باركر بذلك".

قال باركر باحترام: "هذا صحيح يا سيدى".

تدخل ريموند قائلاً: "لقد كان السيد أكرويد على قيد الحياة فى التاسعة والنصف بالتأكيد لأننى سمعته يتكلم هنا".

"مع من كان يتكلم؟".

"لا أدرى. ظننت ـ فى ذلك الوقت ـ أنه يتكلم مع الدكتور شيبارد الذى كان معه بالغرفة. أردت سؤاله عن بعض الأوراق التى كنت مشغولاً بها، ولكنى ـ عندما سمعت الأصوات ـ تذكرت قوله إنه يريد التحدث مع الدكتور شيبارد دون أن يزعجهما أحد فرجعت مرة ثانية. ولكن يبدو الآن أن الدكتور كان قد ترك البيت وقتها".

أومأت برأسى موافقًا.

ثم قلت: "لقد وصلت إلى بيتى الساعة التاسعة والربع، ولم أخرج ثانية إلى أن جاءتنى المكالمة الهاتفية".

سأل المفتش: "من يمكن أن يكون معه فى التاسعة والنصف؟ هل كنت أنت يا سيد...".

قلت: "ميجور بلانت".

سأله المفتش بنبرة احترام: "الميجور هكتور بلانت؟".

لم يجبه بلانت سوى بإيماءة من رأسه.

قال المفتش: "أظن أننا رأيناك هنا من قبل يا سيدى. لم أعرفك على الفور، لكنك كنت تقيم فى ضيافة السيد أكرويد فى شهر مايو من العام الماضى".

قال بلانت مصححًا: "بل فى شهر يونيو".

"نعم، كان ذلك فى شهر يونيو. إذن، هل أنت من كان بصحبة السيد أكرويد الساعة التاسعة والنصف هذا المساء؟".

هز بلانت رأسه نافيًا وقال:

"لم أره بعد العشاء".

التفت المفتش إلى ريموند مرة أخرى وقال:

"ألم تسمع شيئًا من الحديث الذى كان يدور بالداخل؟".

قال ريموند: "تناهى إلى أذنى بعض منه، ولأنى كنت أظن أن محدثه هو الدكتور شيبارد فقد اعتبرت ما سمعته غريبًا تمامًا. وإذا لم تخنى الذاكرة فقد كانت الكلمات التى سمعتها بالضبط هى كلمات السيد أكرويد وهو يقول: "لقد تكررت طلبات النقود منى فى الفترة الأخيرة"، هذا ما كان قاله تمامًا... "فى الفترة الأخيرة، بحيث أخشى أنه من المستحيل على الاستجابة لطلبك..."، وبالطبع عدت على الفور ولذلك لم أسمع شيئًا آخر. ولكنى تعجبت لأن الدكتور شيبارد...".

أكملت بدلاً منه: "لا يطلب قروضًا لنفسه أو تبرعات للآخرين".

قال المفتش فى تأمل: "طلب نقود. ربما صار لدينا الآن مفتاح مهم للغاية "، ثم التفت إلى الخادم وقال: "أتقول ـ يا باركر ـ إن أحدًا لم يدخل من الباب الأمامى هذا المساء؟".

"نعم يا سيدى".

"إذن يبدو من المؤكد أن السيد أكرويد هو الذى أدخل هذا الغريب بنفسه، لكنى لا أفهم تمامًا...".

مضى المفتش فى حالة من التأمل والشرود لبعض الوقت.

ثم قال بعد أن انتهى من تأملاته: "هناك أمر واحد واضح للغاية... لقد كان السيد أكرويد على قيد الحياة وبخير الساعة التاسعة والنصف. كانت تلك آخر لحظة نعلم فيها أنه كان على قيد الحياة".

تنحنح باركر وكأنه أراد أن يقول شيئًا، والتفت إليه المفتش على الفور.

قال المفتش بحدة: "ماذا هناك؟".

"أرجو المعذرة يا سيدى؛ فقد رأته الآنسة فلورا بعد ذلك".

"الآنسة فلورا؟".

"نعم يا سيدى، وربما كان ذلك فى العاشرة إلا الربع تقريبًا. بعدها أخبرتنى بأن السيد أكرويد لا يريد رؤية أحد هذه الليلة".

"هل أرسلها إليك بهذه الرسالة؟".

"ليس تمامًا يا سيدى. كنت أحمل إليه بعض العصائر عندما أوقفتنى الآنسة فلورا وهى خارجة من الغرفة وقالت إن عمها لا يريد أن يزعجه أحد".

نظر المفتش إلى الخادم باهتمام أكبر من ذى قبل وقال:

"لقد قيل لك من قبل إن السيد أكرويد لا يريد أن يقطع عليه أحد خلوته، أليس كذلك؟".

بدأ باركر يتلعثم وبدأت يداه ترتجفان.

ثم قال: "نعم يا سيدى، هذا صحيح يا سيدى".

"ومع ذلك أردت الدخول عليه؟".

"كنت قد نسيت يا سيدى. إننى دائمًا أحضر له العصائر فى تلك الساعة، وأسأله إن كان يريد شيئًا آخر، وقد حسبت... كنت فقط أقوم بواجبى المعتاد دون تفكير".

فى تلك اللحظة بدأ يتضح لى أن باركر مرتبك بطريقة تثير الريبة؛ فقد كان الرجل يرتجف ويرتعش.

قال المفتش: "أريد رؤية الآنسة فلورا فورًا. سوف نترك هذه الغرفة كما هى الآن، وسوف أعود إلى هنا بعد أن أسمع من الآنسة فلورا ما عندها، وسأغلق النافذة على سبيل الاحتياط".

بعد أن أغلق المفتش النافذة ذهب إلى الصالة وتبعناه جميعًا. سكت لحظة وهو يحدق النظر إلى أعلى باتجاه السلم الصغير ثم تحدث مع الشرطى المصاحب له.

"ابق هنا يا جونز، ولا تدع أحدًا يدخل إلى تلك الغرفة".

تدخل باركر بأدب قائلاً:

"معذرة يا سيدى. لو أنك أغلقت الباب المؤدى إلى الصالة الرئيسية فلن يستطيع أحد الدخول إلى هذا المكان. إن هذا السلم يؤدى إلى غرفة نوم وحمام السيد أكرويد فقط، وهو غير متصل بالغرف الأخرى فى المنزل. كان يوجد ـ فى الماضى ـ باب يصل إليها لكن السيد أكرويد قام بإغلاقه؛ فقد كان يحب أن يشعر بأن جناحه معزول تمامًا".

ولتوضيح الأمور بشكل أكبر ولشرح الوضع، أرفقت مخططًا توضيحيًا للجناح الأيمن من البيت. الدرج الصغير يؤدى ـــ كما أوضح باركر ـــ إلى غرفة نوم كبيرة كانت فى الأصل غرفتين متجاورتين فجعلهما واحدة إضافة إلى حمام مجاور.

أدرك المفتش ذلك الوضع من نظرة واحدة. دخلنا إلى الصالة الكبيرة وأغلق الباب وراءه ثم وضع المفتاح فى جيبه، وبعد ذلك أعطى للشرطى بعض التعليمات بصوت

منخفض فاستعد الأخير للمغادرة.

قال المفتش موضحًا: "لابد أن نعاين آثار الحذاء تلك، ولكن قبل أى شىء أريد التحدث مع الآنسة فلورا فقد كانت آخر من رأى السيد أكرويد على قيد الحياة. هل أخبرها أحدكم بما جرى؟".

هزّ ريموند رأسه نافيًا.

فقال المفتش: "إذن لا حاجة لإخبارها لمدة خمس دقائق أخرى. يمكنها أن تجيب عن أسئلتى بطريقة أفضل إذا لم نزعجها بحقيقة ما حدث لعمها. أخبرها بوقوع محاولة سرقة واطلب منها أن تنزل لتجيب عن بعض الأسئلة".

كان ريموند هو من صعد لتولى هذه المهمة.

وعندما عاد قال: "س-تأتى الآنسة فلورا حالاً. لقد أخبرتها بما طلبته منى بالضبط".

وفى أقل من خمس دقائق كانت فلورا تنزل الدرج. كانت تلف نفسها فى ثوب فضفاض من الحرير، زهرى اللون، وقد بدت متلهفة ومنفعلة.

تقدم المفتش إلى الأمام نحوها وقال بلطف:

"مساء الخير يا آنسة فلورا. أخشى أن تكون عملية سطو قد حدثت ونريد منك مساعدتنا. ما هذه الغرفة؟ غرفة البلياردو؟ تعالى واجلسى هنا".

جلست فلورا فى هدوء على الأريكة العريضة التى كانت تمتد بطول الحائط، ثم رفعت عينيها إلى المفتش.

قالت: "لا أفهم شيئًا. ما الذى سرق؟ وماذا تريد منى أن أخبرك؟".

"إنها مسألة بسيطة يا آنسة فلورا. لقد قال باركر إنك خرجت من غرفة عمك الساعة العاشرة إلا الربع تقريبًا، أهذا صحيح؟".

"نعم. أردت أن أقدم له تحية المساء".

"وهل الوقت مضبوط؟".

"حسنًا، لابد أنه فى حدود ذلك. لا أعرف بالضبط، ربما كان بعد ذلك".

"هل كان عمك بمفرده أم كان معه شخص آخر؟".

"كان بمفرده؛ فقد غادر الدكتور شيبارد قبل ذلك".

"هل لاحظت إن كانت النافذة مفتوحة أم مغلقة؟".

هزت فلورا رأسها نافية:

"لا أعرف؛ لقد كانت الستائر مسدلة".

"هذا صحيح. وهل بدا عمك طبيعيًا؟".

"أعتقد ذلك".

"هل يمكن أن تخبرينا بما دار بينكما من حديث؟".

سكتت فلورا لحظة وكأنها تحاول أن تتذكر.

ثم قالت: "دخلت وقلت له: "طابت ليلتك يا عماه، أنا ذاهبة للنوم، لقد تعبت هذه الليلة "فابتسم ابتسامة خفيفة، فذهبت وقبلته قبلة المساء، وعندها قال شيئًا يمتدح فيه مظهرى والثوب الذى كنت أرتديه ثم طلب منى أن أذهب لأنه مشغول، وبعدها خرجت".

"هل طلب منك بشكل خاص ألا يقاطعه أحد؟".

"نعم، لقد نسيت ذلك. قال "أخبرى باركر بأننى لا أريد أى شىء آخر هذه الليلة، وألا يدخل علىّ أحد فى خلوتى "، وقد قابلت باركر عند الباب وأخبرته برسالة عمى".

قال المفتش: "هذا صحيح".

"ألن تخبرنى بما سُرق؟".

قال المفتش مترددًا: "لسنا... لسنا متأكدين تمامًا".

ظهر الرعب فى عينى الفتاة، ونهضت من مقعدها.

"ما الأمر؟ هل تخفى شيئًا عنى؟".

جاء هكتور بلانت بمشيته المعتادة ووقف بينها وبين المفتش. مدت يدها قليلاً فأمسك بها بكلتا يديه وربت عليها وكأنها طفل صغير، فالتفتت إليه وكأن شيئًا فى ملامحه الجامدة القاسية يبشر بالراحة والسلامة.

قال بهدوء: "هناك أخبار سيئة يا فلورا. أخبار سيئة لنا جميعًا. إن الأمر يتعلق بعمك روجر...".

"ماذا أصابه؟".

"سيكون الأمر بمثابة صدمة لك، بل هى صدمة كبيرة؛ لقد مات روجر المسكين".

ابتعدت فلورا عنه والرعب يملأ عينيها.

همست قائلة: "متى؟ متى؟".

قال بلانت فى حزن: "بعد أن تركته تمامًا".

تحسست فلورا رقبتها وصرخت صرخة صغيرة فأسرعت لأمسك بها قبل أن تسقط

على الأرض، ثم حملتها مع بلانت ـــ وهى فاقدة الوعى ـــ إلى غرفتها ووضعناها فوق سريرها، وطلبت منه أن يوقظ السيدة أكرويد ويخبرها بما حدث. استعادت فلورا وعيها بسرعة، وجاءت أمها فأرشدتها كيف تتصرف مع الفتاة، ثم نزلت مرة أخرى مسرعاً.

الفصل السادس

الخنجر التونسى

قابلت المفتش أثناء خروجه من الباب المؤدى إلى منطقة المطبخ.

"كيف حال الفتاة يا دكتور؟".

"إنها تستعيد وعيها بشكل جيد، وأمها معها الآن".

"جيد. كنت أستجوب الخدم، وكلهم قالوا إن أحداً لم يدخل من الباب الخلفى هذه الليلة. إن وصفك لذلك الغريب كان غامضاً. ألا يمكنك إعطائى وصفاً أكثر تحديداً بحيث نعتمد عليه؟".

قلت آسفاً: "أخشى أننى لا أستطيع. كانت ليلة معتمة، وكان الرجل يرفع ياقة معطفه إلى رقبته وقبعته تغطى عينيه".

قال المفتش: "آه، يبدو أنه أراد إخفاء وجهه. هل أنت واثق من أنه شخص لا تعرفه؟".

أجبته بالإيجاب ولكن ليس بشكل قاطع؛ فلقد أتانى ذلك الانطباع بأن صوت الغريب كان مألوفاً لدى، وبشكل متردد شرحت ذلك للمفتش.

"أتقول إن صوته كان خشناً ولا يوحى بالثقافة والتأدب؟".

وافقته القول، ولكن بدا لى أن الخشونة كانت أمراً مبالغاً فيه، ولو كان الرجل يحاول إخفاء وجهه ـ كما يظن المفتش ـ فربما كان يحاول إخفاء صوته أيضاً.

"هلا جئت معى إلى المكتب مرة أخرى يا دكتور! هناك بعض الأمور أود سؤالك عنها".

تحركت بصحبته، وفتح المفتش دايفيس باب الردهة ودخلنا ثم أغلق الباب وراءه مرة أخرى من خلفه.

قال عابساً: "لا نريد لأحد أن يزعجنا، أو يتنصت علينا. والآن ماذا عن موضوع الابتزاز هذا؟".

صحت وقد فوجئت كثيراً: "ابتزاز!".

"أهو مجرد وهم من جانب باركر، أم أن فى الأمر شيئًا؟".

قلت ببطء: "لو أن باركر سمع أى شىء بخصوص ابتزاز، فلابد أنه كان يتنصت وراء الباب واضعاً أذنه على فتحة المفتاح".

أومأ دايفيس برأسه وقال:

"وهو أمر لا يستغرب منه. لقد كنت أقوم ببعض التحقيق عما كان باركر يقوم به هذا المساء، والحقيقة أن سلوكه لم يعجبنى؛ فالرجل يعرف شيئًا، وعندما بدأت أستجوبه ثار وارتاع وذكر قصة مشوشة عن الابتزاز".

أخذت قراراً سريعًا.

وقلت: "أنا سعيد أنك أثرت هذه المسألة. كنت أحاول تقرير ما إذا كان يتوجب علىّ مصارحتك ببعض الأمور أم لا. كنت فى الواقع قد قررت إخبارك بكل شىء لكنى كنت أنتظر لحين وجود فرصة مناسبة. عموماً يمكننى إخبارك الآن".

وبدأت أحكى له كل الأحداث التى جرت هذا المساء كما سردتها هنا تماماً. أصغى إلىّ المفتش باهتمام وكان يتدخل بسؤال من وقت لآخر.

وعندما انتهيت من الكلام قال المفتش: "إنها أغرب قصة سمعتها فى حياتى، كما أنك تقول إن الرسالة قد اختفت تماماً، يبدو الأمر سيئًا... يبدو سيئًا جداً. إن ذلك يعطينا ما كنا نبحث عنه؛ الدافع إلى القتل".

أومأت برأسى وقلت: "أدرك هذا".

"أتقول إن السيد أكرويد ألمح إلى تشككه فى تورط واحد من أهل بيته؟ إن عبارة أهل البيت هذه عبارة مطّاطة".

قلت: "ألا ترى أن باركر نفسه قد يكون الرجل الذى نبحث عنه؟".

"يبدو أن هذا هو المحتمل. من الواضح أنه كان يتنصت عند الباب عندما خرجت أنت، ثم جاءت الآنسة فلورا بعد ذلك ورأته وهو على

وشك دخول حجرة المكتب. لنفترض أنه حاول الدخول مرة أخرى بعد ذهابها، وربما طعن أكرويد وأغلق الباب من الداخل وفتح النافذة

وخرج منها ثم ذهب إلى باب جانبى كان قد تركه مفتوحاً. ما رأيك؟".

قلت ببطء: "يوجد شىء واحد لا يتفق مع هذا الافتراض، لو أن أكرويد أكمل قراءة تلك الرسالة بعد خروجى مباشرة من عنده ـ وهو ما

كان يعتزمه ـ فلا أظن أنه كان سيظل جالساً فى مقعده يقلب الأمور ويفكر لمدة

ساعة أخرى. كان سيطلب باركر على الفور ويتهمه

بشكل مباشر، وكان سيحدث هرج وصخب. تذكر أن أكرويد كان رجلاً سريع الغضب".

قال المفتش: "ربما لم يكن لديه ما يكفى من الوقت لكى يكمل قراءة الرسالة. إننا نعرف أن شخصاً كان عنده فى التاسعة والنصف، ولو

كان ذلك الشخص قد ظهر عندما خرجت أنت من عنده ثم دخلت الآنسة فلورا بعد رحيله لما تمكن أكرويد من مواصلة قراءة الرسالة إلا

بعد أن اقتربت الساعة من العاشرة".

"وماذا عن المكالمة الهاتفية؟".

"باركر هو الذى اتصل دون شك. ربما قبل أن يفكر بالباب المغلق والنافذة المفتوحة، ثم غيّر رأيه... أو أصابه الرعب، فقرر إنكار كل

معرفة بأمر المكالمة. هذا ما حدث... ثق أنه صحيح".

قلت متردداً: "ن...نعم".

"على أى حال، يمكننا اكتشاف حقيقة المكالمة الهاتفية من مركز الهاتف. لو أن المكالمة أجريت من هنا، فلا يمكن أن يكون المتكلم غير باركر. ثق أنه هو الرجل الذى نبحث عنه، ولكن تكتم هذا الأمر... لا نريد أن نشعره بشىء إلى أن نحصل على كل الأدلة. سأعمل على ألا يفلت منا، وفى الظاهر سنركز على رجلك الغريب لغامض".

نهض من مقعده خلف المكتب وذهب إلى الجثة الملقاة على الكرسى.

ثم قال وهو يرفع عينيه: "يجب أن يعطينا السلاح مفتاحاً للسر. إنه خنجر فريد... مظهره يوحى بأنه خنجر أثرى".

مال على الجثة يتفحص مقبض الخنجر باهتمام شديد وبدت على وجهه أمارات الرضا، ثم ضغط بيديه أسفل المقبض بحذر شديد وسحب النصل من مكانه، ثم حمله بحذر حتى لا يلمس المقبض ووضعه فى إبريق واسع من الفخار الصينى كان على رف الموقد.

قال وهو يشير برأسه تجاه الخنجر: "نعم، إنه تحفة فنية. لا يمكن أن يكون هناك الكثير منه هنا".

كان خنجراً جميلاً حقاً، بنصل رفيع مستدق الطرف ومقبض معدنى عليه نقوش دقيقة غريبة. تحسس الشفرة بإصبعه بحذر ليختبر حدتها، ثم زم شفتيه فى إعجاب قائلاً:

"يا إلهى! يا لها من شفرة حادة! يمكن لأى طفل أن يغرسه فى جسد رجل بأسهل من قطع الزبد. إنه لعبة أخطر من أن تترك ملقاة هكذا".

سألته: "هل يمكننى الآن فحص الجثة بشكل كامل؟".

أومأ برأسه موافقًا وقال:

"تفضل".

قمت بعمل فحص دقيق للجثة.

وعندما انتهيت سأل المفتش: "حسنًا؟".

"سأوفر عليك العبارات الفنية التى سأتركها للتحقيق. إن القاتل رجل يستخدم يده اليمنى وكان يقف وراء القتيل تمامًا ولابد أن الوفاة كانت فورية، ومن خلال التعبير الظاهر على وجه القتيل، أظن أن الطعنة كانت غير متوقعة. ربما مات دون أن يعرف من الذى قتله".

قال المفتش دايفيس: "الخدم يستطيعون التسلل بهدوء مثل القطط. لن تكون هذه الجريمة لغزًا كبيرًا. انظر إلى مقبض الخنجر".

ألقيت نظرة على الخنجر.

قال المفتش: "أعتقد أنها غير واضحة بالنسبة لك، ولكنى أستطيع رؤيتها بوضوح "، ثم خفض صوته وأكمل: "بصمات!".

ووقف على بعد خطوات ليرى تأثير كلامه علىّ.

قلت بهدوء: "نعم، لقد خمنت ذلك".

لا أفهم لماذا يفترض أن أكون جاهلاً بهذه الأمور؛ فأنا ـ على كل حال ـ أقرأ قصصًا بوليسية وصحفًا، كما أننى رجل ذو ذكاء متوسط، ولو كانت على مقبض الخنجر بصمات لأصابع القدم مثلاً لكان الأمر مدهشًا بحق!

أظن أن المفتش تضايق منى لأننى لم أُظهر دهشة وانفعالاً. حمل إبريق الفخار ودعانى لمرافقته إلى غرفة البلياردو.

ثم قال موضحًا: "أريد أن أرى إن كان بوسع السيد ريموند إخبارنا بأى شىء عن الخنجر".

بعد أن أغلقنا الباب الخارجى خلفنا مرة أخرى ذهبنا إلى غرفة البلياردو؛ حيث وجدنا جيفرى ريموند. رفع المفتش الإبريق الذى به الخنجر وقال:

"هل رأيت هذا الخنجر من قبل يا سيد ريموند؟".

"ماذا... أظن ـــ بل أنا واثق تقريباً ـ أنه تحفة أثرية أهداها الميجور بلانت للسيد أكرويد. إنه من المغرب. لا، بل من تونس. إذن فهذه أداة الجريمة، أليس كذلك؟ يا له من أمر غريب! يكاد يبدو مستحيلاً، ومع ذلك لا يمكن أن يوجد خنجران متشابهان. هل أذهب وأستدعى الميجور بلانت؟".

ثم أسرع خارجاً دون أن ينتظر إجابة.

فقال المفتش: "إنه شاب لطيف وتبدو عليه أمارات النزاهة والذكاء".

وافقته القول؛ فخلال السنتين اللتين عمل فيهما ريموند سكرتيراً لدى أكرويد لم أره منزعجاً أو فاقداً لأعصابه، ولقد كان ـ على قدر علمى ـ سكرتيراً بالغ الكفاءة.

عاد ريموند بعد قليل وبصحبته الميجور بلانت.

قال ريموند بانفعال: "كنت على حق... إنه الخنجر التونسى".

قال المفتش معترضاً: "الميجور بلانت لم ير الخنجر بعد".

قال الرجل الهادئ: "لقد رأيته فى اللحظة الأولى التى دخلت فيها إلى حجرة المكتب".

"إذن فقد تعرفت عليه حينها؟".

أومأ بلانت بالإيجاب.

فقال المفتش بارتياب: "لكنك لم تقل شيئاً عنه".

"لم يكن الوقت مناسباً. كثير من الضرر يقع عندما يلقى المرء الكلام جزافاً فى غير وقته".

قابل بلانت نظرات المفتش بهدوء.

أما الأخير فقد تأفف واستدار مبتعداً، وسرعان ما جاء بالخنجر إلى بلانت.

وقال: "هل أنت واثق يا سيدى؟ هل تميزه بشكل أكيد؟".

"قطعاً، لاشك فى ذلك".

"أين كان يحتفظ بهذا الـ... هذه التحفة الأثرية فى العادة؟ هل يمكنك أن تخبرنى بهذا؟".

كان السكرتير هو الذى أجابه:

"فى طاولة الفضيات التى فى غرفة الاستقبال".

صحت قائلاً: "ماذا؟".

نظر الآخرون إلىّ فى تعجب.

وقال المفتش مشجعًا: "نعم، يا دكتور، ماذا لديك؟".

قلت: "لاشىء".

قال المفتش مرة أخرى: "ماذا لديك يا دكتور؟".

قلت بلهجة معتذرة: "ربما كان أمرًا لا قيمة له، إلا أننى عندما جئت إلى هنا للعشاء سمعت غطاء طاولة الفضيات يغلق فى غرفة الاستقبال".

رأيت على وجه المفتش شكوكًا عميقة وأثرًا من اشتباه.

قال: "وكيف عرفت أنه غطاء طاولة الفضيات؟".

أوضحت له الأمر بالتفصيل. كان شرحًا طويلاً ومملاً، وكنت أفضل عدم الخوض فيه بالتأكيد.

وقد أصغى إلىّ المفتش حتى النهاية.

سألنى بعدها: "هل كان الخنجر فى مكانه عندما نظرت إلى محتويات الطاولة؟".

أجبت قائلاً: "لا أعرف... لا أذكر أننى انتبهت لذلك، ولكن ربما كان موجودًا طوال الوقت".

قال المفتش: "الأفضل أن نستدعى مديرة المنزل". ثم ضرب الجرس.

بعد عدة دقائق دخلت الآنسة راسل الغرفة بعد أن استدعاها باركر.

وقد ردت على سؤال المفتش قائلة: "لا أظن أننى اقتربت من طاولة الفضيات. لقد ذهبت إلى الغرفة لأتأكد من أن الورود لم تذبل. آه، نعم، لقد تذكرت الآن. كانت طاولة الفضيات مفتوحة... وهو أمر لم يكن معهودًا... وعندما مررت بجانبها أغلقت الغطاء".

ثم نظرت إليه نظرات عدوانية.

فقال المفتش: "حسنًا، هل يمكنك إخبارى إن كان هذا الخنجر موجودًا مكانه وقتها؟".

نظرت الآنسة راسل إلى السلاح بهدوء ثم أجابت:

"لا أستطيع القول بأننى متأكدة. لم أتوقف لأنظر؛ فقد كنت أعرف أن العائلة ستأتى فى أية لحظة ولذلك أردت الخروج".

قال المفتش: "شكرًا لك".

كان فى سلوكه شىء من التردد، كأنما أراد أن يوجه إليها مزيداً من الأسئلة، ولكن بدا واضحاً أن الآنسة راسل قد فهمت كلماته على أنها إذن بالانصراف من الغرفة ولذلك خرجت مسرعة.

قال المفتش وهو ينظر إليها وهى خارجة: "يخيل إلى أنها امرأة شديدة المراس، أليس كذلك؟ حسناً، أظنك، يا دكتور، قلت إن طاولة الفضيات كانت أمام إحدى النوافذ، أليس كذلك؟".

أجاب ريموند نيابة عنى:

"نعم، أمام النافذة اليسرى".

"وهل كانت النافذة مفتوحة؟".

"كانت النافذتان مفتوحتين قليلاً".

"حسناً، لا حاجة للغوص فى هذه المسألة أكثر من ذلك. كان يمكن لشخص ما ــ سأقول فقط شخص ما ــ الحصول على الخنجر فى أى وقت شاء، ولا يهم متى أخذه. سوف آتى فى صباح الغد مع رئيس الشرطة يا سيد ريموند، وحتى ذلك الحين سأحتفظ بمفتاح هذا الباب؛ لأنى أريد أن يرى الكولونيل ميلروس كل شىء كما هو تماماً. لقد عرفت أنه يتناول عشاءه فى منطقة بعيدة من المقاطعة، وأظنه سيقضى الليلة هناك".

راقبنا المفتش وهو يرفع الإبريق.

ثم قال: "سأغلف هذا بحذر شديد. سيكون دليلاً مهماً للغاية".

وبينما كنت خارجاً من غرفة البلياردو بعد دقائق مع ريموند صدرت عن ريموند ضحكة خافتة.

أحسست بضغط يده على ذراعى، فنظرت إلى ما كان ينظر إليه. كان المفتش دايفيس يسأل باركر عن رأيه فى مفكرة جيب صغيرة.

تمتم ريموند قائلاً: "أليس هذا واضحاً بعض الشىء؟ إذن باركر هو المشتبه به، أليس كذلك؟ هل نتفضل على المفتش دايفيس ونعطيه بصمات أصابعنا نحن الآخرين؟".

ثم أخذ بطاقتين من علبة البطاقات ومسحهما بمنديله ثم أعطانى واحدة وأخذ الأخرى، ثم أخذ البطاقتين وأعطاهما للمفتش وهو يبتسم.

قال: "هدايا تذكارية... الأولى للدكتور شيبارد والثانية لخادمكم المتواضع. سوف أعطيك بطاقة عليها بصمات الميجور بلانت فى صباح الغد".

يا له من شاب مرح، حتى عملية القتل الوحشية لصديقه ورئيسه لم تطفئ فى نفس

ريموند روح المرح لفترة طويلة، وربما كان ذلك هو ما ينبغى أن يحدث. لكنى، لا أدرى، لقد فقدت ـ شخصياً ـ القدرة على استحضار تلك الروح منذ زمن بعيد.

كانت الساعة متأخرة جداً عندما عدت إلى البيت، وكنت آملاً أن تكون كارولين نائمة، ولكن بدا أننى مازلت لا أعرفها جيداً.

كانت قد أعدت فنجاناً من الكاكاو الساخن فى انتظارى، وبينما كنت أشربه، انتزعت منى قصة تلك الليلة كاملة. لم أخبرها عن موضوع الابتزاز، بل اكتفيت بإخبارها بالحقائق المتصلة بجريمة القتل.

قلت وأنا أنهض استعداداً للصعود إلى النوم: "الشرطة تشتبه فى باركر، ويبدو أن خيوط القضية تجمعت ضده بشكلٍ كافٍ".

قالت كارولين: "باركر؟ هذا هراء! لابد أن هذا المفتش مغفل تماماً. باركر يقتل! يا للغباء!".

وبهذه العبارة الغامضة ذهبنا إلى النوم.

الفصل السابع

عرفت مهنة جارى

فى صباح اليوم التالى قمت بجولتى المعتادة لتفقد مرضاى لكنى فعلت ذلك بسرعة شديدة. كان عذرى هو عدم وجود حالات بالغة

الخطورة أقوم على رعايتها، وعند عودتى جاءت كارولين إلى الصالة لتحيتى.

قالت بصوت هامس منفعل: "فلورا أكرويد هنا".

"ماذا؟".

أخفيت دهشتى عنها قدر الإمكان.

"إنها تتلهف لرؤيتك، وهى موجودة هنا منذ نصف ساعة".

تقدمت كارولين إلى غرفة الجلوس الصغيرة وتبعتها.

كانت فلورا جالسة على أريكة قرب النافذة. كانت ترتدى ثوبًا أسود وكانت تفرك يديها بعصبية وهى جالسة، وقد صُدمت لرؤية وجهها؛

فقد كان شاحبًا جدًا، لكنها كانت رابطة الجأش هادئة عندما تكلمت.

قالت: "دكتور شيبارد، لقد جئت طلبًا لمساعدتك".

قالت كارولين: "بالطبع، سيساعدك يا عزيزتى".

لا أظن أن فلورا كانت ترغب فى وجود كارولين معنا. كنت واثقًا من أنها كانت تفضل محادثتى على انفراد، لكنها لم ترد إضاعة أى وقت

ولذلك عمدت مباشرة إلى موضوعها.

"أريدك أن تأتى معى إلى منزل عائلة لارشيز".

صحت وقد فوجئت: "لارشيز!".

صاحت كارولين: "لرؤية ذلك الرجل الغريب الضئيل؟".

"نعم، هل تعرفون من هو؟".

قلت: "ظننا أنه حلاق متقاعد".

فتحت فلورا عينيها الزرقاوين على اتساعهما.

ثم قالت: "إنه هيركيول بوارو! تعرف من أقصد... التحرى الخاص. يقولون إنه قد فعل أشياء رائعة جداً... تماماً كما يفعل رجال التحرى

فى الروايات، ولقد تقاعد منذ عام وجاء للعيش هنا، وكان عمى يعرف من هو لكنه وعده بألا يخبر أحداً عنه لأن السيد بوارو أراد العيش

بهدوء بعيداً عن مضايقة الناس".

قلت ببطء: "هذا هو الأمر إذن".

"لا شك أنك سمعت عنه، أليس كذلك؟".

"أنا رجل عتيق الطراز ـ كما تقول كارولين ـــ ولكنى سمعت به بالطبع".

علّقت كارولين قائلة: "أمر غريب!".

لا أدرى ما الذى كانت تقصده. ربما كانت تقصد فشلها فى اكتشاف الحقيقة.

سألتها ببطء: "تريدين الذهاب لرؤيته؟ ولكن لماذا؟".

قالت كارولين بحدة: "لنطلب منه التحقيق فى هذه الجريمة بالطبع. لا تكن غبياً يا جيمس!".

لم أكن غبياً حقاً، ولكن كارولين لا تفهم دائماً ما أقصده.

أكملتُ قائلاً: "إذن فأنتِ لا تثقين فى المفتش دايفيس؟".

قالت كارولين: "طبعاً لا تثق فيه، أنا أيضاً لا أثق فيه!".

كان من السهل أن يعتقد أى شخص أن عم كارولين هو الذى قُتِل!

تساءلتُ قائلاً: "وكيف تعرفين أنه سيقبل تولى القضية؟ تذكرى أنه تقاعد من عمله".

قالت فلورا ببساطة: "هنا تكمن المشكلة، سيتعين علىّ إقناعه".

سألتها بجدية: "هل أنت واثقة من أنك تتصرفين بعقلانية؟".

قالت كارولين: "بالطبع، سأذهب معها بنفسى إن أحبت".

قالت فلورا: "أفضل أن يأتى الطبيب معى إن كنت لا تمانعين يا آنسة كارولين".

إن فلورا تعرف جيداً قيمة الصراحة فى مناسبات معينة؛ لأن أى تلميح سيكون مجرد مضيعة للوقت مع كارولين.

ثم أضافت فلورا ـ موضحة ـ ومغلفة صراحتها ببعض اللباقة: "أتدرين لماذا؟ لأن الدكتور شيبارد طبيب وكذلك لأنه من اكتشف الجثة،

وهو يستطيع إعطاء كل التفاصيل للسيد بوارو".

قالت كارولين متذمرة: "نعم، أفهم ذلك".

ذرعتُ الغرفة جيئة وذهابًا مرة أو مرتين.

ثم قلت بكل جدية: "فلورا، استمعى لإرشادى. أنصحك ألا تقحمى رجل التحرى هذا فى القضية".

قفزت فلورا من مقعدها وقد احمرّت وجنتاها.

وصاحت: "أعرف لِمَ تقول هذا، ولكنى ـ لهذا السبب بالذات ـ مهتمة جدًا بالذهاب إليه، أنت خائف، لكنى لَست خائفة! إننى أعرف رالف

أكثر منك".

قالت كارولين: "رالف! وما علاقة رالف بالأمر؟".

لم يعرها أحد منّا أى اهتمام.

وأكملت فلورا تقول: "قد يكون رالف ضعيفًا، وربما فعل أشياء سخيفة فى الماضى ـــ بل ربما كانت أشياء قذرة ـــ لكنه لا يمكن أن يقتل

أحدًا".

صحت: "لا، لا؛ لم أظن به هذا أبدًا".

سألت فلورا: "إذن لماذا ذهبت إلى فندق ثرى بورز فى الليلة الماضية وأنت عائد إلى بيتك ـــ بعد أن وجدت جثة عمى؟".

سكتٌ بعض الوقت. كنت آملاً أن تبقى زيارتى تلك سرية.

سألتها: "وكيف عرفت هذا؟".

قالت فلورا: "ذهبت إلى هناك صباح اليوم، وسمعت من الخدم أن رالف كان يقيم هناك...".

قاطعتها قائلاً: "أما كنتِ تعرفين أنه موجود فى القرية؟".

"أبدًا؛ لقد صعقت، لم أفهم ذلك. ذهبت إلى هناك وسألت عنه فأخبرونى بما أظن أنهم أخبروك به الليلة الماضية... بأنه خرج فى التاسعة

تقريبًا من مساء الأمس ولم يعد للفندق ثانية".

التقت عيناها بعينىّ فى تحدٍ، ثم قالت غاضبة وكأنها تجيب عن شىء فى نظراتى:

"ولماذا لا يغادر؟ ربما ذهب... إلى أى مكان. ربما عاد حتى إلى لندن".

سألتها بلطف: "تاركًا حقائبه وراءه؟".

ضربت فلورا الأرض بقدمها وقالت: "لا يهمنى، لابد من وجود تفسير معقول للأمر".

"ولهذا تريدين الذهاب إلى هيركيول بوارو؟ أليس من الأفضل ترك الأمور تسير كما هى؟ تذكرى أن الشرطة لا تشك فى رالف أبدًا، إنهم

يعملون فى اتجاه مختلف تمامًا".

صاحت الفتاة: "هذه هى المشكلة، إنهم يشتبهون فيه بالفعل. لقد جاء رجل من شرطة كرانشستر هذا الصباح، المفتش راغلان، وهو

رجل ضئيل الحجم ومراوغ، وعرفت أنه ذهب إلى الفندق هذا الصباح قبلى، ولقد أخبرونى بكل شىء عن زيارته وعن الأسئلة التى

سألها. لابد أنه يشك أن رالف هو القاتل".

قلت ببطء: "إن كان كذلك فهذا يمثل تغييرًا عما كانوا يظنونه الليلة الماضية. إذن فهو لا يرى رأى المفتش دايفيس فى أن الفاعل هو

باركر؟".

قالت أختى متأففة: "عدنا إلى باركر ثانية!".

تقدمت فلورا نحوى وقالت: "دعنا نذهب إلى السيد بوارو هذا يا دكتور شيبارد. سوف يكتشف الحقيقة".

قلت برقة: "عزيزتى فلورا، هل أنت واثقة من أننا نريد الحقيقة؟".

نظرت إلىّ وهى تومئ بهدوء وتقول:

"أنت غير واثق، أما أنا فواثقة؛ إننى أعرف رالف أكثر مما تعرفه أنت".

قالت كارولين، التى كانت تبذل جهودًا مضنية للحفاظ على صمتها: "إنه لم يفعلها بالطبع. قد يكون رالف متهورًا لكنه شاب محبوب

وسلوكه لطيف".

أردت أن أقول لكارولين إن كثيرًا من المجرمين ذوو سلوك لطيف، لكن وجود فلورا منعنى من ذلك، وبما أن الفتاة كانت عازمة على

أمرها فقد أُجبرتُ على الاستسلام لها، فانطلقنا قبل أن تستطيع كارولين قول أى جملة أخرى تبدأ بكلمتها المفضلة "بالطبع".

فتحت لنا الباب فى ـ منزل لارشيز ـــ امرأة مسنة تلبس قبعة كبيرة، وكان السيد بوارو فى البيت كما يبدو.

قادتنا المرأة إلى غرفة جلوس صغيرة مرتبة ترتيباً أنيقاً، وبعد أن جلسنا هناك دقيقة أو نحوها جاء إلينا صديق الأمس.

قال مبتسماً: "عزيزى الدكتور، آنستى، مرحباً".

بدأت الكلام قائلاً: "ربما سمعت عن المأساة التى وقعت ليلة أمس".

تجهم وجهه وقال:

"سمعت بالتأكيد، إنه أمر غريب. تعازىّ الحارة يا آنسة. بأى طريقة يمكن أن أساعدكما؟".

قلت: "الآنسة فلورا تريدك أن... أن...".

قالت فلورا بصوت واضح: "أن تعثر على القاتل".

قال الرجل الصغير: "فهمت، ولكن رجال الشرطة سيفعلون هذا، أليس كذلك؟".

قالت فلورا: "قد يخطئون... بل أظن أنهم فى طريقهم للوقوع فى الخطأ الآن. أرجوك يا سيد بوارو، هلا ساعدتنا؟ إذا... إذا كانت المسألة

مسألة مال...".

رفع بوارو يده معترضاً.

ثم قال: "ليس بسبب هذا، أرجوك يا آنسة، وليس معنى كلامى أننى لا أهتم بالمال". طرفت عيناه قليلاً ثم قال: "المال يعنى لى الكثير،

وقد كان دوماً كذلك. كلا، إنما إذا تدخلت فى هذا الأمر فيجب أن تفهمى شيئاً واحداً بوضوح، وهو أننى سأكمل الطريق حتى النهاية.

تذكّرى أن كلب الصيد الجيد لا يترك الأثر أبداً! وربما قد تتمنين ـ فى نهاية الأمر ـ لو أنك تركت الأمر للشرطة".

قالت فلورا وهى تنظر إليه مباشرة: "أريد الحقيقة".

"كل الحقيقة؟".

"نعم، كل الحقيقة".

قال الرجل الضئيل بهدوء: "إذن فقد قبلت، ولكن أرجو ألاّ تندمى على تلك الكلمات. أخبرونى الآن عن كل الملابسات".

قالت فلورا: "من الأفضل أن يخبرك الدكتور شيبارد؛ إنه يعرف أكثر مما أعرف".

وهكذا بدأت ـ كما طُلبَ منى ـ فى سرد دقيق لجميع الحقائق التى سجلتها هنا من قبل. أصغى بوارو باهتمام طارحًا من وقت لآخر سؤالاً

هنا أو هناك، ولكنه ظل يجلس صامتًا وهو ينظر إلى السقف طوال الوقت تقريبًا.

ثم ختمت قصتى بمغادرتنا أنا والمفتش بيت السيد أكرويد فى الليلة الماضية.

بعد أن انتهيت قالت فلورا: "والآن، أخبره كل شىء عن رالف".

ترددت، لكن نظراتها الآمرة حثتنى على المضى قدمًا.

سألنى بوارو، بعد أن انتهيت من كلامى: "لقد ذهبت إلى ذلك الفندق، ثرى بورز، الليلة الماضية وأنت عائد إلى بيتك؟ لماذا فعلت ذلك

بالضبط؟".

سكتٌ لحظة لأختار كلماتى بعناية ثم قلت:

"رأيت أنه لابد لأحد من إبلاغ الشاب بوفاة عمه، وخطر لى، بعد مغادرتى منزل القتيل، أنه لا أحد غيرى وغير السيد أكرويد يعرف أنه

يقيم فى القرية".

أومأ بوارو برأسه.

"صحيح، أكان هذا هو السبب الوحيد الذى ذهبت إليه من أجله؟".

قلتُ فى حزم: "نعم؛ كان هذا سببى الوحيد".

"ألم يكن ذهابك حتى... حتى تطمئن على الفتى؟".

"أطمئن؟".

"أنت تعرف جيداً ما أعنيه يا حضرة الدكتور، رغم تظاهرك بعدم المعرفة. أظن أنك كنت ستشعر بالاطمئنان إذا ما وجدت أن الكابتن

باتون كان موجوداً فى الفندق طوال المساء".

قلت بحدة: "على الإطلاق".

هزّ الرجل الصغير رأسه فى عبوس.

"أنت لا تثق بى مثلما تفعل الآنسة فلورا، ولكن لا يهم. ما ينبغى أن نركز عليه هو

أن الكابتن باتون مفقود فى ظروف تستدعى تفسيراً

لغيابه. لن أخفى عنكما أن المسألة تبدو خطيرة، ومع ذلك، قد يكون لها تفسير بسيط جداً".

صاحت فلورا بحماس: "هذا ما كنت أقوله".

لم يعلق بوارو على الموضوع أكثر من ذلك، وبدلاً من ذلك طلب زيارة الشرطة، وطلب من فلورا العودة إلى بيتها، بينما طلب منى

مصاحبته إلى هناك وتقديمه إلى الضابط المسئول عن القضية.

قمنا بهذه الخطة على التو. وجدنا المفتش دايفيس خارج مركز الشرطة مهموماً جداً، وكان معه رئيس الشرطة، الكولونيل ميلروس،

ورجل آخر لم أجد صعوبة فى التعرف عليه من خلال وصف الآنسة فلورا له بالمراوغ، وهو المفتش راغلان من كرانشستر.

كنت أعرف الكولونيل ميلروس معرفة جيدة، فقدمت له بوارو وشرحت الموقف. كان واضحاً أن رئيس الشرطة منزعج من هذا التطور،

وبدا المفتش راغلان عابساً مكفهراً، أما المفتش دايفيس فبدا مبتهجاً قليلاً لرؤية علامات الضيق والانزعاج على وجه رئيسه.

قال راغلان: "هذه القضية واضحة وضوح الشمس، ولن يكون هناك داعٍ لتدخل الهواة فى القضية؛ فمن شأن أى مغفل أن يرى الطريقة

التى حدثت بها الأمور الليلة الماضية، ولذلك ما كان لنا أن نضيع اثنتى عشرة ساعة من التخمين".

كان يوجه نظراته الحاقدة إلى المسكين دايفيس الذى قابلها ببرود تام.

أما الكولونيل ميلروس فقال بلباقة: "من حق عائلة السيد أكرويد أن تقوم بما تراه مناسباً بالطبع، لكننا لا نريد إعاقة التحقيق الرسمى

بأى حال من الأحوال. إننى أعرف السمعة الطيبة التى يتحلى بها السيد بوارو بالطبع".

قال راغلان: "إن رجال الشرطة لا يستطيعون لسوء الحظ عمل دعاية لأنفسهم".

كان بوارو هو الذى تدخل وأنقذ الموقف.

حيث قال: "الحقيقة أننى تقاعدت من عملى وعزمت على ألاّ أتولى أى قضية مرة أخرى، وفوق كل شىء فإننى أخاف من الشهرة،

وأرجو ألاّ يُذكر اسمى فى حالة استطاعتى المشاركة فى حل اللغز".

انفرجت أسارير المفتش راغلان قليلاً.

قال الكولونيل وقد هدأت أعصابه: "لقد سمعت ببعض نجاحاتك الباهرة".

قال بوارو بهدوء: "لقد اكتسبت خبرة كبيرة بالفعل، ولكننى حققت معظم نجاحى بمساعدة الشرطة. وأنا معجب كثيراً بجهاز الشرطة،

ولو أذن لى المفتش راغلان بمساعدته فهذا يشرفنى ويمثل إطراء لى".

صارت ملامح المفتش أكثر انفراجًا وتسامحًا.

سحبنى الكولونيل ميلروس جانبًا وتمتم قائلاً:

"لقد قام هذا الرجل ـ كما سمعت ـ بأشياء لافتة للنظر حقًا. إننا نحرص على عدم استدعاء شرطة سكوتلانديارد بالطبع. يبدو أن راغلان

واثق من نفسه كثيراً، لكنى لست واثقًا جدًا من أننى أتفق معه؛ فأنا أعرف أصحاب القضية أكثر منه. يبدو أن هذا الرجل لا يبحث عن

الشهرة، أليس كذلك؟ سوف ينسق عمله معنا ولن يتدخل فيما لا يعنيه، أليس كذلك؟".

قلت بجدية: "سيعمل لتحقيق مجد أكبر للمفتش راغلان".

قال الكولونيل ميلروس مبتهجًا وبصوت مرتفع: "حسنًا، حسنًا، يجب أن نعلمك بآخر التطورات يا سيد بوارو".

قال بوارو: "أشكرك. أخبرنى صديقى الدكتور شيبارد شيئًا عن الاشتباه فى الخادم؟".

قال راغلان على الفور: "هذا كله هراء، هؤلاء الخدم العاملون لدى الطبقات الراقية يرتاعون إلى الحد الذى يتصرفون معه بطريقة تبعث

على الريبة دون سبب".

قلت متعجبًا: "ماذا عن البصمات؟".

"لا تطابق بصمات باركر".

ابتسم ابتسامة خفيفة ثم قال: "كما أن بصماتك يا دكتور وبصمات السيد ريموند لا تنطبق هى الأخرى".

سأله بوارو بهدوء: "وماذا عن بصمات الكابتن رالف باتون؟".

أحسست بإعجاب داخلى بالطريقة التى يتولى بها معالجة الأمر. رأيت علامات الاحترام تظهر فى عينى المفتش.

قال المفتش: "أرى يا سيد بوارو أنه لا يفوتك شىء. سيسعدنى العمل معك، سنأخذ بصمات الشاب عندما نعثر عليه".

قال الكولونيل متحمسًا: "لا أملك إلا أن أشعر بأنك مخطئ أيها المفتش. لقد عرفت رالف باتون منذ أن كان صبيًا، وهو لا يمكن أن ينحط

إلى مستوى ارتكاب جريمة قتل".

قال المفتش ببرود: "ربما".

سألته: "ماذا لديك ضده؟".

"لقد خرج الساعة التاسعة فى الليلة الماضية، وقد شوهد قرب فيرنلى بارك حوالى التاسعة والنصف، ولم يره أحد بعدها. يُعتقد أنه

يعانى من صعوبات مالية كبيرة، وقد حصلت على حذائه، وهو حذاء بنعل من مطاط. لديه زوجان من الأحذية متشابهان تمامًا، وأنا

ذاهب الآن لمقارنتهما مع آثار الحذاء فى غرفة القتيل. الشرطى موجود هناك لمنع أى شخص من العبث بها".

قال الكولونيل ميلروس: "سنذهب على الفور. هل ستأتى معنا أنت والسيد بوارو؟".

وافقنا، وانطلقنا جميعًا فى سيارة الكولونيل. كان المفتش حريصًا على الذهاب فورًا إلى غرفة القتيل لمعاينة آثار الأقدام وطلب أن

ننزله عند كوخ الحارس، وفى منتصف الطريق تقريبًا وعلى اليمين كان هناك ممر يتفرع عن الطريق ويؤدى إلى الشرفة الخارجية وإلى

نافذة مكتب السيد أكرويد.

سأل رئيس الشرطة: "أتريد الذهاب مع المفتش يا سيد بوارو أم تفضل معاينة المكتب؟".

اختار بوارو الخيار الأخير. فتح باركر لنا الباب، وكان سلوكه يتسم بالرضا عن الذات وبالاحترام وبدا أنه قد تعافى من نوبة الذعر التى

صاحبته الليلة الماضية.

أخرج الكولونيل ميلروس مفتاحًا من جيبه وفتح الباب المؤدى إلى الردهة، ثم أشار إلينا بدخول المكتب.

وقال: "باستثناء رفع الجثة من مكانها فإن الغرفة بقيت على ما كانت عليه تماماً الليلة الماضية يا سيد بوارو".

"وأين وجدت الجثة؟".

شرحت له وضع وجلسة أكرويد بالضبط، وكان كرسى القتيل لايزال مكانه أمام المدفأة.

ذهب بوارو وجلس عليه قائلاً:

"أين كانت الرسالة الزرقاء التى حدثتنى عنها عندما غادرت الغرفة؟".

"كان السيد أكرويد قد وضعها على هذه الطاولة الصغيرة على يمينه".

أومأ بوارو وقال:

"باستثناء هذه الرسالة، هل كل شىء كان فى مكانه؟".

"نعم، أظن ذلك".

قال بوارو: "كولونيل ميلروس، هلاّ تفضلت بالجلوس على هذا الكرسى قليلاً! شكراً لك. والآن يا سيدى الدكتور، هل تتلطف وتوضح لى

وضع الخنجر بالضبط؟".

فعلت ما طلبه منى السيد بوارو بينما ظل واقفاً عند مدخل الباب.

"إذن كان يمكن رؤية مقبض الخنجر من عند الباب بوضوح. كان باستطاعتك أنت وباركر أن ترياه فوراً، أليس كذلك؟".

"نعم".

ذهب بوارو إلى النافذة.

ثم سأل وهو يدير رأسه: "كان المصباح الكهربائى مضاءً بالطبع عندما اكتشفت الجثة؟".

وافقته، ثم جئت إلى حيث كان يتفحص الآثار على عتبة النافذة.

قال بهدوء: "العلامات المطاطية من نفس النوع الموجود فى حذاء الكابتن باتون".

ثم عاد إلى وسط الغرفة ثانية، وكانت عيناه تقلبان النظر حول الغرفة وتتفحصان كل شىء فيها بنظرات سريعة مدربة.

وأخيراً سأل: "هل أنت قوى الملاحظة يا دكتور؟".

قلت وقد فاجأنى بسؤاله: "أظن ذلك".

"أرى أنه كانت هناك نار موقدة فى المدفأة. كيف كانت النار عندما خلعت الباب ووجدت السيد أكرويد مقتولاً؟ أكانت قد خبت؟".

ضحكت ضحكة غيظ وقلت: "لا أستطيع الجزم حقًا، فلم ألحظها. ربما السيد ريموند أو الميجور بلانت...".

هزّ بوارو رأسه بابتسامة باهتة.

ثم قال: "يجب على المرء أن يعمل وفق منهج معين. لقد أخطأت الحكم عندما سألتك ذلك السؤال، فلكل رجل معرفته الخاصة. إن بوسعك أن تسرد لى تفاصيل مظهر المريض؛ ولن يفوتك أى شىء فى هذا المجال، وإذا كنت أريد معلومات عن الأوراق الموجودة على المكتب فقد كان من شأن السيد ريمون د أن يلاحظ أى شىء هناك، أما إذا أردنا تفاصيل عن النار فلابد أن نسأل الرجل المختص بملاحظة هذه الأشياء، اسمحوا لى...".

ذهب عند المدفأة بخفة وقرع الجرس.

بعد مرور دقيقة أو اثنتين ظهر باركر.

قال مترددًا: "لقد قرع الجرس يا سيدى".

قال الكولونيل ميلروس: "تعال يا باركر. هذا السيد يريد سؤالك عن شىء".

التفت باركر إلى بوارو باحترام.

فقال الرجل الضئيل: "باركر، عندما كسرت الباب أنت والدكتور شيبارد الليلة الماضية ووجدت سيدك قتيلاً، كيف كانت حالة النار؟".

ردّ باركر على الفور:

"كانت قد خبت كثيرًا يا سيدى؛ حتى لقد كادت تنطفئ".

قال بوارو: "آه"، كانت الصيحة تكاد توحى بالانتصار، ثم ما لبث أن أكمل:

"انظر حولك يا عزيزى باركر. هل تبدو الغرفة كما كانت عليه ساعتها تمامًا؟".

نظر الخادم حوله ووقعت عيناه على النافذة.

قال: "كانت الستائر مسدلة يا سيدى، وكان المصباح الكهربائى مضاء".

أومأ بوارو موافقًا ثم سأله:

"أيوجد أى شىء آخر؟".

"نعم يا سيدى، كان هذا الكرسى مسحوبًا إلى الوراء قليلاً".

أشار إلى كرسى كبير عالى الظهر إلى يسار الباب بين باب الغرفة والنافذة، وقد أرفقت رسمًا للغرفة مع الكرسى موضوع الحديث مشارًا إليه بعلامة X

.

قال بوارو: "أرِنى كيف كان".

سحب الخادم الكرسى المقصود مسافة قدمين عن الحائط وأداره حتى أصبح مواجهًا للباب.

همس بوارو: "هذا غريب؛ لا أعتقد أن أحدًا سيرغب فى الجلوس على كرسى بهذا الوضع. ترى من الذى دفعه إلى الوراء إلى مكانه مرة أخرى؟ أأنت من أرجعه يا صديقى؟".

قال باركر: "لا، يا سيدى. كنت بالغ الانزعاج لرؤية سيدى فى الوضع الذى وجدناه عليه".

نظر بوارو تجاهى.

"هل أرجعته أنت يا دكتور؟".

هززت رأسى نافيًا.

تدخل باركر قائلاً: "كان إلى الوراء فى موضعه عندما وصلت مع الشرطة يا سيدى. أنا واثق من هذا".

قال بوارو مرة أخرى: "غريب".

قلت: "لابد أن ريموند أو بلانت هو الذى دفعه إلى الوراء. هذا غير مهم بالتأكيد، أليس كذلك؟".

قال بوارو: "إنه غير مهم على الإطلاق "، ثم أضاف بهدوء: "وهذا ما يجعل الأمر مثيرًا للغاية!".

قال الكولونيل ميلروس: "أرجو المعذرة لدقيقة "، ثم غادر الغرفة مع باركر.

سألت بوارو: "هل تعتقد أن باركر صادق؟".

"بخصوص الكرسى، نعم. أما فيما عدا ذلك فلا أدرى. سوف تكتشف يا دكتور ـ إذا عايشت قضايا من هذا النوع ـ أنها تتشابه مع بعضها فى شىء واحد".

سألته بفضول: "وما هو؟".

"أن كل شخص متورط فيها لديه ما يخفيه".

سألته مبتسمًا: "وهل لدىّ ما أخفيه أنا الآخر؟".

نظر بوارو نحوى باهتمام.

ثم قال بهدوء: "أعتقد ذلك".

"ولكن...".

قال بوارو: "هل أخبرتنى بكل ما تعرفه عن هذا الشاب باتون؟"، ثم ابتسم بينما احمرّ وجهى وأضاف: "آه، لا تخف؛ لن أضغط عليك!

سأعرف كل شىء فى الوقت المناسب".

قلت على عجل، محاولاً إخفاء ارتباكى: "أتمنى لو تخبرنى بشىء عن أساليبك. النقطة المتعلقة بالنار على سبيل المثال!".

"آه! تلك مسألة بسيطة للغاية. قلت إنك تركت السيد أكرويد الساعة التاسعة إلا عشر دقائق، أليس كذلك؟".

"بلى، بالضبط، أعتقد ذلك".

"كانت النافذة ـ وقتها ـ مقفلة بالمزلاج والباب غير مقفل، وفى الساعة العاشرة والربع عندما اكتشفت الجثة كان الباب مقفلاً والنافذة مفتوحة. من الذى فتحها؟ من الواضح أن السيد أكرويد هو الذى فتحها بنفسه؛ وذلك لأحد سببين، إما لأن الغرفة أصبحت لا تطاق من شدة الحر (ولكن لا يمكن أن يكون هذا هو السبب لأن النار كانت على وشك أن تخمد وكانت درجة الحرارة منخفضة جداً فى الليلة الماضية)، وإمّا أن يكون قد أدخل شخصاً من ذلك المكان، وإذا أدخل شخصاً من ذلك الطريق فلابد أن يكون شخصاً يعرفه جيداً، لأنه أظهر خوفه قبل ذلك من موضوع فتح تلك النافذة".

قلت: "يبدو ذلك بسيطاً للغاية".

"كل شىء بسيط إذا ما قمت بترتيب الحقائق ترتيباً منهجياً. إننا الآن مهتمون بمعرفة شخصية الرجل الذى كان معه الساعة التاسعة والنصف ليلة البارحة. كل شىء يدل على أنه هو الشخص الذى دخل من النافذة، ورغم أن السيد أكرويد شوهد على قيد الحياة بعد ذلك بواسطة الآنسة فلورا، فإننا لا نستطيع الوصول إلى حل لهذا اللغز إلا إذا عرفنا من يكون ذلك الزائر. ربما بقيت النافذة مفتوحة بعد مغادرته، وبالتالى سمحت للقاتل بالدخول منها أو أن الشخص ذاته عاد ودخل منها مرة أخرى. آه! ها قد عاد الكولونيل".

دخل الكولونيل ميلروس بنشاط ثم قال: "لقد تتبعنا تلك المكالمة الهاتفية أخيراً. لم تأت من هنا؛ فقد تمت مع الدكتور شيبارد الساعة العاشرة والربع الليلة الماضية من هاتف عام فى محطة كينج أبوت، علماً بأن قطار بريد الليل يغادر إلى ليفربول الساعة 10:23 ليلاً".

الفصل الثامن

المفتش راغلان واثق

نظر كل منا إلى الآخر.

ثم قلت: "سوف تقوم بالاستعلام عن ذلك فى المحطة، أليس كذلك؟".

"أمر طبيعى، رغم أنى غير متفائل من النتيجة؛ فأنت تعرف حالة المحطة".

كنت أعرف ذلك بالفعل. رغم أن كينج أبوت مجرد قرية صغيرة إلا أن محطة قطاراتها كانت نقطة التقاء للقطارات؛ فمعظم القطارات السريعة تقف فيها، كما أنها نقطة تحويل وتنظيم للقطارات، ويوجد بها هاتفان أو ثلاثة هواتف عمومية، وفى تلك الساعة من الليل تصل ثلاثة قطارات محلية إلى المحطة فى أوقات قريبة حتى يتمكن ركابها من استقلال القطار السريع المتجه إلى الشمال والذى يصل الساعة 10:19 ويغادر الساعة 10:23 والمحطة كلها تعج بالركاب فى تلك الساعة ولذلك من المستبعد أن يتم ملاحظة شخص معين استخدم الهاتف أو ركب فى القطار السريع.

سأل ميلروس: "ولكن لماذا يتصل أصلاً؟ هذا ما أجده غريباً للغاية. لا يبدو لهذا الأمر معنى أو هدف".

قام بوارو بتعديل حلية من الفخار الصينى على أحد أرفف الكتب.

ثم قال دون أن يلتفت: "تأكد أن لذلك سبباً".

"ولكن ماذا يمكن أن يكون؟".

"عندما نعرف هذا سنعرف كل شىء. هذه القضية غريبة جداً ومثيرة للغاية".

كان فى طريقة نطقه لعبارته الأخيرة شىء لا يكاد يوصف. أحسست أنه كان ينظر إلى القضية من زاوية خاصة به ولم أستطع معرفة ما رآه.

ذهب إلى النافذة ووقف هناك ينظر إلى الخارج.

ثم قال: "هل قلت يا دكتور شيبارد إن الساعة كانت التاسعة عندما التقيت بهذا الغريب خارج البوابة؟".

سألنى السؤال دون أن يلتفت إلىّ.

أجبت: "نعم، سمعت الساعة تدق معلنة التاسعة".

"كم سيأخذ من الوقت للوصول إلى البيت... للوصول إلى هذه النافذة على سبيل المثال؟".

"خمس دقائق حتى يصل من الطريق الخارجى، وربما دقيقتين أو ثلاث دقائق فقط إذا جاء من الممر الذى يتفرع عن يمين الطريق وتوجه إلى هنا مباشرة".

"ولكن حتى يأتى من هذا الطريق لابد أن يكون ملمًا به... كيف أوضح لك؟ هذا يعنى أنه كان هنا من قبل... أى إنه يعرف المنطقة المحيطة بالبيت".

رد الكولونيل ميلروس قائلاً: "هذا صحيح".

"نستطيع دون شك معرفة إن كان السيد أكرويد قد استقبل أى غرباء خلال الأسبوع الماضى، أليس كذلك؟".

قلت: "بإمكان الشاب ريموند إخبارنا بذلك".

قال الكولونيل ميلروس: "أو باركر".

قال بوارو مبتسمًا: "أو كلاهما معًا".

ذهب الكولونيل ميلروس يبحث عن ريموند وقرعت الجرس طلبًا لباركر مرة أخرى.

وسرعان ما عاد الكولونيل ميلروس وبصحبته السكرتير الشاب حيث قدمه لبوارو. كان جيفرى ريموند نشيطًا ومبتهجًا كعادته، ويبدو أنه فُوجئ وفرح لمقابلة بوارو.

قال: "لم أعرف أنك تعيش بيننا متخفيًا يا سيد بوارو. سيكون شرفًا عظيمًا أن أراقبك وأنت تعمل... آه، ما هذا؟".

كان بوارو يقف على يسار الباب تمامًا. أمّا الآن فقد تحرك جانبًا فجأة وعرفت أنه لابد أنه قد سحب الكرسى بسرعة إلى أن أصبح فى المكان الذى أشار إليه باركر بينما كنت أدير ظهرى له.

سأله ريموند ساخرًا: "هل تريد منى الجلوس على الكرسى لتأخذ عينة من الدم؟ ما الأمر؟".

"يا سيد ريموند، لقد كان هذا الكرسى مسحوبًا هكذا الليلة الماضية عندما وُجد السيد أكرويد مقتولاً، وقام أحدهم بإعادته إلى مكانه مرة أخرى. هل أنت الذى فعلت ذلك؟".

جاء رد السكرتير دون لحظة واحدة من التردد:

"كلا، لم أفعل ذلك، كما أننى لا أتذكر أنه كان فى ذلك الوضع، ولكن لابد أنه

كان كذلك مادمت تؤكد هذا. على أية حال لابد أن شخصًا غيرى قد أعاده إلى مكانه الصحيح. هل أفسد عليكم ذلك دليلاً معينًا؟ أمر سيئ للغاية!".

قال بوارو: "لا أهمية لذلك أبدًا. إن ما أريد أن أسألك عنه حقًا، يا سيد ريموند، هو: هل جاء أى شخص غريب لرؤية السيد أكرويد خلال الأسبوع الماضى؟".

فكّر السكرتير بعض الوقت مقطبًا حاجبيه وأثناء ذلك جاء باركر ليرى من ضرب الجرس، وأخيرًا قال ريموند: "لا؛ لا أتذكر أحدًا. هل تتذكر يا باركر؟".

"معذرة يا سيدى، ماذا تقول؟".

"هل جاء أى غريب لرؤية السيد أكرويد هذا الأسبوع؟".

فكّر الخادم لدقيقة أو دقيقتين ثم قال:

"ذلك الشاب الذى جاء يوم الأربعاء يا سيدى، علمت أنه كان من شركة كيرتس آند تراوت".

نحى ريموند ذلك الافتراض بإشارة من يده وقال:

"آه، نعم؛ أذكره، لكنه ليس الغريب الذى يعنيه هذا السيد "، ثم التفت إلى بوارو وقال: "كان السيد أكرويد يفكر فى شراء جهاز تسجيل "، ثم أضاف موضحًا: "كان سيمكننا من إنجاز عمل كبير فى وقت محدود. وقد أرسلت هذه الشركة مندوبها، ولكن لم تتم الصفقة؛ فالسيد أكرويد لم يتخذ قرار الشراء".

التفت بوارو إلى الخادم وسأله: "هل يمكنك أن تصف لى ذلك الشاب يا باركر؟".

"كان أشقر قصير القامة، وكان يلبس بذلة زرقاء أنيقة. إنه شاب حسن الهندام يا سيدى بالنسبة لمكانته الاجتماعية".

التفت بوارو إلىّ.

ثم سألنى: "كان الرجل الذى قابلته خارج البوابة طويل القامة، أليس كذلك يا دكتور؟".

قلت: "نعم، كان طوله بحدود ست أقدام تقريبًا حسب ظنى".

قال بوارو: "إذن ليس فى الأمر شىء. شكرًا لك يا باركر".

خاطب الخادم ريموند قائلاً:

"لقد وصل السيد هاموند لتوه يا سيدى، إنه يود معرفة ما إذا كان بإمكانه تقديم أية خدمة، كما أنه يود الحديث معك".

قال السكرتير الشاب: "سآتى على الفور "، ثم خرج مسرعًا، ونظر بوارو إلى رئيس

الشرطة متسائلاً.

فقال الكولونيل: "إنه محامى العائلة يا سيد بوارو".

همس السيد بوارو: "إنه وقت ملىء بالمشاغل بالنسبة لهذا الشاب ريموند، يبدو شابًا قديرًا".

"أظن أن السيد أكرويد كان يعتبره سكرتيرًا قديرًا جدًا".

"منذ متى وهو يعمل هنا؟".

"من سنتين فقط كما أظن".

"إنه يقوم بواجباته على وجه الدقة؛ أنا واثق من هذا. ولكن كيف يسلى نفسه؟ هل يلعب نوعًا من الرياضة؟".

قال الكولونيل ميلروس مبتسمًا: "السكرتير الخاص لا يملك الوقت الكثير لهذا الشىء. أظن أن ريموند يلعب الجولف، والتنس فى الصيف".

"ألا يحضر سباقات الخيل؟".

"سباقات الخيل؟ لا، لا أظن أنه يهتم بالسباقات".

أومأ بوارو وبدا وكأنه فقد اهتمامه، ثم نظر إلى المكتب حوله ببطء.

ثم قال: "أظن أننى رأيت كل ما يمكن رؤيته هنا".

أنا الآخر نظرت من حولى.

وقلت هامسًا: "لو كان لهذه الجدران أن تتكلم!".

هزّ بوارو رأسه وقال:

"اللسان وحده لا يكفى، لابد أن تكون لها أيضًا عيون وآذان، ولكن لا تحسبنّ هذه الأشياء الميتة...". لمس بيده خزانة الكتب من أعلى وأكمل يقول: "... خرساء دائمًا. بالنسبة لى فهى أحيانًا تتكلم، الكراسى، والطاولات...إنها تحمل رسالة لنا".

ثم ذهب إلى الباب.

قلت بحدة: "أية رسالة؟ ماذا قالت لك اليوم؟".

أدار رأسه ناحيتى ورفع حاجبه ساخرًا.

قال: "نافذة مفتوحة، وباب مقفل، وكرسى يبدو أنه تحرك بنفسه. لهذه الأشياء الثلاثة أقول: "لماذا "ولا أجد إجابة".

هزّ رأسه أسفًا ونفخ ما فى صدره ووقف يغمز بعينيه لنا. بدا ممتلئًا بالإحساس

بأهميته إلى درجة سخيفة. وخطر ببالى أن أتساءل إن كان حقًا رجل تحريات ترجى منه فائدة. ألا يمكن أن تكون شهرته الواسعة تلك قد بنيت على سلسلة من الصدف السعيدة لا أكثر؟

أظن أن نفس الفكرة قد خطرت للكولونيل ميلروس حيث كان عابس الوجه.

ثم سأل بجفاء: "هل من شىء آخر تريد رؤيته يا سيد بوارو؟".

"أرجو أن تتكرم علىّ وترينى طاولة الفضيات التى أُخذ السلاح منها. بعد ذلك لن أطلب منك أى شىء آخر".

ذهبنا إلى غرفة الاستقبال، لكن الشرطى أخذ الكولونيل جانبًا ونحن فى الطريق، وبعد حديث هامس بينهما اعتذر الكولونيل وتركنا معًا.

أريتُ السيد بوارو طاولة الفضيات، وبعد أن رفع غطاءها وتركه يسقط أكثر من مرة، فتح الباب الزجاجى وخرج إلى الشرفة، وتبعته إلى هناك.

كان المفتش راغلان قد ظهر لتوه من عند زاوية البيت وكان قادمًا نحونا. بدا وجهه متجهمًا وتعلوه القناعة.

قال: "أنت هنا يا سيد بوارو؟ حسنًا، لن تكون هذه قضية كبيرة. أنا أيضًا آسف لذلك... مجرد شاب لطيف انحرف".

تجهم وجه بوارو وقال بهدوء:

"إذن أخشى أننى لن أفيدك كثيرًا".

قال المفتش مهدئًا: "ربما فى المرة القادمة... رغم أنه لا تقع عندنا جرائم كل يوم فى هذه البقعة الصغيرة الهادئة من العالم".

بدا الإعجاب يظهر فى نظرة بوارو.

ثم تكلم فى هدوء قائلاً: "لقد كنت ذا حزم وسرعة رائعين. هل لى أن أسألك عن الأسلوب الذى تتبعه فى عملك؟".

قال المفتش: "بالتأكيد، أولاً... المنهجية. هذا ما أقوله دائمًا ـ المنهجية!".

صاح الآخر: "آه! هذا شعارى أيضًا؛ المنهجية والنظام والخلايا الرمادية الصغيرة".

قال المفتش وهو يحدق إلىّ: "الخلايا؟".

أوضح البلجيكى قائلاً: "الخلايا الرمادية الصغيرة فى المخ".

"آه، بالطبع، أظن أننا جميعنا نستخدمها".

همس بوارو: "بدرجات متفاوتة، وتوجد أيضًا فروق فى النوعية، ثم هناك

سيكولوجية الجريمة، لابد أن يدرس المرء ذلك".

"آه! هل خُدعت بهذا اللغو عن التحليل النفسى؟ أما أنا فرجل بسيط".

قال بوارو وهو ينحنى تحية للمفتش: "أنا واثق أن زوجتك لن توافق على هذا الوصف".

انحنى المفتش راغلان، وقد تفاجأ بما فعله بوارو.

قال المفتش ـ وهو يبتسم ابتسامة عريضة: "أنت لم تفهم ما قصدته. يا إلهى، إن اختلاف اللغة يعقد كل شىء. إننى أقول لك كيف أشرع فى العمل: أول شىء، المنهجية. إن آخر مرة شوهد فيها السيد أكرويد على قيد الحياة كانت الساعة العاشرة إلا الربع بواسطة

ابنة أخيه الآنسة فلورا أكرويد. هذه هى الحقيقة رقم 1، أليس كذلك؟ "

"كما تقول".

"نعم، هى كذلك. ويقول هذا الطبيب إن السيد أكرويد قد مات قبل نصف ساعة على الأقل من اكتشاف الجثة التى اكتشفت فى الساعة العاشرة والنصف. أمازال هذا رأيك يا دكتور؟".

قلت: "بالتأكيد، نصف ساعة أو أكثر".

"جيد، هذا يعطينا بالضبط ربع ساعة لابد أن تكون الجريمة قد وقعت خلالها. لقد أعددت قائمة بأسماء كل من كان فى البيت ودرستها ووضعت مقابل أسمائهم مكان وجود كل منهم وماذا كان يعمل بين الساعة 9،45 والساعة العاشرة مساء".

ثم أعطى بوارو ورقة قرأتها من ورائه. كانت الورقة مكتوبة بخط أنيق وتقول:

الميجور بلانت : ــ فى غرفة البلياردو مع السيد ريموند(يؤكد الأخير على ذلك).

السيد ريموند : ـــ فى غرفة البلياردو.

السيدة أكرويد : ــ الساعة 9،45 كانت تراقب مباراة البلياردو، ثم ذهبت للنوم الساعة 9،55 (رآها ريموند وبلانت وهى تصعد إلى غرفتها).

الآنسة أكرويد : ـــ ذهبت مباشرة من غرفة عمها إلى غرفتها (يؤكد على ذلك باركر وأيضًا الخادمة إيلسى دايل).

الخدم : ـــ

وقال واثقًا: "إنها نفس الآثار. لا أقصد أنه نفس الحذاء الذى أحدث هذه الآثار؛ فلقد رحل بحذائه الذى أحدث هذه العلامات. هذا زوج من الأحذية يشبهه لكنه أقدم منه.

انظر كيف اهترأت نقوشه المطاطية؟".

سأله بوارو: "ألا تظن أن عدداً كبيراً من الناس يلبسون أحذية لها نقوش مطاطية كهذه؟".

قال المفتش: "هذا صحيح بالطبع، ما كنت لأركز كثيراً على آثار الأقدام لولا الشواهد الأخرى".

قال بوارو متأملاً: "لابد أن يكون الكابتن رالف باتون هذا شاباً أحمق تماماً حتى يترك كل هذه الدلائل على وجوده".

"آه! حسناً، لقد كانت ليلة صافية غير ممطرة كما تعرف، ولذلك لم يترك آثاراً على الشرفة أو على الممر المغطى بالحصى، ولكن لسوء حظه فإن شيئاً من المياه الجوفية قد طفا مؤخراً عند نهاية الممشى. انظر".

كان هناك ممر صغير مغطى بالحصى يصل إلى الشرفة على بعد بضع أقدام، وعلى بعد بضعة أمتار من نهاية الممشى كانت الأرض مبتلة وموحلة، وفوق تلك البقعة المبتلة ظهرت آثار الأقدام أيضاً وبينها آثار الحذاء ذى النقوش المطاطية.

تتبع بوارو الممشى قليلاً والمفتش بجانبه.

وفجأة قال بوارو: "هل لاحظت آثار أقدام نساء؟".

ضحك المفتش وقال:

"أمر طبيعى. إن كثيراً من النساء يمشين على هذا الطريق... والرجال أيضاً. إنه طريق مختصر إلى البيت، ومن المستحيل فرز كل هذه الآثار ومعرفة أصحابها، ومع ذلك فإن آثار القدم الموجودة على عتبة النافذة هى المهمة حقاً".

أومأ بوارو برأسه موافقاً.

وعندما اقتربنا من الطريق الخارجى قال المفتش: "لا حاجة لأن نذهب أبعد من ذلك؛ الطريق كله حصى هنا وهو صلب جداً".

أومأ بوارو مرة أخرى، لكنّ عينيه كانتا مركزتين على بيت صغير فى الحديقة مما يطلق عليه اسم "البيت الصيفى". كان البيت على يسار الممر أمامنا وهناك ممشى مغطى بالحصى يؤدى إليه.

تريّث بوارو قليلاً حتى عاد المفتش باتجاه البيت ثم نظر إلىّ.

قال وهو يغمز بعينه: "لابد أن الله قد ساقك إلىّ لتحل محل صديقى هاستينجز؛ فأنت بجانبى دوماً. ما رأيك بتفتيش ذلك البيت الصغير؟ إنه يثير اهتمامى".

ذهب إلى الباب وفتحه. كان المكان مظلماً من الداخل، وكان فيه بعض المقاعد

الصدئة وطقم للعبة الكروكى الخشبية، إلى جانب بعض الكراسى المطوية.

وفاجأنى صديقى الجديد بتصرفه؛ فقد نزل على الأرض وجعل يزحف على يديه وقدميه، ومن وقت لآخر كان يهز رأسه وكأنه غير راضٍ، وأخيراً جلس على قدميه.

ثم تمتم قائلاً: "لا يوجد شىء. حسنًا، ربما كان ينبغى توقع ذلك، ولكنه كان سيعنى الكثير...".

سكت فجأة وقد تصلب جسده، ثم مد يده إلى أحد المقاعد الصدئة ونزع شيئًا من أحد جوانبه.

صحت قائلاً: "ما هذا؟ ما الذى وجدته؟".

ابتسم وهو يفتح يده حتى أرى ما بداخلها؛ قطعة صغيرة من قماش يابس أبيض اللون.

أخذتها منه ونظرت إليها باستغراب ثم أعدتها إليه.

سألنى وهو ينظر إلىّ بإمعان: "ماذا تفهم منها يا صديقى؟".

قلت وأنا أهزّ كتفى فى حيرة: "مجرد خرقة من منديل".

قام بمحاولة أخرى والتقط ريشة صغيرة... ريشة إوزة كما تبدو.

صاح فرحًا: "وهذه؟ ماذا تستنتج منها؟".

حدقت إليها دون أن أتكلم.

وضع الريشة فى جيبه، ثم نظر ثانية إلى قطعة القماش الأبيض وقال: "خرقة من منديل؟ ربما كنت على حق، ولكن تذكر هذا... إن أى مغسلة جيدة لا تضع النشا على منديل".

أومأ إلىّ مبتهجًا، ثم وضع قطعة القماش فى محفظته بحذر.

الفصل التاسع

بركة السمك الذهبى

رجعنا إلى المنزل معًا ولم نر للمفتش أى أثر، توقف بوارو على الشرفة وظهره إلى البيت وهو يلتفت برأسه من جانب لآخر ببطء.

وأخيرًا قال بإعجاب: "بيت جميل. من سيرثه؟".

صدمتنى كلماته. كان غريبًا أن مسألة الإرث لم تخطر ببالى حتى تلك اللحظة. راقبنى بوارو بإمعان.

ثم قال أخيرًا: "أظنها فكرة جديدة عليك، ألم تفكر بها من قبل؟".

قلت صادقًا: "كلا! ليتنى فكرت بالأمر".

نظر إلىّ مرة أخرى بفضول.

ثم قال متأملاً: "ترى ماذا قصدت بكلماتك هذه؟". ثم أضاف بينما كنت على وشك الرد: "لا داعى للرد. ما أظنك لتخبرنى بأفكارك الحقيقية".

اقتبست كلماته وأنا أبتسم: "كل إنسان لديه ما يخفيه".

"بالضبط".

"أمازلت تعتقد ذلك؟".

"أكثر من أى وقت مضى يا صديقى، ولكن ليس من السهل إخفاء الأشياء عن هيركيول بوارو؛ فلديه موهبة فى اكتشاف الأسرار".

كان يتكلم وهو ينزل عتبات الحديقة.

ثم قال وهو يدير رأسه للوراء: "لنمشِ قليلاً؛ الهواء جميل اليوم".

أخذت أتبعه، فقادنى إلى ممر إلى اليسار محاط بأشجار الطقسوس.

كان هناك ممر تحيط بجانبيه أحواض الزهور الجميلة وفى نهاية الممر توجد قطعة أرض دائرية مرصوفة بها مقعد وبركة أسماك. وبدلاً من السير فى الممر إلى نهايته مشى بوارو فى ممر آخر يدور حول جانب منحدر تكسوه الأشجار، وفى مكان

معين هناك أُزيلت الأشجار ووضع مكانها أحد المقاعد. إن الجلوس هناك يجعل المرء يستمتع بمشهد الريف الرائع والفسحة المرصوفة وبركة الأسماك الذهبية.

قال بوارو وهو ينظر إلى المشهد الذى أمامه: "إن إنجلترا جميلة للغاية "، ثم ابتسم وقال بصوت ضعيف: "وكذلك الفتيات الإنجليزيات.

أنصت ـ يا صديقى ـ وانظر إلى الصورة الجميلة القريبة منّا".

عند ذلك رأيت فلورا، وكانت تخطو فوق الممر الذى كنا نسير عليه قبل قليل وهى تتغنى بلحن قصير، وكانت خطواتها أقرب إلى الرقص منها إلى المشى. ورغم الثوب الأسود الذى كانت ترتديه فإن ملامحها كانت تدل على البهجة والسعادة. دارت على رءوس أصابعها فجأة وطار ثوبها الأسود يدور مع دورتها، وفى نفس الوقت ألقت برأسها إلى الوراء وضحكت ضحكة عالية.

وبينما كانت على هذه الحال خرج رجل من بين الأشجار. كان ذلك هكتور بلانت.

جفلت الفتاة وتغيرت ملامحها قليلاً وهى تقول:

"لقد أخفتنى... لم أرك".

لم يقل بلانت شيئًا لكنه وقف ينظر إليها صامتًا بعض الوقت.

قالت فلورا بشىء من السخرية: "إن ما يعجبنى فيك هو أحاديثك المتدفقة البهيجة".

أظن أن ذلك قد جعل وجه بلانت الذى لوحته أشعة الشمس يحمر خجلاً، وعندما تحدث كان صوته مختلفًا؛ كانت فيه نبرة غريبة من التواضع.

"لم أكن أبدًا رجلاً يجيد الكلام، حتى عندما كنت شابًا".

قالت فلورا بجدية: "أظن أن ذلك كان منذ زمن طويل جدًا".

أحسست بشىء من السخرية فى كلماتها، لكن لا أظن أن بلانت لاحظ ذلك.

قال ببساطة: "نعم، لقد كان ذلك منذ زمن طويل".

سألته فلورا: "كيف يشعر المرء وهو عجوز؟".

كانت السخرية هذه المرة أكثر وضوحًا، لكن بلانت كان غارقًا فى أفكاره الخاصة.

سألها: "هل تذكرين ذلك الرجل الذى باع روحه للشيطان مقابل أن يعود شابًا؟ توجد أوبرا حول هذه القصة".

"أتقصد "فاوست "؟".

"بلى، فاوست، قصة غريبة. قد يفعل بعضنا ذلك إن استطاعوا".

صاحت فلورا بشيء من الغيظ والاستماع: "مِن شأن مَن يسمعك أن يظن أن عظامك بالية تماماً".

لم يقل بلانت شيئًا، بل أشاح بنظره بعيداً عن فلورا وأخذ يخاطب جذع شجرة كانت بجانبه قائلاً إن الوقت قد حان ليعود إلى إفريقيا.

"أأنت ذاهب فى حملة أخرى لصيد الحيوانات؟".

"أظن ذلك، ذلك ما أفعله فى العادة... أقصد الصيد".

"أأنت من صاد الحيوان الذى عُلّق رأسه فى الصالة؟".

أومأ بلانت، ثم قال بسرعة كعادته وقد احمرّ وجهه:

"هل أنت مهتمة بجلد أى من الحيوانات؟ إن كنت كذلك فبوسعى أن أحضر لك ما تشائين".

صاحت فلورا: "آه! أرجوك أن تحضر لى جلوداً. هل تعنى حقًا ما تقول؟ ألن تنسى؟".

قال: "لن أنسى".

ثم أضاف بطلاقة مفاجئة:

"حان الوقت لرحيلى؛ فأنا لا أصلح لمثل هذا النوع من الحياة. إننى رجل فظ لا أصلح للحياة الاجتماعية، ولا أعرف آدابها وسلوكياتها، ولا أتذكر أبداً الأشياء التى ينبغى على المرء قولها فى مناسبات معينة. نعم، حان وقت الرحيل".

صاحت فلورا: "ولكنك لن تذهب الآن، أعنى... ونحن فى هذه المشكلة. آه، أرجوك! لو ذهبت...".

ثم التفتت بعيداً.

فسألها بلانت: "هل تريدين منى البقاء؟".

كان يتكلم متأنيًا وببساطة شديدة.

فقالت: "نحن جميعًا...".

قال بلانت بشكل مباشر: "إننى أقصدك أنت شخصياً".

التفتت فلورا إليه مرة أخرى ونظرت فى عينيه مباشرة.

ثم قالت: "أريدك أن تبقى، إن... إن كان ذلك يشكّل أى فارق".

قال بلانت: "بالطبع إنه يشكّل فارقًا".

ساد الصمت للحظة. جلسا على مقعد صخرى قرب بركة الأسماك الذهبية وبدا أن أحداً منهما لم يكن يدرى ماذا يقول بعد ذلك.

أخيراً قالت فلورا: "إنه... إنه صباح جميل. لا أملك إلا أن أشعر بالسعادة رغم... رغم كل شىء. ذلك إحساس فظيع، أليس كذلك؟".

قال بلانت: "بل هو طبيعى جداً، أنت لم تقابلى عمك إلاّ من سنتين فقط، أليس كذلك؟ ولذلك من غير المتوقع أن تحزنى كثيراً. من الأفضل ألا ينافق المرء فى ذلك".

قالت فلورا: "هناك شىء فيك يريح النفس؛ إنك تجعل الأمور تبدو بسيطة للغاية".

قال الصياد الكبير: "عادةً ما تكون الأمور بسيطة حقًا".

"ليس دائمًا".

كان صوتها قد انخفض، ورأيت بلانت يلتفت ثم ينظر إليها وبعد دقيقة أو اثنتين تحدث بطريقة مفاجئة قائلاً:

"أعتقد أن عليك ألاّ تقلقى. أقصد بخصوص ذلك الشاب. إن المفتش رجل أحمق. الكل يعرف أن من السخافة التفكير بأن ذلك الشاب قد فعلها. لابد أن الفاعل رجل من الخارج... لص ما. هذا هو الحل الوحيد الممكن".

استدارت فلورا ونظرت إليه.

"هل ترى ذلك حقًا؟".

قال بلانت بسرعة: "ألا تظنين أنت ذلك؟".

"أنا؟ آه، نعم بالطبع".

ساد الصمت مرة أخرى ثم قالت فلورا:

"سوف... سوف أخبرك لماذا شعرت بالسعادة هذا الصباح، مع أنك ستعتقد أننى بلا قلب، لكنى سأخبرك. كنت سعيدة لأن المحامى، السيد هاموند، أخبرنا عن الوصية. لقد ترك لى العم روجر عشرين ألف جنيه. تصوّر...عشرين ألف جنيه جميلة".

بدا بلانت مندهشًا.

"هل يعنى ذلك الكثير بالنسبة لك؟".

"يعنى لى الكثير؟ بل يعنى كل شىء. الحرية... الحياة... لا مزيد من التخطيط

والتقشف والكذب...".

قاطعها بلانت بحدة: "الكذب؟".

بدت فلورا وقد فوجئت قليلاً.

ثم قالت بتردد: "تعرف ما أقصده... التظاهر بأنك شاكر لأقاربك الأغنياء على كل الأشياء المستعملة التى يعطونك إياها... معطفًا من السنة الماضية وتنورات وقبعات قديمة".

"لا أعرف الكثير عن ملابس السيدات، ولكننى أظن أنك كنت دائمًا تبدين حسنة المظهر".

قالت فلورا بصوت منخفض: "ولقد دفعت ثمنًا لذلك. لا أريد التحدث عن تلك الأمور الفظيعة؛ أنا سعيدة للغاية. إننى حرة، حرة فى أن أفعل ما أشاء. حرة فى ألا...".

سكتت فجأة.

فسألها بلانت بسرعة: "ألا تفعلى ماذا؟".

"لقد نسيت الآن... ليس أمرًا مهمًا".

كان بلانت يمسك بعصا فى يده، وأدخلها فى البركة وبدأ يحاول تحريك شىء بها، فسألته: "ماذا تفعل يا ميجور بلانت؟".

"يوجد شىء لامع هنا. ترى ماذا يكون؟ إنه يشبه دبوسًا من ذهب، ولكنى حركت الطين الراكد فاختفى".

قالت فلورا: "ربما كان تاجًا، كذلك التاج الذى رأته ميليساند فى الماء".

قال بلانت متأملاً: "ميليساند! إنها شخصية فى أوبرا، أليس كذلك؟".

"نعم، يبدو أنك تعرف الكثير عن الأوبرا".

قال بلانت بحزن: "يصحبنى الأصدقاء إليها أحيانًا. الحق أننى أراها طريقة غريبة للاستمتاع، إنها فى رأيى فكرة أسوأ من تلك الرقصات التى تؤديها القبائل الإفريقية".

ضحكت فلورا.

استمر بلانت يقول: "إننى أتذكر ميليساند. لقد تزوجت رجلاً عجوزًا فى سن والدها".

ألقى حجرًا صغيرًا فى بركة الأسماك ثم التفت إلى فلورا وقال بنبرة مختلفة:

"آنسة أكرويد، هل يمكننى عمل شىء؛ أقصد بخصوص باتون؟ أعرف مدى قلقك".

قالت فلورا بصوت فاتر: "أشكرك، لا يوجد شيء يمكن عمله. سيكون رالف بخير؛ فلقد جئت بواحد من أفضل رجال التحريات فى العالم وسيقوم بكشف كل شيء".

كنت قد أحسست ـ لبعض الوقت ـ بعدم الارتياح بسبب مكاننا القريب منهما. لم نكن نتنصت عليهما بمعنى الكلمة إذ كان يكفى الاثنين اللذين جلسا أسفل منا أن يرفعا رأسيهما قليلاً حتى يريانا، ومع ذلك كان علىّ أن ألفت نظرهما لوجودنا منذ البداية لولا أن رفيقى كان يضغط على ذراعى محذراً. كان واضحاً أنه يريدنى أن أبقى صامتاً.

ولكنه تصرف بسرعة فى تلك اللحظة؛ فقد نهض واقفاً وتنحنح.

ثم قال بصوت مرتفع: "أرجو المعذرة، لا يمكن أن أدع الآنسة تمتدحنى بهذا السخاء دون أن ألفت انتباهها إلى وجودى. يقولون إن من يسترق السمع لا يسمع عن نفسه الكلام الحسن، ولكن الحال مختلف هذه المرة، وحتى لا تحرجانى سآتى إليكما وأعتذر".

ثم أسرع نازلاً إلى الممر وأنا وراءه حتى وصلنا إليهما عند البركة.

قالت فلورا: "هذا هو السيد هيركيول بوارو، أظنك قد سمعت به".

انحنى بوارو احتراماً.

ثم قال بأدب: "أعرف الميجور بلانت من شهرته. إننى سعيد للقائك يا سيدى، وأنا بحاجة لبعض المعلومات منك".

نظر إليه بلانت متسائلاً.

سأله بوارو: "متى كانت آخر مرة رأيت فيها السيد أكرويد على قيد الحياة؟".

"على العشاء".

"ألم تره أو تسمع صوته بعد ذلك؟".

"لم أره، لكنى سمعت صوته".

"وكيف ذلك؟".

"خرجت إلى الشرفة...".

"أرجو المعذرة، متى كان ذلك؟".

"الساعة التاسعة والنصف تقريباً. خرجت أتمشى على الشرفة أمام نافذة غرفة الاستقبال، فسمعت أكرويد يتحدث فى مكتبه".

انحنى بوارو وأزاح عشبة ضارة لم يرها أحد.

ثم تمتم قائلاً: "لا يمكن أن تسمع أصواتاً فى المكتب وأنت فى ذلك المكان من الشرفة".

لم يكن ينظر إلى بلانت، ولكنى كنت أنظر إليه، ولشدة دهشتى رأيت بلانت وقد احمرّ وجهه.

ثم أوضح فى ضيق: "لقد ذهبت إلى نهاية زاوية الشرفة".

قال بوارو: "آه! حقًا؟".

أوحت نبرته بأنه يريد المزيد من المعلومات.

قال بلانت: "ظننت أننى رأيت... امرأة تختفى بين الشجيرات. كان مجرد خيال امرأة بملابس بيضاء. لابد أننى أخطأت، وعندما كنت أقف عند زاوية الشرفة سمعت صوت أكرويد يتحدث مع سكرتيره".

"هل كان يتحدث مع السيد جيفرى ريموند؟".

"نعم، هذا ما ظننته فى ذلك الوقت، يبدو أننى كنت مخطئًا".

"ألم يخاطبه السيد أكرويد بالاسم؟".

"لا".

"إذن هل لى بسؤالك عن سبب اعتقادك...".

أوضح بلانت جاهدًا:

"سلمت بأنه ريموند لأنه قال لى قبل أن أخرج إلى الشرفة إنه سيأخذ بعض الأوراق لأكرويد. لم أفكر أنه ربما كان شخصًا آخر".

"هل تتذكر الكلمات التى سمعتها؟".

"لا أستطيع. كانت كلمات عادية غير مهمة وسمعت طرفًا منها فقط؛ فقد كنت أفكر فى شىء آخر وقتها".

تمتم بوارو: "لا أهمية لذلك. هل حركت كرسيًا إلى الوراء باتجاه الجدار عندما دخلت المكتب بعد اكتشاف الجثة؟".

"أحرك كرسيًا؟ لا، ولماذا أفعل ذلك؟".

رفع بوارو كتفيه فى حيرة لكنه لم يجب، ثم التفت إلى فلورا وقال:

"ثمة شىء أود معرفته منك يا آنسة. عندما كنت تتفحصين الأغراض فى طاولة الفضيات مع الدكتور شيبارد، هل كان الخنجر فى مكانه؟".

دهشت فلورا من السؤال.

ثم قالت بامتعاض: "سألنى المفتش راغلان عن ذلك وأجبته، وسوف أجيبك أيضاً. إننى متأكدة تماماً من أن الخنجر لم يكن هناك.

راغلان يرى أن الخنجر كان هناك وأن رالف سرقه بعد ذلك، وهو لا يصدقنى، بل هو يعتقد أننى أقول هذا لكى... لكى أتستر على رالف".

سألتها بجدية: "ألا تتسترين عليه فعلاً؟".

ضربت فلورا الأرض بقدمها وقالت:

"أنت الآخر يا دكتور شيبارد؟ آه، هذا سيئ!".

غيّر بوارو مجرى الحديث بلباقة قائلاً:

"ما سمعتك تقوله صحيح يا ميجور بلانت. هناك شىء يلمع فى هذه البركة. سأرى إن كنت أستطيع الوصول إليه".

ثم جثا على ركبتيه قرب البركة ورفع كمه وأدخل يده فى الماء ببطء حتى لا يعكر ماء البركة، ولكن رغم كل احتياطاته تحرك الوحل وعكّر الماء واضطر لسحب يده خالية.

نظر غاضباً إلى الوحل أعلى ذراعه. أعطيته منديلى فأخذه وهو يمطرنى بعبارات الشكر. نظر بلانت إلى ساعته وقال:

"اقترب وقت الغداء؛ يستحسن أن نعود إلى البيت".

سألت فلورا: "هل ستتناول الغداء معنا يا سيد بوارو؟ أريدك أن تلتقى بوالدتى. إنها تحب رالف كثيراً".

انحنى الرجل الضئيل احتراماً وقال:

"يسرنى ذلك يا آنسة".

"وهل ستبقى أنت أيضاً يا دكتور شيبارد؟".

ترددت فى الرد.

لكنها قالت: "آه، أرجوك!".

ولما كنت راغباً بالبقاء فقد قبلت الدعوة دون مزيد من الشكليات.

انطلقنا إلى البيت وكانت فلورا وبلانت فى المقدمة.

قـال بـوارو يخـاطبنى بصـوت منخفـض وهـو يشـير برأسـه صـوب فلـورا: "يـا لـه مـن شـعر! ذهـب حقـيقى! سـيكونان زوجـين رائعـين، هـى والكابتن الأسمر الوسيم باتون، أليس كذلك؟".

نظرت إليه متسائلاً لكنه بدأ يتذمر من بعض قطرات الماء على كُم معطفه. ذكرنى الرجل نوعًا ما بالقطط... عيناه الخضراوان وحرصه الشديد على تفاصيل أناقته.

قلت متعاطفًا: "كل هذا دون الحصول على شىء. ترى ماذا كان داخل البركة؟".

سألنى بوارو: "هل تحب أن ترى؟".

حدقت إليه، فأومأ برأسه.

وقال بلطف وبنبرة عتاب: "يا صديقى العزيز، إن هيركيول بوارو لا يمكن أن يغامر بإفساد زينته دون أن يكون واثقًا من حصوله على غرضه. إن فعلت ذلك فسوف أبدو غريبًا وسخيفًا، وأنا لست بالسخيف أبدًا".

اعترضت قائلاً: "لكنك أخرجت يدك خالية".

"أحيانًا يضطر المرء لبعض التكتم. هل تخبر مرضاك بكل شىء يا دكتور ــ كل شىء على الإطلاق؟ لا أظن ذلك، كما أنك لا تخبر أختك بكل شىء، أليس كذلك؟ قبل أن أظهر يدى فارغة نقلت ما كان فيها إلى يدى الأخرى. سترى ما ذلك الشىء".

مد يده اليسرى، مفتوحة، وكانت فيها قطعة صغيرة دائرية من الذهب ــ خاتم زواج نسائى.

أخذت الخاتم منه.

قال بوارو: "انظر داخله".

نظرت. كان مكتوبًا بداخله بخط دقيق:

من ر. 13 مارس

نظرت إلى بوارو، لكنه كان مشغولاً فى تفحّص مظهره فى مرآة جيب صغيرة كانت معه وكان مهتمًا بترتيب شاربه، ولم يلتفت إلىّ أبدًا،

وعرفت عندئذٍ أنه لا يريد الكلام.

الفصل العاشر

خادمة الاستقبال

وجدنا السيدة أكرويد فى الصالة. كان بصحبتها رجل صغير الجسم لا يتكلم، كان له ذقن يوحى بالعدوانية وعينان رماديتان حادتان، وقد كُتبت كلمة "محام "على وجهه.

قالت السيدة أكرويد: "السيد هاموند سيتناول الغداء معنا. هل تعرف الميجور بلانت يا سيد هاموند؟ والدكتور شيبارد؟ هو أيضًا صديق مقرب لروجر المسكين، ودعنى أقدم لك...".

سكتت وهى تنظر إلى هيركيول بوارو متحيّرة.

فقالت فلورا: "إنه السيد بوارو يا أماه، لقد أخبرتك عنه صباح اليوم".

قالت السيدة أكرويد بارتباك: "آه! نعم، بالطبع! بالطبع. إنه الذى سيعثر على رالف، أليس كذلك؟".

قالت فلورا: "بل سيعثر على قاتل عمى أيًا كان".

صاحت الأم: "آه، يا إلهى! أرجوك. أعصابى لا تتحمل. إننى منهكة هذا الصباح... منهكة تمامًا. إنه حادث فظيع دون شك. كان روجر مولعًا بحمل التحف الغريبة والعبث بها، ولابد أن يده قد انزلقت أو نحو ذلك".

كان ردنا على هذه النظرية مجرد صمت مؤدب، ورأيت بوارو يأخذ المحامى جانبًا ويتكلم معه على انفراد وبصوت منخفض. ابتعدا ناحية النافذة فذهبت إليهما، ثم ترددت.

قلت: "لا أريد أن أتطفل عليكما".

صاح بوارو بحرارة: "أبدًا، أنا وأنت يا دكتور نحقق فى هذه القضية جنبًا إلى جنب، وبدونك كنت سأضيع. أريد معلومة صغيرة من السيد هاموند".

قال له المحامى بحذر: "فهمت أنك تحاول نفى التهمة عن الكابتن رالف باتون".

هزّ بوارو رأسه نافيًا.

وقال: "ليس صحيحًا؛ إننى أعمل لمصلحة العدالة، ولقد طلبت الآنسة أكرويد منى

التحقيق فى وفاة عمها".

بدا أن السيد هاموند قد فوجئ قليلاً.

ثم قال: "لا يمكن أن أصدق أن الكابتن باتون متورط فى هذه الجريمة، مهما كانت قوة الأدلة ضده. إن مجرد حقيقة حاجته الشديدة إلى المال...".

قاطعه بوارو بسرعة: "هل كان بحاجة ماسة إلى المال؟".

رفع المحامى كتفيه تعجبًا.

ثم قال بنبرة جافة: "كانت الحاجة حالة مزمنة عند رالف باتون. كانت النقود تتسرب من بين أصابعه كالماء، وعادة ما كان يلجأ إلى زوج أمه".

"هل طلب منه نقوداً فى الفترة الأخيرة؟ خلال السنة الماضية على سبيل المثال؟".

"لا أدرى؛ فلم يذكر السيد أكرويد شيئًا عن هذا أمامى".

"فهمت. أظن أنك مطّلع على وصية السيد أكرويد يا سيد هاموند؟".

"بالتأكيد؛ هذا هو عملى الأساسى هنا اليوم".

"إذن، هل تمانع فى إخبارى ببنود الوصية بصفتى أعمل نيابة عن الآنسة فلورا؟".

"إنها بسيطة. بعيداً عن العبارات القانونية، وبعد دفع مبالغ نقدية معينة وهبات...".

قاطعه بوارو: "مثل ماذا؟".

بدا أن السيد هاموند قد تفاجأ قليلاً.

لكنه قال: "ألف جنيه لمديرة المنزل، الآنسة راسل. مائة جنيه للطاهية إيما كوبر، وخمسمائة جنيه للسيد جيفرى ريموند، السكرتير، ثم هناك مستشفيات مختلفة...".

رفع بوارو يده معترضًا وقال:

"آه! التبرعات الخيرية لا تهمنى".

"تمامًا. وعائد مبلغ عشرة آلاف جنيه من الأسهم سيتم دفعه إلى السيدة سيسل أكرويد ما دامت على قيد الحياة. أما الآنسة فلورا أكرويد فسوف ترث عشرين ألف جنيه نقداً. والباقى ـ ويشمل هذا البيت وأسهم شركة أكرويد ـ سيذهب إلى ابنه بالتبنى، رالف باتون".

"هل كانت ثروة السيد أكرويد كبيرة؟".

"ثروة كبيرة جداً. سيصبح الكابتن باتون شاباً ثرياً جداً".

ساد الصمت قليلاً، وتبادل بوارو والمحامى النظرات.

ثم جاء صوت السيدة أكرويد شاكيًا من قرب المدفأة: "سيد هاموند".

لبّى المحامى نداءها، فيما سحبنى بوارو من ذراعى وأخذنى إلى النافذة.

قال بصوت مرتفع: "انظر إلى هذه الأزهار. إنها رائعة، أليس كذلك؟ تبعث فى النفس السرور والارتياح".

وفى نفس الوقت أحسست بضغط يده على ذراعى وأضاف بصوت منخفض:

"هل ترغب حقًا فى مساعدتى؟ فى المشاركة بهذا التحقيق؟".

قلت متحمسًا: "نعم؛ بالتأكيد. ذلك أحب شىء إلىّ. إنك لا تعرف أية حياة مملة رتيبة أعيش. لم يصادفنى شىء خارج عن المعتاد والمألوف أبدًا".

"حسنًا، إذن سنكون زميلين. أظن أن الميجور بلانت سينضم إلينا بعد لحظات فهو غير مرتاح مع الأم الحنون. توجد بعض الأمور أريد معرفتها، ولكنى لا أريد أن أبدو بمظهر المتلهف لمعرفتها. هل فهمت؟ ولذلك سيكون عليك أن توجه الأسئلة إليه".

سألته ببعض الارتياع: "ما هى الأسئلة التى تريدنى أن أسألها؟".

"أريدك أن تذكر اسم السيدة فيرارز".

"ماذا؟".

"تكلم عنها بطريقة طبيعية. اسأله إن كان موجودًا هنا عندما توفى زوجها... أنت تفهم ما أقصده، وبينما يجيب عن أسئلتك راقب وجهه دون أن يبدو عليك أنك تراقبه. مفهوم؟".

لم يتوفر وقت للمزيد من التوضيح؛ ففى اللحظة التى نطق بها بوارو بتلك الكلمة الأخيرة كان بلانت قد ترك الآخرين بطريقته المفاجئة المعتادة وجاء إلينا كما توقع بوارو.

اقترحت عليه أن نخرج إلى الشرفة فوافق، فيما تخلف بوارو فى الصالة.

ثم وقفت لأتفحص إحدى الورود.

وقلت: "كيف تتغير الأمور بين ليلة وضحاها! أذكر أننى كنت هنا يوم الأربعاء الماضى أمشى على هذه الشرفة نفسها. كان أكرويد معى مفعمًا بالنشاط، والآن بعد ثلاثة أيام... يصبح أكرويد المسكين ميتًا، والسيدة فيرارز ماتت... كنت تعرفها، أليس كذلك؟ كنت تعرفها بالطبع".

أومأ بلانت موافقًا.

فسألته: "هل رأيتها فى زيارتك الأخيرة هنا؟".

"ذهبت مع أكروید لزیارتها، أظن أن ذلک کان یوم الثلاثاء الماضی. کانت امرأة جمیلة، لکنها غامضة وغریبة الأطوار، ولا یعرف المرء ما الذی تنویه".

نظرت إلی عینیه الرمادیتین الهادئتین، لا شیء فیهما بالتأکید، وأکملت قائلاً:

"أظن أنک قابلتها من قبل؟".

"فی آخر مرة کنت فیها هنا... کانت قد جاءت لتوها مع زوجها للعیش هنا".

سکت قلیلاً ثم أضاف: "أمر غریب، لقد تغیرت کثیراً منذ ذلک الوقت".

تساءلت: "وکیف تغیرت؟".

"بدت وکأنها قد کبرت عشر سنین".

سألته محاولاً أن یبدو سؤالی طبیعیًا بقدر الإمکان: "هل کنت هنا عندما توفی زوجها؟".

"لا. ولکن یبدو ـ من کل ما سمعته ـ أنه غیر مأسوف علیه. ربما کان هذا الحکم قاسیًا، ولکنها الحقیقة".

قلت بحذر: "لم یکن آشلی زوجًا مثالیًا علی الإطلاق".

قال بلانت: "أکان وغداً سیئ الخلق؟".

قلت: "کلا، ولکنه کان رجلاً أفسده کثرة ماله".

"آه، المال! إن مشکلات العالم کلها تکون بسبب المال... أو بسبب قلة المال".

سألته: "وهل کانت قلة المال مشکلتک الخاصة؟".

"عندی ما یسد حاجتی؛ إننی من المحظوظین".

"بالفعل".

"فی الواقع أننی لست فاحش الثراء الآن. لقد حصلت علی میراث فی السنة الماضیة وأقنعت نفسی ـ کالأحمق ـ بتوظیف الأموال فی مشروع متهور".

تعاطفت معه وسردت علیه مشکلتی التی تشبه مشکلته.

ثم قُرع الجرس ودخلنا جمیعاً لتناول الغداء.

سحبنی بوارو إلی الوراء قلیلاً.

وقال: "کیف سارت الأمور؟".

قلت: "لا غبار علیه؛ أنا واثق من هذا".

"أليس لديه ما... ما يثير القلق؟".

قلت: "لقد حصل على إرث قبل سنة. إن كلامه منطقى، أليس كذلك؟ أقسم أن الرجل مستقيم تمامًا وفوق الشبهات".

قال بوارو مهدئًا: "دون شك، دون شك، لا تزعج نفسك".

قالها وكأنه يتكلم مع طفل مشاكس.

ثم دخلنا جميعًا غرفة الطعام، ولم أصدق أننى كنت أجلس على تلك الطاولة ذاتها قبل أقل من أربع وعشرين ساعة فقط.

بعد الغداء أخذتنى السيدة أكرويد جانبًا وجلست معى على أريكة فى الغرفة.

تمتمت وهى تُخرج منديلاً كان واضحًا أنه ليس من النوع الذى تمسح به الدموع: "إننى أحس بأن مشاعرى قد جُرِحَت... جُرحت بسبب عدم ثقة روجر بى. كان يجب أن يترك العشرين ألف جنيه لى أنا... وليس لفلورا. إن الأم تؤتمن على حماية مصالح ابنتها. إننى أعتبر ذلك بمثابة عدم ثقة".

قلت: "لقد نسيت يا سيدة أكرويد أن فلورا هى ابنة أخيه، وهى قرابة دم. كان الأمر سيختلف لو أنكِ كنت أخته ولست زوجة أخيه".

قالت وهى تمرر المنديل على رموشها: "كان الواجب يقضى كما أرى بأن تُراعى مشاعرى باعتبارى أرملة أخيه المسكين، لكن روجر كان غريب الأطوار دائمًا فيما يخص الأمور المالية ــ إن لم نقل بخيلاً. لقد كان موقفًا صعبًا لفلورا ولى؛ حتى إنه لم يكن يعطى الطفلة المسكينة مصروفًا. نعم، كان يدفع فواتيرها، ولكن حتى هذا كان يفعله بكثير من التردد متسائلاً لماذا كل هذه الملابس؟ هكذا كانت تصرفاته... ولكن... لقد نسيت ماذا كنت سأقول؟ آه، نعم، لم يكن لدينا أى شلن خاص بنا، ولقد كرهت فلورا ذلك... نعم، غضبت من ذلك كثيرًا، رغم أنها كانت تحب عمها بالطبع، ولكن من شأن أية فتاة أن تغضب لذلك. نعم، كانت لروجر أفكار غريبة جدًا بخصوص المال. ما كان ليشترى مناشف وجه جديدة؛ حتى إننى قلت له إن المناشف القديمة قد اهترأت "، ثم أضافت وقد قفزت بحديثها فجأة كما هو دأبها: "ثم يترك كل ذلك المبلغ... ألف جنيه، تصور، ألف جنيه لتلك المرأة!".

"أى امرأة؟".

"تلك المرأة راسل.هناك شىء غريب يتعلق بها، وهو ما كنت أقوله دائمًا، لكن روجر لم يكن يسمح بأى كلمة تقال عنها، وكان يقول إنها امرأة قوية الشخصية وإنه معجب بها ويحترمها، وكان دائم الحديث عن استقامتها واعتمادها على نفسها وكمال أخلاقها. أظن أن فيها شيئًا مريبًا. كانت ـ بالتأكيد ـ تبذل جهدها للزواج بروجر، لكنى سرعان ما وضعت حدًا لذلك، وقد كرهتنى ـ بالطبع ـ لأنى كنت أفهمها تمامًا".

بدأت أتساءل إن كانت أمامى أية فرصة لوقف سيل الكلمات المتدفق من السيدة أكرويد والفرار بجلدى.

وَفّرَ السيد هاموند الإلهاء اللازم عندما جاء مودعًا. انتهزت الفرصة ونهضت عن مقعدى.

ثم قلت: "بخصوص التحقيق. أين تفضلون عقده؟ هنا أم فى فندق ثرى بورز".

حدقت السيدة أكرويد فى وجهى مذهولة.

ثم سألت، وقد علت أمارات الرعب ملامحها: "التحقيق؟ ولكن لن تكون هناك حاجة للتحقيق، أليس كذلك؟".

سعل السيد هاموند سعلة صغيرة جافة وتمتم: "إنه أمر حتمى فى ظل الظروف الحالية".

"لكن الدكتور شيبارد يمكنه بالتأكيد ترتيب...".

قلت ببرود: "هناك حدود لصلاحياتى".

"ولكن إن كانت الوفاة حادثًا...".

قلت بقسوة: "لقد قُتِلَ يا سيدة أكرويد".

صرختُ صرخة ضعيفة.

وأضفت قائلاً: "إن نظرية الحادث لن تصمد دقيقة واحدة أمام الوقائع".

نظرت السيدة أكرويد إلىّ فى يأس، ولم أُطِق ما رأيته لديها من خوف سخيف غير مبرر.

قالت: "إن كان التحقيق سيجرى فإننى... فإننى لن أضطر للإجابة عن الأسئلة وكل هذه الأشياء، أليس كذلك؟".

أجبتها: "لا أعرف ما سيكون ضروريًا. أظن أن السيد ريموند سيريحك من هذا العناء. إنه يعرف جميع الظروف والملابسات ويستطيع تقديم شهادة رسمية على وقائع الحادث".

وافقنى المحامى بإيماءة خفيفة.

وقال: "لا أرى حقًا ما يمكن أن يثير مخاوفك يا سيدة أكرويد. هناك من سيحمل عنك عناء هذه التجربة، وبالنسبة لموضوع المال، هل لديكم جميعًا ما تحتاجون إليه فى الوقت الحالى؟"، ثم أضاف عندما نظرت إليه السيدة أكرويد متسائلة: "أقصد أموالاً نقدية. إذا لم

يكن لديكم فيمكننى ترتيب حصولكم على ما تحتاجون إليه".

قال ريموند الذى كان يقف جانبًا: "هذه مسألة محلولة؛ فالسيد أكرويد صرف أمس شيكًا بمبلغ مائة جنيه".

"مائة جنيه؟".

"نعم؛ للأجور والمصروفات الخاصة بهذا اليوم. وحتى هذه اللحظة ما زال المبلغ كما هو".

"وأين هذه النقود؟ فى مكتبه؟".

"لا؛ لقد كان يحتفظ بالنقود فى غرفة نومه دائمًا، وكان يضعها تحديدًا فى علبة جلدية قديمة. فكرة غريبة، أليس كذلك؟".

قال المحامى: "أظن أن علينا التأكد من وجود النقود هناك قبل مغادرتى".

وافقه السكرتير قائلاً: "بالتأكيد، سآخذك إلى هناك الآن... آه! لقد نسيت. إن الباب مغلق".

بسؤال باركر أوضح أن المفتش راغلان موجود فى غرفة مدبرة المنزل يسألها بعض الأسئلة المتعلقة بالقضية، وبعد دقائق معدودة انضم المفتش إلى المجموعة فى الصالة ومعه المفتاح، وبعد فتح الباب دخلنا الردهة ثم صعدنا على الدرج الصغير، وفى أعلاه كان باب غرفة الطعام مفتوحًا. كانت الغرفة فى الداخل مظلمة والستائر مسدلة، وكان السرير على حاله التى كان عليها فى الليلة الماضية.

سحب المفتش الستائر فدخل ضوء الشمس، فيما ذهب ريموند إلى الدرج العلوى للمكتب.

علّق المفتش قائلاً: "كان يحتفظ بالنقود على هذه الحالة، فى درج غير مقفل، تصوروا!".

احمرّ وجه السكرتير قليلاً.

وقال بشىء من الحدة: "كان السيد أكرويد يثق تمامًا بأمانة جميع الخدم".

أسرع المفتش يقول: "آه! صحيح تمامًا".

فتح ريموند الدرج وأخرج منه علبة دائرية من الجلد، وفتحها وأخرج منها محفظة سميكة.

ثم قال وهو يخرج من المحفظة رزمة كبيرة من الأوراق النقدية: "ها هى النقود. سوف تجد المائة جنيه على حالها لم تُمس؛ أعرف ذلك لأن السيد أكرويد وضعها فى هذه العلبة الليلة الماضية بحضورى وذلك عندما كان يجهز نفسه لتناول العشاء،

وبالطبع لم يمسها أحد منذ ذلك الوقت".

أخذ السيد هاموند منه رزمة النقود وعدّها، ثم رفع بصره بحدة.

"تقول إنها مائة جنيه، ولكن هذه ستون جنيهًافقط".

حدّق به ريموند.

"مستحيل!" صاح ريموند وهو يندفع إلى الأمام، ثم أخذ النقود من يد المحامى وبدأ يعدّها بصوت مرتفع.

كان السيد هاموند على حق؛ فقد كان المبلغ ستين جنيهًا.

صاح السكرتير متحيرًا: "ولكن... لا أفهم هذا".

سأل بوارو قائلاً:

"هل رأيت السيد أكرويد يضع هذه النقود عندما كان يلبس استعداداً للعشاء الليلة الماضية؟ هل أنت واثق أنه لم يصرف من هذا المبلغ شيئًا من قبل؟".

"أنا واثق أنه لم يفعل، حتى إنه قال: "لا أريد أخذ مائة جنيه معى إلى غرفة الطعام؛ فهى تنفخ الجيب".

قال بوارو: "إذن المسألة بسيطة جدًا، إما أنه دفع مبلغ الأربعين جنيهًا فى وقت ما الليلة الماضية أو أنها قد سُرقت".

وافقه المفتش قائلاً: "هذه هى المسألة باختصار". ثم التفت إلى السيدة أكرويد وقال: "أى من الخدم دخل إلى الغرفة ليلة أمس؟".

"أظن أن خادمة المنزل جاءت لترتيب السرير".

"من هى؟ ماذا تعرفين عنها؟".

"إنها لا تعمل هنا منذ وقت طويل، لكنها فتاة ريفية لطيفة وعادية".

قال المفتش: "أظن أن علينا أن نحل هذه المسألة. لو أن السيد أكرويد هو الذى دفع ذلك المبلغ بنفسه، فيمكن أن يكون لذلك علاقة بلغز الجريمة. بالنسبة للخدم الآخرين لا شائبة عليهم، أليس كذلك؟".

"آه، أظن ذلك".

"هل فقدتم أى شىء من قبل؟".

"لا".

"هل سيغادر أحد منهم؟".

"خادمة الاستقبال ستتركنا".

"متى؟".

"لقد أخطرتنا بذلك البارحة".

"هل أخطرتك أنت؟".

"لا، ليس لى شأن بالخدم؛ فالآنسة راسل هى التى تتولى أمور البيت".

بقى المفتش مستغرقًا فى التفكير لبعض الوقت، ثم أومأ برأسه وقال: "أظن أن من الأفضل أن أتكلم مع الآنسة راسل، كما سأرى هذه الفتاة، دايل، أيضًا".

رافقته أنا وبوارو إلى غرفة مدبرة المنزل، واستقبلتنا الآنسة راسل برباطة جأشها المعتادة.

وقالت إن إيلسى دايل تعمل فى البيت منذ خمسة أشهر وإنها فتاة لطيفة وسريعة فى القيام بواجباتها وجديرة بالاحترام، وقالت إنها أحضرت رسائل توصية من عائلات مرموقة، وهى آخر فتاة فى الدنيا يمكن أن تأخذ شيئًا ليس ملكًا لها.

سألها المفتش: "وماذا عن خادمة الاستقبال؟".

"هى أيضًا فتاة متفوقة فى عملها؛ هادئة جدًا ومهذبة وممتازة فى عملها".

"إذن لماذا تريد المغادرة؟".

زمّت الآنسة راسل شفتيها وقالت:

"لم يكن ذلك بسببى. علمت أن السيد أكرويد انتقدها بعد ظهر الأمس. كان من واجبها تنظيف وترتيب حجرة المكتب وأظن أنها أفسدت ترتيب بعض الأوراق على مكتبه، وقد تضايق كثيرًا من هذا العمل فقدّمت الفتاة إشعارًا بالرحيل. هذا ما فهمت منها على الأقل. ولكن ربما تريدون رؤيتها بأنفسكم؟".

وافق المفتش. كنت قد رأيت الفتاة عندما كانت تخدمنا على مائدة الغداء. كانت فتاة طويلة القامة ذات شعر بنى مجدول وعينين رماديتين ثابتتين. استدعتها مديرة المنزل فجاءت ووقفت منتصبة وقد ثبتت عينيها الرماديتين علينا".

سألها المفتش: "هل أنت أورسولا بورن؟".

"نعم يا سيدى".

"علمت أنك ستغادرين المنزل؟".

"نعم يا سيدى".

"لماذا؟".

"لقد أفسدت ترتيب بعض الأوراق على مكتب السيد أكرويد، وغضب كثيراً من هذا الأمر فقلت إنه من الأفضل أن أغادر، فطلب منى الرحيل فى أسرع وقت ممكن".

"هل ذهبت إلى غرفة نوم السيد أكرويد الليلة الماضية؛ لترتيبها أو لأى شىء آخر؟".

"لا يا سيدى. ذاك من عمل إيلسى، أما أنا فلم أقترب من تلك الغرفة أبداً".

"علىّ أن أخبرك يا بنيتى بأن مبلغًا كبيراً من المال قد فُقد من غرفة السيد أكرويد".

أخيراً رأيتها تنفعل، واجتاح اللون الأحمر وجهها.

قالت: "لا أعرف شيئًا عن أية نقود، وإن كنت تعتقد أننى سرقتها وأن ذلك هو السبب الذى طردنى السيد أكرويد من أجله فأنت مخطئ".

قال المفتش: "أنا لا أتهمك بسرقتها يا بنيتى؛ لا تغضبى هكذا".

نظرت الفتاة إليه بفتور.

ثم قالت بازدراء: "يمكنك تفتيش أغراضى إن شئت ولكنك لن تجد شيئًا".

تدخّل بوارو فجأة وسألها:

"لقد طردك السيد أكرويد من العمل ـــ أو استقلت ـ أمس، أليس كذلك؟".

أومأت الفتاة برأسها.

"كم استغرق الحوار؟".

"الحوار؟".

"نعم، الحوار بينك وبين السيد أكرويد فى المكتب؟".

"أنا... لا أعرف".

"عشرين دقيقة؟ نصف ساعة؟".

"قريبًا من هذا".

"ليس أطول من ذلك؟".

"ليس أكثر من نصف ساعة بالتأكيد".

"شكراً لك يا آنسة".

نظرت إليه بفضول، وفيما كان يرتب بعض الأغراض على الطاولة ويضعها فى خط مستقيم بأنامله الرشيقة كانت عيناه تلمعان.

قال المفتش: "يكفى هذا الآن".

"انظر يا صديقى؛ سأريك شيئًا. انظر هنا".

كانت الورقة التى أعطانيها هى التى كتبها المفتش وأعطاها لبوارو ذلك الصباح، وعندما نظرت إلى المكان الذى أشار إليه بإصبعه رأيت علامة X صغيرة مكتوبة بالرصاص مقابل اسم أورسولا بورن.

قال: "قد لا تكون لاحظت فى ذلك الوقت يا صديقى العزيز، لكن كان هناك شخص واحد فى تلك القائمة لم تكن لديه حجة غياب مثبتة.

أورسولا بورن".

"لا أظنك ترى...؟".

"يا دكتور شيبارد، إننى مستعد لرؤية كل احتمال. ربما كانت أورسولا بورن قد قتلت السيد أكرويد، ولكنى أعترف لك بأننى لا أرى وجود دافع لفعلها ذلك. هل ترى دافعًا لها؟".

نظر إلى بقوة... بقوة شديدة أحسست معها بعدم الارتياح.

ثم كرر سؤاله: "هل ترى دافعًا لها؟".

قلت بثبات: "لا يوجد أى دافع على الإطلاق".

خفت حدة نظراته، ثم قطب جبينه وقال محدثًا نفسه:

"بما أن المبتز كان رجلاً؛ فمعنى ذلك أنها لا يمكن أن تكون هى المبتز، ولذلك...".

تنحنحت إيذانًا بالحديث.

ثم قلت مترددًا: "فيما يتعلق بهذا الأمر...".

التفت بوارو إلىّ فجأة.

"نعم، ماذا؟ ماذا تريد أن تقول؟".

"لا شىء، لا شىء. فقط أريد أن أوضح ـ للدقة ـ أن السيدة فيرارز فى رسالتها ذكرت شخصًا... ولم تذكر أنه رجل على وجه التحديد، لكننا ـ أنا وأكرويد ـ سلّمنا بأنه كان رجلاً بالفعل".

لم يبد أن بوارو كان يصغى إلىّ، بل كان يتحدث مع نفسه مرة أخرى.

"ولكن مع ذلك، من الممكن... نعم، هذا محتمل بالتأكيد، ولكن فى هذه الحالة... آه! يجب أن أعيد ترتيب أفكارى. النظام، والمنهجية!

إننـــى الآن بحاجـــة إليـــهما أكثـــر مـــن أى وقـــت مضـــى. ينبغـى أن توضـع كـل الأجزاء فـى مكانـها المحـدد، وإلا فـإننى سـأسير علـى الطـريق الخاطئ".

سكت والتفت إلىّ مرة أخرى وقال: "أين تقع بلدة ماربى؟".

"إنها فى الجانب الآخر لمدينة كرانشستر".

"كم تبعد عن هنا؟"

"ربما أربعة عشر ميلاً".

"هل يمكنك الذهاب إلى هناك؟ غداً على سبيل المثال؟".

"غداً؟ دعنى أفكر، إنه يوم الأحد. نعم، أستطيع ذلك. ماذا تريد منى أن أفعل؟".

"اذهب لمقابلة السيدة فويلوت. حاول أن تعرف كل ما يمكن عن أورسولا بورن".

"جيد، ولكن... أنا لست متحمساً كثيراً لهذه المهمة".

"ليس هذا وقت وضع العراقيل. ربما كانت حياة رجل معلقة على هذا الأمر".

قلت متنهداً: "مسكين رالف. إذن فأنت تعتقد أنه برىء؟".

نظر إلىّ بوارو بجدية شديدة وقال:

"هل تريد معرفة الحقيقة؟".

"بالطبع".

"إذن سأقول لك. إن كل شىء ـ يا صديقى ـ يشير إلى أنه هو المجرم".

صحت: "ماذا؟".

أومأ بوارو برأسه.

وقال: "نعم. كل ما لدى ذلك المفتش الغبى ـ وهو حقاً غبى ـ يشير إلى رالف باتون. إننى أبحث عن الحقيقة، والحقيقة تقودنى إلى رالف باتون كل مرة... الدافع والفرصة والوسيلة، ولكن لن أترك طريقاً دون أن أسلكه؛ لقد وعدت الآنسة فلورا، وهى واثقة منى جداً، واثقة جداً بالفعل".

ذهبت أورسولا بورن، والتفت المفتش إلى الآنسة راسل قائلاً:

"منذ متى وهى تعمل هنا؟ هل لديك نسخة عن رسائل التوصية الخاصة بها؟".

ذهبت الآنسة راسل ـ دون أن تجيب عن السؤال الأول ـ إلى مكتب قريب وفتحت أحد أدراجه وأخرجت منه مجموعة من الأوراق فى ملف واحد، فأخذت واحدة منها وقدمتها

للمفتش.

قال المفتش: "تبدو على ما يرام، السيدة فويلوت، من بلدة ماربى جرانج... من هذه المرأة؟".

قالت الآنسة راسل: "أناس محترمون من الريف".

قال المفتش وهو يعيد الورقة: "حسنًا. نريد أن نرى الفتاة الأخرى، إيلسى دايل".

كانت إيلسى دايل فتاة بيضاء ضخمة الجسم ذات وجه مريح لكن كانت تتبدى به مسحة بسيطة من الغباء، ولقد أجابت عن أسئلتنا بصدر رحب وأظهرت مسحاً من الحزن والأسف على فقدان النقود.

قال المفتش بعد أن صرفها: "ليس فيها ما يريب. ماذا عن باركر؟".

زمت الآنسة راسل شفتيها ولم تجب.

وأكمل المفتش حديثه متأملاً: "لدى إحساس بوجود أمر مريب فى ذلك الرجل، المشكلة أننى لا أعرف متى سنحت له فرصة للجريمة فقد كان مشغولاً بعمله بعد العشاء مباشرة ولديه دليل واضح على مكان وجوده طوال ليلة أمس. أعرف ذلك لأننى أوليت ذلك الأمر اهتماماً خاصاً. حسنًا، سنترك الأمور على حالها فى الوقت الراهن؛ الأرجح أن يكون السيد أكرويد هو الذى أنفق ذلك المبلغ بنفسه".

ودّعتنا مديرة المنزل بجفاء واستأذنتنا فى الذهاب.

وبعد ذلك غادرتُ البيت بصحبة بوارو.

قلت لأكسر حاجز الصمت: "ترى ماذا كانت أهمية تلك الأوراق التى أفسدت الفتاة ترتيبها حتى جعلت أكرويد يغضب منها إلى ذلك الحد؟ ترى هل يوجد فيها أى مفتاح لحل اللغز؟".

قال بوارو بهدوء: "قال السكرتير إن المكتب لم تكن عليه أية أوراق ذات أهمية".

قلت: "نعم، ولكن..."، ثم سكتُّ.

قال بوارو: "هل ترى غرابة فى انفعال أكرويد بسبب مسألة تافهة كهذه؟".

"نعم، أرى ذلك غريبًا بعض الشىء".

"ولكن، هل كانت مسألة تافهة حقًا؟".

"نحن لا نعرف ماذا كانت تلك الأوراق بالطبع، ولكن ريموند قال بالتأكيد...".

"اترك السيد ريموند خارج هذا الموضوع لبعض الوقت. ما رأيك بتلك الفتاة؟".

"أى فتاة؟ خادمة الاستقبال؟".

"نعم؛ خادمة الاستقبال؛ أورسولا بورن".

قلت مترددًا: "تبدو فتاة لطيفة".

كرّر بوارو كلماتى وبينما شددت أنا على تلك الكلمة الأخيرة شدد هو على الكلمة الأولى.

"تبدو فتاة لطيفة... نعم".

ثم أخرج ـ بعد دقيقة صمت ـ شيئًا من جيبه وأعطاه لى وقال:

الفصل الحادى عشر

بوارو يقوم بزيارة

كنت فى حالة عصبية بعض الشىء عندما قرعت جرس ذلك المنزل فى ماربى جرانج بعد ظهر اليوم التالى. تساءلت كثيراً عمّا كان بوارو يتوقعه. لقد كلفنى بهذا الأمر، لماذا؟ هل لأنه كان يرغب فى البقاء بعيداً فى الظل كما كان الحال عندما كلّفنى باستجواب الميجور بلانت؟ كانت رغبته فى المرة الأولى مفهومة ومقبولة لكنها تبدو هذه المرة لا معنى لها.

جاءت خادمة تلبس ثوباً جميلاً وقطعت علىّ أفكارى.

قالت إن السيدة فويلوت موجودة فى البيت وأدخلتنى إلى غرفة استقبال كبيرة، ونظرت حولى بفضول بينما كنت أنتظر صاحبة البيت، غرفة كبيرة قليلة الأثاث، فيها بعض قطع الفخار الصينى القديم وبعض اللوحات الجميلة والأغطية البالية والستائر. كانت غرفة سيدة راقية بمعنى الكلمة.

كنت أتفحص إحدى اللوحات على الحائط عندما دخلت السيدة فويلوت. كانت امرأة طويلة القامة ذات شعر بنى غير مرتب وابتسامة فاتنة جداً.

قالت مترددة: "دكتور شيبارد؟".

أجبتها: "نعم، هذا هو اسمى. أعتذر عن زيارتى لك بهذه الطريقة المفاجئة، لكنى أريد بعض المعلومات عن خادمة استقبال كانت تعمل عندك من قبل، أورسولا بورن".

تلاشت الابتسامة عن شفتيها عندما ذكرت اسم الخادمة وفترت حرارة الاستقبال التى كانت تبدو عليها، بل بدا عليها التململ وعدم الارتياح.

قالت مترددة: "أورسولا بورن؟".

"نعم، ربما لا تتذكرين الاسم؟".

"آه، أتذكره بالطبع. أتذكره تماماً".

"فهمت أنها تركت العمل عندك قبل أكثر من سنة؟".

"نعم، نعم، هذا صحيح. صحيح تماماً".

"هل كنت راضية عنها عندما كانت عندك؟ بالمناسبة، كم قضت عندك من الوقت؟".

"آه، سنة أو سنتين... لا أتذكر المدة بالضبط. إنها فتاة قديرة جداً. أنا واثقة أنك ستجدها جيدة تماماً. لم أعرف أنها ستغادر فيرنلى، لم أعرف شيئًا عن ذلك أبداً".

"هل يمكنك أن تخبرينى شيئًا عنها؟".

"شيئًا عنها؟".

"نعم، مِنْ أين؟ مَنْ أهلُها؟ معلومات من هذا القبيل. "

تجمدت التعبيرات على وجه السيدة فويلوت أكثر فأكثر وقالت: "لا أعرف شيئًا".

"أين عملت قبل مجيئها إليك؟".

"لا أظن أننى أتذكر".

فى تلك اللحظة لمحت شرارة من الغضب خلف عصبيتها وارتباكها ثم رفعت رأسها فى حركة عصبية.

وقالت: "أمِن الضرورى توجيه كل هذه الأسئلة حقًا؟".

قلت مندهشًا لسؤالها، ومحاولاً إبداء شىء من الاعتذار فى لهجتى: "أبداً؛ لم أعرف أنك قد تمانعين فى الإجابة عنها. أنا فى غاية الأسف بالفعل".

هدأ غضبها وعادت لارتباكها ثانية.

"آه! ليس عندى مانع من الإجابة عنها... أؤكد لك ذلك، ولماذا أمانع؟ إنما يبدو... يبدو الأمر غريبًا بعض الشىء، هذا كل ما فى الأمر؛ غريبًا قليلاً".

إن إحدى ميزات العمل كطبيب هى أنك تستطيع معرفة متى يكذب الناس عليك. لقد كان واضحًا من سلوك السيدة فويلوت أنها تمانع فعلاً فى الإجابة عن أسئلتى... بل وتمانع بعناد. كانت منزعجة تماماً وقلقة، وكان واضحًا وجود لغز فى الأمر. رأيت فيها امرأة غير معتادة أبداً على الخداع من أى نوع كان، وبالتالى يظهر عليها القلق الشديد عندما تضطر إلى ممارسة هذا الخداع. كان يمكن لأى طفل أن يرى ذلك فيها.

ولكن كان واضحًا - أيضًا - أنها لا تعتزم قول أى شىء آخر لى، فأيًا كان ذلك اللغز المتعلق بأورسولا بورن فإننى لن أعرفه من السيدة فويلوت.

وعندما تيقنت من فشلى، اعتذرت لها مرة أخرى عن إزعاجى لها وأخذت قبعتى وغادرت.

انطلقت لزيارة اثنين من مرضاى، وعندما وصلت البيت كانت الساعة تشير إلى السادسة تقريبًا. كانت كارولين تجلس وبجانبها بقايا عدة الشاى، وقد بدا على وجهها

نظرة الابتهاج المكبوتة تلك التى أعرفها جيداً؛ تلك النظرة التى كانت علامة أكيدة إما على حصولها على معلومات أو على استعدادها لإعطائها، وتساءلت فى أية حالة من الحالتين هى الآن.

قالت بعدما ألقيت نفسى على الكرسى المريح ومددت قدمى باتجاه المدفأة المشتعلة: "لقد قضيت أمسية ممتعة للغاية".

سألتها: "حقاً؟ هل زارتك الآنسة جانيت لتناول الشاى؟".

كانت الآنسة جانيت واحدة من مروجات الأخبار الأساسيات عندنا.

قالت كارولين فى ثقة شديدة: "خمن ثانية".

خمنت عدة مرات معدداً ـ بالترتيب ـ جميع أفراد جهاز الاستخبارات الخاص بكارولين، وكلما خمنت اسماً كانت أختى تهز رأسها مبتهجة ابتهاج المنتصر. وفى نهاية الأمر تطوعت بذكر اسم الزائر.

قالت: "السيد بوارو، والآن ماذا ترى فى ذلك؟".

كنت أرى فى ذلك عدة أشياء كثيرة، ولكنى حرصت على ألا أقولها لكارولين.

سألتها: "لماذا جاء؟".

"ليرانى بالطبع. قال إنه يعرف أخى جيداً ولذا فإنه يود التعرف على أخته".

"وفيم تحدث بوارو؟".

"حدثنى كثيراً عن نفسه وعن قضاياه. هل تعرف ذلك الأمير بول ـــ ذلك الأمير الروسى الذى تزوج راقصة؟".

"نعم؟".

"لقد قرأت خبراً مثيراً عنها بالأمس فى إحدى المجلات؛ حيث ألمح الخبر إلى أنها كانت دوقة روسية كبرى، وإنها إحدى بنات القيصر وقد نجحت فى الهروب من البلاشفة. يبدو أن السيد بوارو قد حلّ لغزاً محيراً لجريمة قتل كان الاثنان على وشك التورط فيها، وقد كان الأمير بول فى غاية الامتنان له".

سألتها ساخراً: "وهل أهداه دبوساً لرابطة العنق مرصعاً بالماس بحجم بيضة العصفور؟".

"لم يذكر ذلك. لماذا؟".

قلت: "لا شىء... ظننت أن هذا ما يحدث دائماً. على أية حال فهذا ما نجده فى الروايات البوليسية حيث يكون منزل رجل التحرى مليئاً بالياقوت واللؤلؤ من زبائنه من الأمراء والأثرياء".

قالت أختى بابتهاج: "مثير جداً سماع مثل هذه الأمور من مصادر مباشرة".

أمر مثير للغاية ـ بالنسبة لكارولين. لم أملك إلا الإعجاب بعبقرية السيد بوارو الذى اختار بذكاء، ومن بين كل القضايا، قضية من شأنها أن تجذب امرأة فى أواسط عمرها تعيش فى قرية صغيرة.

سألتها: "هل أخبرك إن كانت الراقصة دوقة كبرى حقاً؟".

أجابت بجدية: "لم يكن يستطيع البوح بذلك".

تساءلت عن المدى الذى ذهب إليه بوارو فى تكييف الحقائق ومطّها فى حديثه مع كارولين. ربما لم يكن بحاجة لذلك أبداً؛ إذ يكفيه أن يوحى بما لا يريد التصريح به بإشارات من عينيه وكتفيه.

رفعت كارولين نظارتها ونظرت إلىّ من تحتها.

ثم قالت: "تبدو نكداً جداً يا جيمس. لابد أن ذلك بسبب كبدك، أظن أن عليك أن تأخذ حبة زرقاء هذه الليلة".

لو أتيح لأحد أن يرانى فى بيتى لما تخيل أننى طبيب؛ إذ كانت كارولين هى التى تتولى التشخيص فى البيت لى ولها على حد سواء.

قلت غاضباً: "هل تحدثتما عن جريمة القتل؟".

"بالطبع يا جيمس. وهل يوجد شىء آخر نتحدث عنه فى القرية؟ لقد استطعت توجيه السيد بوارو بخصوص عدة نقاط، وقد شكرنى كثيراً، وقال إننى أحمل فى نفسى مواهب التحرى الناجح، بالإضافة إلى بصيرة سيكولوجية نافذة فى شئون الطبيعة البشرية".

كانت كارولين تشبه تماماً قطة أُطعمت لحد الإشباع فأخذت تموء عرفاناً بالجميل.

مضت تقول: "لقد تحدث كثيراً عن خلايا الدماغ الرمادية الصغيرة ووظائفها، وقال إن خلاياه من الطراز الرفيع".

قلت فى مرارة: "بالطبع سيقول ذلك؛ فالتواضع ليس من صفاته بالتأكيد".

"أتمنى ألا تتصرف بهذا التعجرف يا جيمس. لقد رأى أنه من المهم جداً العثور على رالف بأسرع وقت ممكن وحثه على الظهور وشرح موقفه، وقال إن إخفاءه سيعطى هيئة التحقيق انطباعاً سيئاً جداً عنه".

"وماذا قلت له بهذا الخصوص؟".

قالت كارولين مزهوة: "وافقته القول، وأخبرته عن كلام الناس حول هذا الأمر".

قلت بحدة: "كارولين، هل أخبرت السيد بوارو بما سمعته فى الغابة ذلك اليوم؟".

قالت كارولين راضية عن نفسها: "نعم، أخبرته".

نهضت عن مقعدى وصرت أمشى فى الغرفة.

ثم صحت قائلاً: "أرجو أن تدركى ما تقومين به. إنك تضعين الحبل حول عنق رالف باتون وأنت تجلسين فى مقعدك".

قالت كارولين بهدوء: "أبدًا. لقد فوجئت لأنك لم تخبره أنت بذلك".

"كنت حريصًا جدًا ألا أخبره؛ فأنا أحب ذلك الفتى".

"وكذلك أنا، وهذا ما يدعونى لأن أقول إن كلامك مجرد هراء. لا أصدق أن رالف هو القاتل، ولذلك فإن الحقيقة لا تؤذيه، وعلينا تقديم المساعدة للسيد بوارو قدر استطاعتنا. فكّر فى الأمر، من المحتمل جدًا أن يكون رالف قد خرج مع تلك الفتاة نفسها ليلة الجريمة، وفى هذه الحالة فإن لديه دليل غياب ممتازًا عن مكان الجريمة".

أجبتها: "إن كان لديه دليل غياب ممتاز فلماذا لا يظهره ويقوله؟".

قالت كارولين بتعقل: "ربما أدى ذلك إلى إيقاع الفتاة فى مشكلة، ولكن لو أمكن للسيد بوارو الوصول إليها وشرح الأمر لها باعتباره واجبًا عليها، فقد تظهر باختيارها وتبرّئ رالف".

"يبدو أنك قد اخترعت قصة رومانسية مثيرة من نسج خيالك. إنك تقرئين كثيرًا من الروايات الرخيصة يا كارولين، ولطالما قلت لك ذلك".

ألقيت نفسى على الكرسى مرة أخرى.

ثم سألتها: "هل سألك بوارو أى أسئلة أخرى؟".

"فقط عن المرضى الذين كانوا عندك صباح ذلك اليوم".

سألتها غير مصدق: "المرضى؟".

"نعم؛ مرضى عيادتك. كم عددهم؟ ومن هم؟".

"هل تريدين القول إنك قد أخبرته بذلك أيضًا؟".

إن كارولين امرأة عجيبة حقًا.

قالت فرحة: "ولمَ لا؟ يمكننى أن أرى الممر المؤدى إلى باب العيادة من هذه النافذة بكل وضوح، كما أنَ ذاكرتى ممتازة يا جيمس، وهى لعلمك أفضل من ذاكرتك بكثير".

تمتمت فى شرود: "أنا واثق من ذلك".

أكملت أختى وهى تعد الأسماء على أصابعها.

"كانت عندك السيدة بانيت العجوز، وذلك الولد ــ ذو الإصبع المصاب ــ الذى جاء من المزرعة، وجاءت دولى جرايس لتخرج شوكة من إصبعها، وذلك المضيف الأمريكى الذى جاء من السفينة. دعنى أتذكر... هؤلاء أربعة. نعم، والعجوز جورج إيفانز صاحب القرحة. وأخيراً...".

سكتت سكوتًا ذا مغزى.

فسألتها: "حسنًا؟".

نطقت كارولين بما اعتبرته ذروة الحديث بشىء من نشوة الانتصار، وكانت تؤكد عباراتها فى هسيس واضح... وساعدها فى هذا الهسيس حروف السين العديدة فى عبارتها.

"الآنسة راسل!".

أسندت ظهرها إلى الكرسى الذى كانت تجلس عليه ونظرت إلىّ نظرة ذات مغزى، وعندما تنظر كارولين إليك نظرة ذات مغزى فمن المستحيل ألاّ تلحظها.

قلت فى كذب صريح: "لا أدرى ماذا تقصدين! ولماذا لا تستشيرنى الآنسة راسل بخصوص ركبتها المصابة؟".

قالت كارولين: "ركبتها المصابة؟ هراء! إن ركبتها أفضل من ركبتى وركبتك. لقد كانت تسعى وراء شىء آخر".

"ماذا؟".

اضطرت كارولين للاعتراف بأنها لا تعرف.

ثم أضافت: "ولكن ثق بى أن ذلك هو ما كان يرمى الوصول إليه... أعنى السيد بوارو. هناك أمر يثير الريبة بخصوص تلك المرأة، وهو يعرف ذلك".

قلت: "نفس العبارة التى قالتها السيدة أكرويد لى أمس... إن الآنسة راسل تثير الريبة".

قالت كارولين بغموض: "آه، السيدة أكرويد؟ تلك قصة أخرى!".

"قصة ماذا؟".

رفضت كارولين توضيح كلامها، وأومأت برأسها عدة مرات وجمعت الصوف الذى كانت تغزله ثم صعدت لترتدى الثياب التى تسميها ثياب العشاء.

بقيت هناك أحدق إلى النار وأقلب التفكير فى كلمات كارولين. هل جاء بوارو حقًا ليحصل على معلومات عن الآنسة راسل أم أن ذلك لا يعدو أن يكون عقل كارولين الملتوى الذى يفسر كل شىء وفق آرائها الخاصة؟

لم يكن فى سلوك الآنسة راسل ذلك الصباح أى شىء يثير الشبهة. على الأقل...

تذكرت إلحاحها على الحديث عن موضوع تعاطى المخدرات وتذكرت أنها نقلت الحديث من تلك النقطة إلى الحديث عن السموم والتسميم، ولكن لم يكن فى ذلك الكلام شىء؛ فأكرويد لم يمت مسموماً، ومع ذلك كان الأمر غريباً...

سمعت صوت كارولين وهى تنادى من أعلى السلم بصوت حاد قائلة:

"جيمس، سوف تتأخر على العشاء".

وضعت بعض الفحم فى النار وصعدت طائعاً.

من الجيد أن ينعم المرء بالسلام فى بيته مهما كان الثمن.

الفصل الثانى عشر

حول المائدة

انعقد التحقيق يوم الاثنين.

لا أريد وصف أحداث التحقيق بالتفصيل؛ لأن ذلك يعنى العودة إلى نفس القصة مرة بعد مرة، ولقد حرص رجال الشرطة على ألاّ يتسرب الكثير عمّا جرى فى التحقيق. أما أنا فقد أدليت بشهادتى عن سبب وفاة أكرويد والوقت المحتمل لها، وقد تحدث قاضى التحقيق عن غياب رالف باتون لكنه لم يشدد على ذلك كثيراً.

بعد ذلك، تحدثنا أنا وبوارو مع المفتش راغلان بعض الوقت. كان المفتش مهموماً جداً.

قال: "إن الأمر يبدو سيئًا، أنا أحاول الحكم على الأمر بموضوعية ودون تحامل؛ فأنا من أهل المنطقة وأعرف الكابتن باتون جيداً، ولا أريده أن يكون الجانى، لكن وضعه سيئ مهما كانت نظرتك إلى الأمر. إن كان بريئًا فلماذا لا يظهر؟ لدينا دليل ضده، ولكن قد يكون بإمكانه الرد على ذلك الدليل. إذن لماذا لا يأتى ويوضح الأمر؟".

كانت كلمات المفتش تحمل الكثير من المعانى التى لم أكن أعرفها فى ذلك الوقت، فقد وُزعت أوصاف رالف على جميع الموانئ ومحطات القطارات فى إنجلترا، وتمت مراقبة المكان الذى كان يقيم فيه فى المدينة ومراقبة الأماكن التى اعتاد أن يتردد عليها، وبمثل هذا الحصار المحكم يبدو من المستحيل أن يفلت رالف من قبضة الشرطة، كما أنه بلا أمتعة أو مال كما يعلم الجميع.

أكمل المفتش قائلاً: "لا أستطيع العثور على أى شخص رآه فى المحطة تلك الليلة، ولكن لابد أن أحداً ما قد رآه؛ فهو معروف هنا جيداً، كما لا توجد أية أخبار من ليفربول".

سأله بوارو: "هل تعتقد أنه ذهب إلى ليفربول؟".

"محتمل، تلك المكالمات الهاتفية من المحطة تمت قبل مغادرة القطار السريع المتجه إلى ليفربول بثلاث دقائق. لابد أن فى هذا الأمر شيئًا".

"إلا إذا تعمد أحدهم تضليلكم. ربما كان هذا هو الهدف من المكالمة الهاتفية".

قال المفتش متحمسًا: "هذه فكرة محتملة. هل ترى أن هذا هو تفسير المكالمة الهاتفية حقًا؟".

قال السيد بوارو متجهمًا: "أنا لا أعرف يا صديقى، لكنى سأقول لك ما يلى: أعتقد أننا عندما نجد تفسيرًا لتلك المكالمة سوف نجد تفسيرًا لجريمة القتل".

قلت وأنا أنظر إليه بفضول: "أذكر أنك قلت شيئًا كهذا من قبل".

أومأ بوارو موافقًا.

ثم قال بجدية: "إننى أعود إلى هذه النقطة دائمًا".

قلت: "لا أرى لتلك النقطة أية صلة بالموضوع".

اعترض المفتش قائلاً: "ما كنت لأقول ذلك، ولكنى أعترف بأن السيد بوارو يعزف على هذا الوتر كثيرًا. لدينا مؤشرات أفضل من هذا؛ بصمات الأصابع على الخنجر على سبيل المثال".

وفجأة عاد بوارو إلى طبيعته الأجنبية ـــ وهو ما يحدث له كثيرًا عندما ينفعل من أمر معين.

قـــال بلكنتـــه الفرنســـية: "أيـــها المفتـــش، احـذر مـن الشـوارع المعتمـة... الحـارات الضـيقة... كـيف تقـولون هـذه الكلمـة بالإنجليزيـة؟ الأزقـة الملتوية التى لا نهاية لها".

حدّق إليه المفتش راغلان، لكنى كنت أسرع.

قلت: "هل تقصد الأنفاق المظلمة؟".

"نعم... الطريق المظلم الذى لا يؤدى إلى أى مكان. وقد ينطبق هذا على البصمات؛ فربما لا تقودك إلى أى مكان".

قال ضابط الشرطة: "لا أرى كيف يمكن أن يكون ذلك. أظن أنك تلمّح إلى أنها بصمات مزيفة؟ قرأت عن حدوث شىء كهذا، رغم أننى لم أصادف مثله أثناء عملى، ولكن سواء أكانت حقيقية أم مزورة، فإنها ستؤدى إلى مكان ما".

اكتفى بوارو بأن هزّ كتفيه بلامبالاة وفرد ذراعيه فى الهواء.

بعد ذلك أرانا المفتش عدة صور مكبرة لبصمات أصابع وبدأ يشرح تفاصيل البصمات بعبارات فنية.

وأخيرًا قال، وقد تضايق من عدم اكتراث بوارو بالأمر: "ما بالك؟ يجب أن تعترف بأن هذه بصمات شخص كان موجودًا فى البيت تلك الليلة؟".

قال بوارو وهو يومئ برأسه: "حسنًا".

"لقد أخذت بصمات جميع من فى المنزل... الجميع، بداية من السيدة العجوز وحتى خادمة المطبخ".

لا أظن أن السيدة أكرويد سوف تستمتع بأن يشار إليها بلقب السيدة العجوز. إنها تنفق أموالاً طائلة على مستحضرات التجميل!

كرر المفتش كلامه بانفعال شديد: "بصمات الجميع!".

قلت بجفاء: "بما فى ذلك بصماتى".

أكمل المفتش: "حسنًا، ولم تتطابق أى منها مع البصمات الموجودة على الخنجر. إن هذا يتركنا أمام خيارين: إما أنها بصمات رالف باتون أو بصمات الغريب الغامض الذى أخبرنا الطبيب عنه، وعندما نمسك بهذين الاثنين...".

قاطعه بوارو: "سوف نكون قد أضعنا الكثير من الوقت الثمين".

"لا أفهمك تمامًا يا سيد بوارو".

قال بوارو: "لقد أخذت بصمات الجميع داخل البيت كما تقول، فهل تم أخذ البصمات بصورة دقيقة أيها المفتش؟".

"بالتأكيد".

"دون تجاهل أى شخص؟".

"دون تجاهل أى شخص".

"الحى والميت؟".

بدا المفتش ـ للحظة ـ محتاراً من هذا القول، ثم قال ببطء:

"هل تقصد...؟".

"الميت يا حضرة المفتش".

ومع ذلك لم يفهم المفتش المقصود إلا بعد لحظات.

قال بوارو بوضوح: "أريد أن أقول إن البصمات الموجودة على مقبض الخنجر هى بصمات السيد أكرويد نفسه. إنها مسألة يسهل التحقق منها؛ فجثته ما زالت موجودة".

"ولكن لماذا؟ ما الغرض من ذلك؟ لا أظنك ترمى إلى أنه انتحار يا سيد بوارو؟".

"آه! لا. نظريتى هى أن القاتل وضع قفازات أو كان يلف حول يده شيئًا، وبعد أن نفذ الجريمة أمسك بيد الضحية وأطبقها على مقبض الخنجر".

"ولكن لماذا؟".

هز بوارو كتفيه مرة أخرى وقال:

"ليجعل هذه القضية المعقدة أكثر تعقيداً".

"حسنًا. سأنظر فى هذا الأمر. ما الذى أوحى لك بهذه الفكرة أساسًا؟".

"عندما تكرّمت علىّ وأريتنى الخنجر ولفتّ انتباهى إلى البصمات. أنا لا أعرف إلا القليل عن أشكال البصمات وتفاصيلها، ورغم أنى أعترف صراحة بجهلى فى هذا الأمر، إلا أنه خطر لى أن وضع البصمات غريب إلى حد ما؛ فعندما تريد أن تضرب شخصًا بخنجر فإنك لا تمسكه بهذه الطريقة، ومن الطبيعى أن يصعب وضع يد القتيل فى المكان الصحيح تمامًا من مقبض الخنجر إذا ما رفعت لما فوق الكتف وللخلف".

حدّق المفتش راغلان النظر إلى الرجل الضئيل. أما بوارو فقد نفض بكثير من هدوء البال ذرة غبار عن كم معطفه.

قال المفتش: "حسنًا، إنها فكرة، سأتحقق منها، ولكن أرجو ألا يخيب ظنك إذا ظهر أنها غير صحيحة".

حاول أن يجعل نبرة صوته لطيفة وكأنه يخاطب طفلاً. نظر إليه بوارو وهو ذاهب، ثم التفت إلىّ وعيناه تطرفان.

قال: "فى المرة القادمة يجب أن أكون أكثر مراعاة لمشاعره الرقيقة. والآن بعد أن أصبحنا وحدنا، ما رأيك باجتماع مصغّر للعائلة يا صديقى؟".

عقد الاجتماع المصغر كما سماه بوارو بعد نصف ساعة تقريبًا. جلسنا حول الطاولة فى غرفة الطعام فى بيت السيد أكرويد، وقد جلس بوارو على رأس طاولة كرئيس لاجتماع مجلس إدارة. لم يكن الخدم حاضرين، ولذلك كان مجموعنا ستة أشخاص؛ السيدة أكرويد وفلورا والميجور بلانت وريموند وبوارو وأنا.

وعندما اجتمع الكل حول الطاولة نهض بوارو وحيّانا بانحناءة من جسمه قائلاً:

"أيها السيدات والسادة، لقد دعوتكم إلى هذا الاجتماع لغرض معين "، وسكت للحظة ثم أكمل: "فى البداية أريد أن أتوجه بنداء خاص للآنسة...".

قالت فلورا: "لى أنا؟".

"أنت مخطوبة يا آنستى للكابتن رالف باتون، وهو إن كان يثق بأحد فإنه يثق فيك؛ ولذلك أرجوك رجاء حاراً أن تقنعيه بأن يظهر إن كنت تعرفين مكان وجوده "، وعندما رفعت فلورا رأسها تريد الحديث قال: "دقيقة واحدة من فضلك... لا تقولى أى شىء إلا بعد تفكير عميق. يا آنستى، إن وضعه يزداد خطورة يومًا بعد يوم، ولو ظهر على الفور مهما تكن الحقائق مُرّة فيمكن أن تكون لديه فرصة لشرحها وتبريرها. لكن هذا الصمت... هذا الهروب... ماذا يمكن أن يعنى؟ إنه يعنى شيئًا واحداً بالتأكيد: تأكده

من أنه مذنب. يا آنسة، إن كنت تعتقدين أنه برىء حقًا فأقنعيه بالظهور قبل فوات الأوان".

صار وجه فلورا شاحبًا جدًا.

وكررت كلماته بصوت خفيض: "فوات الأوان!".

مال بوارو إلى الأمام وهو ينظر إليها.

وقال بلطف شديد: "اسمعينى يا آنسة، إن رجلاً فى سن ومقام والدك هو الذى يطلب منك ذلك... بوارو العجوز صاحب الخبرة والتجربة الواسعة. إننى لا أسعى لخداعك يا آنسة. ألن تثقى بى وتخبرينى عن مكان اختباء رالف باتون؟".

نهضت الفتاة عن مقعدها ووقفت فى مواجهته.

ثم قالت بصوت واضح: "سيد بوارو، أقسم لك... أقسم لك صادقة أننى لا أعرف أين رالف، وأننى لم أره ولم أتلق منه خبرًا لا فى يوم الجريمة ولا بعد ذلك".

ثم جلست ثانية، فنظر بوارو إليها صامتًا بعض الوقت، ثم ضرب بيده على الطاولة.

قـال وقـد قسـت قسـمات وجـهه: "لا بـأس! والآن أناشـد الآخـرين الـذين يجلسـون حـول هـذه الطاولـة؛ السـيدة أكرويـد والمـيجور بلانـت والدكتور شيبارد والسيد ريموند. أنتم جميعًا أصدقاء الشاب المفقود وأحباؤه. إن كنتم تعلمون أين يختبئ رالف باتون فتكلموا".

ساد صمت طويل، ونظر بوارو إلى الجميع واحدًا بعد الآخر.

ثم قال بصوت منخفض: "أرجوكم أن تتكلموا".

لكن الصمت ظل مخيمًا، ثم قطعته السيدة أكرويد أخيرًا.

قالت بصوت حزين: "لابد من القول إن غياب رالف غريب جدًا... غريب جدًا بالفعل. لِمَ لا يظهر فى مثل هذا الوقت؟ يبدو أن فى الأمر شيئًا ما. لا يسعنى إلا أن أرى، يا عزيزتى فلورا، أننا محظوظون إذ لم نعلن الخطوبة بينكما رسميًا".

صاحت فلورا غاضبة: "أمى!".

قالت السيدة أكرويد: "إنها العناية الإلهية. إننى أومن دائمًا بالعناية الإلهية. تلك اللمسة السماوية التى ترشدنا ـ مثلما يقول شكسبير فى قصيدته الشهيرة".

تساءل جيفرى ريموند وهو يضحك ضحكته المستهترة: "لا أظنك تحملين القَدَرَ مسئولية كل ما نفعله بأنفسنا يا سيدة أكرويد، أليس كذلك؟".

كانت فكرته ـ حسبما أظن ـ أن يخفف من حدة التوتر، لكن السيدة أكرويد نظرت إليه فى عتاب ثم أخرجت منديلها.

وقالت: "لقد أُنقذت فلورا من الكثير من الفضائح والحزن، وهذا لا يعنى أبداً أننى أرى علاقة لرالف العزيز بمقتل المسكين روجر، فأنا لا أعتقد ذلك؛ إذ إن لى قلباً يحسن الظن بالناس. هكذا كنت دائماً، منذ كنت طفلة. إننى لا أحب إساءة الظن بأى شخص، ولكن علينا أن نتذكر بالطبع أن رالف عاش تحت الغارات الجوية عدة مرات أثناء الحرب وهو صغير، ويقولون إن نتائج مثل هذه التجربة تظهر بعد فترة طويلة، وعندها لا يكون أصحابها مسئولين عن أفعالهم أبداً؛ إذ إنهم يفقدون السيطرة على أنفسهم ولا يملكون التحكم فى أفعالهم".

صاحت فلورا: "أمى! لا أظنك ترين أن رالف هو الفاعل؟".

قال بلانت: "ما بالك يا سيدة أكرويد؟".

قالت السيدة أكرويد وهى تنتحب: "لا أدرى ماذا يجب أن أعتقد؟ إن الأمر مزعج جداً. ماذا سيحدث للممتلكات إذا ما وُجد رالف مذنباً؟".

دفع ريموند كرسيه بعيداً عن الطاولة بعنف، وبقى الميجور بلانت هادئاً ينظر إليها وهو مستغرق فى التفكير. قالت السيدة أكرويد بعناد:

"ربما انتابه نوبة من تلك النوبات الناتجة عن التعرض للقصف... كما أن روجر تركه فى حاجة ماسة للمال... بحسن نية بالطبع. أرى أنكم جميعاً تعارضوننى، ولكنى أرى أن من الغريب جداً ألاّ يظهر رالف، ولابد من القول إننى أحمد الله على عدم إعلان خطبة فلورا منه رسمياً".

قالت فلورا بصوت هادئ: "سنعلنها غداً".

صاحت أمها مذعورة: "فلورا!".

كانت فلورا قد التفتت إلى السكرتير.

"هل أرسلت الإعلان إلى صحيفتى مورننج بوست والتايمز يا سيد ريموند؟".

ردّ بجدية: "إن كنت واثقة من حكمة هذا التصرف يا آنسة أكرويد".

ثم التفتت إلى بلانت بسرعة.

وقالت: "أنت تفهم موقفى. ماذا يسعنى أن أفعل غير ذلك؟ فى مثل هذه الظروف لابد أن أقف بجانب رالف. ألا توافقنى الرأى؟".

نظرت إليه نظرات طويلة متفحصة، وبعد صمت طويل أومأ برأسه موافقاً.

اندفعت السيدة أكرويد فى موجة احتجاجات غاضبة، فيما بقيت فلورا ساكنة، ثم تكلم ريموند قائلاً:

"إننى أقدر دوافعك يا آنسة فلورا، ولكن ألا ترين أنك تتسرعين؟ انتظرى يوماً أو

يومين".

قالت فلورا بصوت حازم: "غداً. لا فائدة من استمرارك على هذه الحال يا أمى. مهما كانت صفاتى السيئة الأخرى، فإن عدم الوفاء لأصدقائى ليست منها".

أخذت السيدة أكرويد تناشد بوارو منتحبة: "سيد بوارو، ألا تقول شيئًا؟".

تدخل بلانت قائلاً: "لا يوجد ما يقال... إنها تفعل الصواب. سأقف إلى جانبها فى السراء والضراء".

مدت فلورا يدها إليه فى امتنان.

وقالت: "شكراً لك يا ميجور بلانت".

قال بوارو: "يا آنسة، هل تسمحين لعجوز مثلى أن يهنئك على شجاعتك ووفائك؟ وهل تتفهمين موقفى إذا طلبت منك من كل قلبى تأجيل الإعلان الذى تتحدثين عنه ليومين على الأقل؟".

ترددت فلورا.

أكمل بوارو: "إننى أطلب ذلك من أجل مصلحة رالف باتون ومصلحتك يا آنسة. أراك تعبسين. أنت لا تدركين كيف يمكن أن يكون هذا فى مصلحتكما، لكنى أؤكد لك أن الأمر كذلك. ليس فى الأمر مزاح. لقد وضعتِ القضية فى يدى، فيجب ألا تضعى العقبات أمامى الآن".

سكتت فلورا قليلاً.

ثم قالت أخيراً: "لست مرتاحة لذلك، ولكنى سأفعل ما تقوله".

ثم جلست فلورا إلى المائدة مرة أخرى.

قال بوارو بسرعة: "والآن سيداتى وسادتى، سأواصل ما كنت أريد قوله. فلتفهموا ما يلى: إننى عازم على الوصول إلى الحقيقة، ومع أن الحقيقة مُرّة بذاتها، إلا أنها مثيرة وجميلة لمن يبحث عنها. لقد كبرت فى السن كثيراً، وربما لم تعد ملكاتى كما كانت عليه من قبل... "، كان واضحًا أنه توقع أن يخالفه أحد، ولكنه سرعان ما أكمل: "إن هذه غالبًا آخر قضية أحقق فيها، لكن هيركيول بوارو لا ينهى حياته بفشل. سيداتى وسادتى، أقول لكم إننى عازم على المعرفة، وسوف أعرف الحقيقة... رغمًا عنكم جميعًا".

نطق الكلمات الأخيرة بطريقة استفزازية وألقاها فى وجوهنا. أظن أننا جميعًا جفلنا قليلاً ما عدا جيفرى ريموند الذى بقى مرحًا رابط الجأش كعادته.

ثم سأله وقد رفع حاجبيه مندهشًا: "ماذا تعنى بقولك رغمًا عنا جميعًا؟".

قال بوارو: "أعنى ما قلته تماماً. كل واحد منكم فى هذه الغرفة يخفى عنى شيئاً... "، وعندما ارتفعت همهمات احتجاج خفيفة رفع يده وقال: "نعم، نعم، إننى أدرك ما أقوله. قد يكون ما تخفونه شيئاً غير مهم أو تافهاً ويُفترض ألا يكون له صلة بالقضية، ولكن هذه هى الحقيقة. كل واحد منكم لديه شىء يخفيه، هيا تكلموا، ألست على حق؟".

كانت نظراته المتحدية المتهِمة تدور حول الجالسين على المائدة، وقد تنكست أمام عينيه كل عينين نظر إليهما ــ بما فى ذلك عيناى.

قال بوارو بضحكة غريبة: "لقد أجبتمونى عن سؤالى "، ثم نهض عن كرسيه وقال: "أرجوكم جميعاً، قولوا لى الحقيقة، الحقيقة كلها".

ساد الصمت للحظة، فقال بوارو: "ألا يريد أحد أن يتكلم؟".

ثم ضحك ضحكته القصيرة مرة أخرى.

وقال: "أمر مؤسف "، ثم خرج.

الفصل الثالث

عشر ريشة الإوزة

فى المساء ـ وبعد تناول العشاء ـ ذهبت إلى منزل بوارو بناء على طلبه. راقبت كارولين مغادرتى بتردد ملحوظ، وأظنها كانت تود لو أتيحت لها فرصة مرافقتى.

رحّب بى بوارو ترحيبًا جيدًا، وكان قد أعد لى شراب الليمون ـ الذى أكرهه ـ أمّا هو فقد شغل نفسه فى إعداد كوب من الكاكاو، وقد عرفت فيما بعد أنه شرابه المفضل.

سأل عن أختى بأدب، حيث قال إنها امرأة تثير الاهتمام بحق.

قلت بجفاء: "أخشى أن تكون قد أوجدت فى نفسها الغرور. ماذا عن زيارتك بعد ظهر الأحد؟".

ضحك وطرفت عيناه.

ثم قال بأسلوب مبهم: "أحب دائمًا الاستعانة بالخبراء "، ولكنه رفض تفسير عبارته هذه.

قلت: "لقد حصلت على كل حال على كل الأقاويل التى تدور فى القرية... الصحيح منها وغير الصحيح".

أضاف بهدوء: "وكذلك معلومات كثيرة قيمة".

"مثل؟".

هزّ رأسه نفيًا.

وأجابنى بسؤال معاكس: "لماذا لم تخبرنى بالحقيقة؟ فى مكان كهذا لابد أن تكون جميع أفعال رالف باتون معروفة. لو أن أختك لم تكن هى التى مرت من الغابة ذلك اليوم لكان شخصًا سواها قد فعل ذلك".

قلت متذمرًا: "أظن ذلك، وماذا عن اهتمامك هذا بمرضاى؟".

طرفت عيناه مرة أخرى.

وقال: "مريض واحد منهم فقط يا دكتور... مريض واحد".

قلت مجازفًا: "المريضة الأخيرة؟".

أجابنى بمكر: "إننى أجد الآنسة راسل مثيرة للاهتمام للغاية".

"هل تتفق مع أختى ـــ ومع السيدة أكرويد ـــ على أنها امرأة تثير الريبة؟".

"هاه! ماذا تقول؟ تثير الرهبة؟".

شرحت له معنى الكلمة بأفضل ما أمكننى.

فسألنى: "وهل قالتا ذلك عنها؟".

"ألم تخبرك أختى بذلك بعد ظهر أمس؟".

"محتمل".

"إنها لا تمتلك أدنى سبب لمثل هذا الاتهام؟".

قال بوارو: "إنهن النساء. كائنات رائعة! يخترعن الأقوال اعتباطًا... فيكون ذلك صحيحًا بقدرة قادر، ولكن ليس هذا ما يحدث. إنهن يلحظن أمورًا صغيرة كثيرة بعقلهن الباطن دون أن يدركن ملاحظتهن لذلك. إن عقلهن الباطن يجمع هذه الأمور الصغيرة إلى بعضها فيسمين النتيجة حدسًا. إننى ماهر جدًا فى علم النفس وأعرف هذه الأشياء".

نفخ صدره غرورًا وبدا منظره سخيفًا إلى حد لم أتمالك معه نفسى من الضحك، ثم رشف رشفة صغيرة من فنجان الكاكاو ومسح شاربه بحرص.

قلت له: "أتمنى لو تخبرنى عن رأيك فى هذا كله؟".

وضع فنجانه على الطاولة.

وقال: "أتتمنى ذلك؟".

"نعم".

"لقد رأيت ما رأيته أنا. ألا يجب أن تكون أفكارنا متطابقة؟".

قلت بقسوة: "لا أراك إلا تهزأ بى. ليست عندى خبرة فى هذه الأمور بالطبع".

ابتسم بوارو فى وجهى ابتسامة متسامح.

وقال: "أنت كالطفل الصغير الذى يريد معرفة أسرار كل شىء. إنك بحاجة لرؤية المسألة، ولكن ليس بعين الطبيب، بل بعين رجل تحريات يعرف الأمور ولا يعبأ بأحد، رجل تحريات يرى الجميع غرباء ويعتبرهم موضع شبهة بالتساوى".

قلت له: "لقد عبرت عما أريد جيداً".

"إذن سأعطيك محاضرة صغيرة. الأمر الأول هو الحصول على تسلسل زمنى واضح لما حدث فى تلك الليلة... واضعاً فى اعتبارك أن الشخص الذى يتكلم من المحتمل أن يكون كاذباً".

رفعت حاجبى دهشة.

"ذلك موقف متشكك".

"لكنه ضرورى، أؤكد لك أنه ضرورى. أولاً ــ الدكتور شيبارد قد غادر فيرنلى الساعة التاسعة إلا عشر دقائق. كيف أعرف هذا؟".

"لأننى أخبرتك بذلك".

"لكن ربما لم تكن تذكر الحقيقة، أو أن الساعة التى كانت بيدك قد لا تكون صحيحة... ولكن باركر يقول أيضاً إنك غادرت البيت فى الساعة التاسعة إلا عشر دقائق، لذلك نقبل بهذه المعلومة ونمضى لغيرها. التاسعة اصطدمت برجل ــ وهنا نأتى إلى ما نسميه حكاية الغريب الغامض ــ وحدث الاصطدام خارج بوابة المنزل تماماً. كيف أعرف أن ذلك صحيح؟".

قلت ثانية: "لقد أخبرتك بذلك "، لكن بوارو قاطعنى بإشارة تدل على نفاد الصبر.

"آه! أنت غبى بعض الشىء هذه الليلة يا صديقى! أنت تعرف أن هذا ما حدث، لكن كيف لى أن أعرف أنا؟ حسناً، أستطيع أن أقول لك إن الغريب الغامض لم يكن هلوسة من جانبك لأن خادمة المنزل الآنسة جانيت التقت به قبل أن تراه أنت ببضع دقائق، وقد سألها عن الطريق إلى فيرنلى بارك أيضاً، لذلك نقبل بصحة وجوده ويمكننا أن نتأكد تماماً من شيئين بخصوصه: أنه غريب عن المنطقة، وأن هدفه من الذهاب إلى فيرنلى لم يكن سرياً لأنه سأل عن الطريق إليه مرتين".

قلت: "نعم؛ أفهم هذا".

"وهنا ركزت مجهودى على الكشف عن شخصية هذا الرجل، وقد علمت أنه تناول شراباً فى فندق ثرى بورز وقالت النادلة إنه يتكلم بلكنة أمريكية وأنه ذكر أنه جاء لتوه من الولايات المتحدة. هل لاحظت أنت أنه كان يتكلم بلكنة أمريكية؟".

قلت بعد أن استغرقت دقيقة أو اثنتين فى تذكر الحادثة: "نعم، أظن ذلك. لكنة خفيفة جداً".

"بالضبط، ولدىّ أيضاً هذه. ربما كنت تذكر أننى التقطتها من البيت الصيفى".

مدّ أمامى الريشة الصغيرة. نظرت إليها بفضول، ثم تذكرت شيئاً كنت قد قرأته.

أومأ بوارو الذى كان يراقب قسمات وجهى.

"نعم، الهيروين والكوكايين الأبيض، يضعها متعاطو المخدرات هكذا فى أنوفهم ويستنشقون بها تلك السموم".

همست تلقائيًا: "هيدرو كلوريد الديامورفين".

"هذه الطريقة فى تعاطى المخدرات شائعة جداً فى الجانب الآخر من الأطلسى، وهو دليل آخر ـــ إن كنا بحاجة إلى دليل على أن الرجل قد جاء إما من كندا أو من الولايات المتحدة".

سألته بفضول: "ما الذى لفت انتباهك أولاً إلى ذلك البيت الصيفى؟".

"لقد سلّم صديقنا المفتش جدلاً بأن أى شخص يستخدم ذلك الطريق إنما يفعل ذلك حتى يختصر الطريق إلى البيت، ولكننى حين رأيت البيت الصيفى أدركت أنه طريق يسلكه أيضًا أى شخص يستخدم البيت الصيفى للقاء غرامى، وفوق ذلك يبدو شبه مؤكد أن الغريب لم يأت لا إلى الباب الأمامى ولا إلى الخلفى، إذن هل خرج أحد من البيت والتقى به؟ إن كان ذلك، فهل يوجد مكان أكثر ملاءمة من البيت الصيفى؟ ولذلك فتشته على أمل العثور على دليل بداخله، فوجدت دليلين؛ قطعة القماش والريشة".

سألته بفضول: "وقطعة القماش هذه، ماذا عنها؟".

رفع بوارو حاجبيه فى دهشة.

ثم قال بجفاء: "إنك لا تستخدم خلايا دماغك الرمادية الصغيرة. ينبغى لقطعة القماش هذه أن تكون واضحة".

"ليست واضحة تمامًا لى "، ثم غيرت مجرى الحديث قائلاً: "على أية حال ذهب هذا الرجل إلى البيت الصيفى لمقابلة امرأة، فمن تكون هذه؟".

"هذا هو السؤال بالضبط. إنك تتذكر أن السيدة أكرويد وابنتها جاءتا من كندا للعيش هنا، أليس كذلك؟".

"هل هذا ما قصدته اليوم عندما اتهمتهما بإخفاء الحقيقة؟".

"ربما. لكن دعنا ننتقل إلى نقطة أخرى: ما رأيك فى قصة خادمة الاستقبال؟".

"أية قصة؟".

"قصة طردها من العمل. هل يحتاج الأمر نصف ساعة حتى تطرد خادمًا؟ أيمكن أن تكون قصة هذه الأوراق المهمة صحيحة؟ ثم تذكر أنها قالت إنها كانت فى غرفة نومها من الساعة التاسعة والنصف إلى العاشرة، ولكن لا يوجد من يؤكد روايتها هذه".

قلت: "إنك تحيرنى".

"الأمر بالنسبة لى يزداد وضوحًا، ولكن أخبرنى الآن عن أفكارك ونظرياتك".

أخرجت قطعة من الورق من جيبى.

ثم قلت معتذرًا: "لقد سجلت هنا بعض الملاحظات".

"ممتاز، لديك منهجية. دعنا نسمعها".

قرأت بصوت مرتبك قليلاً:

"أولاً، يجب أن ننظر إلى هذا الأمر بصورة منطقية...".

قاطعنى بوارو: "هذا ما اعتاد صديقى المسكين هاستينجز على قوله دائمًا، ولكن للأسف؛ لم يكن يفعل أبدًا ذلك!".

"النقطة رقم 1: سُمِع السيد أكرويد يتحدث مع شخص فى التاسعة والنصف".

"النقطة رقم 2: لابد أن رالف باتون قد جاء فى وقت ما من تلك الليلة ودخل من النافذة كما تدل آثار حذائه".

"النقطة رقم 3: كان السيد أكرويد عصبيًا حذرًا فى تلك الليلة، وما كان ليُدخِل أحدًا إلا شخصًا يعرفه".

"النقطة رقم 4: الشخص الذى كان عند السيد أكرويد الساعة التاسعة والنصف كان يطلب نقودًا، ونحن نعرف أن رالف باتون كان فى ضائقة مالية".

"هذه النقاط الأربع تُظهر أن الشخص الذى كان مع السيد أكرويد الساعة التاسعة والنصف هو رالف باتون، لكننا نعلم أن السيد أكرويد كان على قيد الحياة فى العاشرة إلا الربع؛ لذلك لم يكن رالف هو الذى قتله، لعل رالف ترك النافذة مفتوحة، وبعد ذلك جاء القاتل ودخل من النافذة".

سأل بوارو: "ومن يكون القاتل؟".

"الأمريكى الغريب. ربما نفذ جريمته بالاتفاق مع باركر، وربما كان باركر هو الرجل الذى كان يبتز السيدة فيرارز. إذا كان هذا صحيحًا فربما سمع باركر ما يدل على انتهاء اللعبة وأخبر شريكه بذلك فقام الأخير بجريمته باستخدام الخنجر الذى أعطاه باركر له".

اعترف بوارو قائلاً: "تلك نظرية معقولة. لديك خلايا رمادية معقولة. لكنّ أمورًا كثيرة فيها تبقى دون تفسير".

"مثل ماذا؟".

"المكالمة الهاتفية، والكرسى المدفوع إلى الوراء...".

"هل تعتقد حقًا أن موضوع الكرسى هذا مهم؟".

اعترف صديقى قائلاً: "ربما لا. ربما دُفع إلى الوراء بالصدفة وجاء ريموند أو بلانت فأعاده دون وعى بسبب الانفعال، ثم هناك الأربعون جنيهًا المفقودة".

قلت: "أعطاها أكرويد لرالف. ربما أعاد النظر فى رفضه أول مرة".

"وهكذا تبقى مسألة واحدة دون تفسير".

"وما هى؟".

"لماذا كان بلانت متأكدًا فى عقله بأن ريموند هو الذى كان مع السيد أكرويد فى التاسعة والنصف؟".

"لقد شرح ذلك".

"أتظنه شرح ذلك حقًا؟ لن أركّز على هذه النقطة، ولكن أخبرنى: ما أسباب رالف باتون للاختفاء؟".

قلت ببطء: "هذه مسألة أصعب قليلاً. سأتحدث من وجهة نظر طبية. لابد أن رالف قد فقد أعصابه؛ فلو أنه اكتشف فجأة أن عمه قد قُتل بعد دقائق معدودة من مغادرته لغرفته ـ بعد مقابلة عاصفة له مع عمه ـ فإنه قد يخاف ويهرب، لقد رأينا رجالاً كثيرين يفعلون ذلك...

يتصرفون كأنهم مذنبون وهم أبرياء تمامًا".

قال بوارو: "نعم، هذا صحيح، ولكن يجب ألا يفوتنا شىء".

"أعرف ما ستقوله. الدافع... سوف يرث رالف باتون ثروة عظيمة بعد وفاة عمه".

وافقنى بوارو قائلاً: "هذا واحد من الدوافع".

"واحد؟".

"نعم. ألا تدرك أن هناك ثلاثة دوافع منفصلة تظهر واضحة أمام وجوهنا؟ لقد قام شخص ما بسرقة المظروف الأزرق والرسالة التى فيه... هذا أحد الدوافع. الابتزاز! ربما كان رالف باتون هو الذى ابتز السيدة فيرارز. تذكر أن رالف باتون حسب معلومات هاموند لم يطلب مساعدة من عمه فى الفترة الأخيرة، وهذا يعنى أنه كان يحصل على المال من مصدر آخر، ثم حقيقة أنه كان فى ضائقة مالية... ضائقة كان يخشى أن يعلم عمه بها، وأخيرًا يوجد الدافع الذى ذكرته أنت قبل قليل".

قلت مذهولاً: "يا إلهى! إن القضية تبدو ضده تمامًا".

قال بوارو: "حقًا؟ هنا نختلف أنا وأنت. ثلاثة دوافع... إنها تكاد تكون أكثر مما ينبغى. إننى أميل إلى الاعتقاد بأن رالف باتون برىء تمامًا!".

الفصل الرابع عشر

السيدة أكرويد

بعد حديث المساء ــ الذى حكيته من قبل ــ بدت المسألة أمامى وقد دخلت مرحلة جديدة. يمكننى تقسيم الأمر كله إلى مرحلتين كل منهما واضحة ومميزة عن الأخرى؛ المرحلة الأولى تمتد من وفاة أكرويد مساء الجمعة إلى مساء الاثنين الذى أعقبه، وتشمل الأحداث المباشرة التى وقعت كما عرضتُها على هيركيول بوارو. لم أترك بوارو طوال الوقت، وقد رأيت ما رأى، وحاولت جاهداً معرفة ما يدور فى رأسه، وكما عرفت الآن، فقد فشلت فى هذه المهمة الأخيرة، ورغم أن بوارو أرانى كل اكتشافاته ــ كخاتم الزفاف الذهبى مثلاً ــ إلا أنه قد كتم انطباعاته المهمة والمنطقية بداخله، وكما عرفت فيما بعد، كانت هذه السرية إحدى صفاته. كان يلقى بالتلميحات والإشارات، ولكنه لم يكن يفعل أكثر من ذلك.

وكما قلت، فإن روايتى للأحداث حتى ليلة الاثنين ربما كانت هى رواية بوارو نفسه؛ فقد لعبت دور واطسون ــ مساعد شيرلوك هولمز ـ مع بوارو. ولكن بعد الاثنين افترقت بنا السبل؛ حيث كان بوارو مشغولاً فى حساباته الخاصة، وكنت أسمع عما يفعله لأن كل شىء من المفترض أن ينتشر فى قريتنا، ولكنه لم يضعنى فى موضع ثقته، كما كان لى أنا الآخر مشاغلى الخاصة.

أما أكثر ما استرعى انتباهى ــ وأنا أسترجع ما حدث ــ فهو ما ميز هذه الفترة من تشتت؛ فكل واحد له يد فى شرح جانب من اللغز. كان مثل لغز الصورة المقطعة حيث يشارك كل واحد بتقديم جزء من الصورة أو المعلومة، ولكن مهمتهم تنتهى عند هذا الحد. بوارو وحده ـ هو القادر على تركيب هذه القطع الصغيرة ووضعها فى المكان الصحيح.

ولقد بدت بعض الأحداث غير ذات صلة ولا معنى لها. مسألة الحذاء الأسود ذى الرقبة على سبيل المثال... ولكن تلك أتت لاحقًا، وحتى نذكر الأحداث حسب تسلسلها الزمنى لابد أن أبدأ بمسألة استدعاء السيدة أكرويد لى.

فقد أرسلت فى طلبى فى وقت مبكر من صباح الثلاثاء، وبما أن الاستدعاء بدا ملحًا فقد أسرعت إلى هناك متوقعاً أن أجدها فى حالة خطرة.

كانت السيدة على سريرها، وقد أبدت حرصًا مبالغًا به على آداب السلوك والاستقبال

ومدت لى يدها النحيلة مصافحة، ثم أشارت إلىّ بالجلوس على كرسى بجانبها.

قلت: "حسنًا يا سيدة أكرويد، ماذا بك؟".

تحدثت معها بذلك اللطف المتوقع من الممارس العام مثلى.

قالت السيدة أكرويد بصوت خافت: "إننى منهكة القوى... منهكة تمامًا بسبب وفاة المسكين روجر! يقولون إن الإنسان لا يشعر بهذه الأشياء فى حينها فى الغالب، إنما يكون رد الفعل بعد ذلك".

من المؤسف أن مهنة الطبيب تمنعه من قول ما يعتقده حقًا أحيانًا.

كنت أتمنى لو أننى أستطيع الإجابة بكلمة: "هراء".

لكنى اقترحت عليها دواء مقويًا، وقبلت السيدة أكرويد الدواء، وبدا أن الحركة الأولى فى اللعبة قد انتهت؛ إذ لم أتصور ـ للحظة واحدة ـ أنها استدعتنى بسبب صدمة أحدثتها لها وفاة أكرويد، لكن السيدة كانت عاجزة تمامًا عن اتباع طريق مباشر إلى أى موضوع. إنها تتقدم إلى هدفها دائمًا بأساليب ملتوية! وتساءلت عن سبب استدعائها لى.

أكملت مريضتى تقول: "ثم ذلك المشهد... أمس".

سكتت وكأنها تتوقع منى أن أكمل عنها الحديث.

"أى مشهد؟".

"دكتور! كيف ذلك؟ هل نسيت؟ ذلك الفرنسى الضئيل الفظيع... أو البلجيكى... أن يتهجم علينا بهذا الشكل! لقد ضايقنى هذا كثيرًا، وهو يأتى ليزيد معاناتنا الناجمة عن وفاة روجر".

قلت: "أنا شديد الأسف يا سيدة أكرويد".

"لا أعرف ماذا كان يقصد... وهو يشير إلينا جميعًا ويصرخ. أظن أننى أعرف واجبى تمامًا بحيث لا يمكن أن أقوم بإخفاء شىء، ولقد ساعدت الشرطة بكل ما أوتيت من قوة".

سكتت السيدة أكرويد، فقلت لها: "هذا صحيح". وبدأت أفهم سبب هذه المشكلة كلها.

وأكملت السيدة أكرويد: "لا أحد يستطيع القول إننى لم أقم بواجبى، أنا واثقة من أن المفتش راغلان راضٍ تمامًا. لماذا يثير هذا الأجنبى المغرور ضجة؟ إنه مخلوق سخيف ومضحك، ويبدو كمهرج فرنسى فى مسرحية هزلية! لا أفهم لماذا أصرت فلورا على إشراكه فى هذه القضية. إنها لم تستشرنى فى هذا الأمر على الإطلاق، بل

ذهبت بنفسها وتولت الأمر على عاتقها. إن فلورا فتاة شديدة الاستقلالية، وأنا امرأة خضت تجارب الحياة، كما أننى أمها، وكان الأولى أن تأتى من البداية لأخذ نصيحتى".

استمعت لكل هذا الحديث صامتًا.

"ماذا يعتقد؟ هذا ما أريد معرفته، أتراه يتصور فعلاً أننى أخفى شيئًا؟ لقد...لقد اتهمنى أمس صراحة".

رفعت كتفى حيرة.

"لم تترتب على ذلك أية نتائج بالتأكيد، وبما أنك لا تخفين شيئًا فإن أية ملاحظة يلقيها لا تنطبق عليكِ".

غيرت السيدة أكرويد مجرى الحديث فجأة.

حيث قالت: "الخدم متعبون جدًا، يثرثرون ويتحدثون بينهم، ثم يتنقل الحديث ويدور، وفى جميع الحالات لا يوجد فى كلامهم هذا ما

يفيد".

سألتها: "هل كان الخدم يتحدثون؟ عن ماذا؟".

نظرت السيدة أكرويد إلىّ نظرة ماكرة أفقدتنى توازنى.

"كنت واثقة أنك ستعرف يا دكتور، إن كان لأحد أن يعرف؛ فقد كنت مع السيد بوارو طوال الوقت، أليس كذلك؟".

"بلى".

"إذن فأنت تعرف طبعًا. لقد كانت تلك الفتاة أورسولا بورن، أليس كذلك؟ أمر طبيعى؛ فهى راحلة وتريد أن تسبب المشكلات بقدر ما تستطيع. إنهم يحبون الكيد والإزعاج، هكذا هم... كلهم سواء! وبما أنك كنت هناك يا دكتور، فلابد أن تعرف تمامًا ما قالته. إننى مهتمة بألا ينتشر أى انطباع خاطئ فى الجو؛ فالمرء فى النهاية لا يستطيع تكرار كل التفاصيل الصغيرة للشرطة، أليس كذلك؟ توجد أمور عائلية لا علاقة لها بجريمة القتل، ولكن إذا كانت تلك الفتاة حاقدة فإنها قد تقول أى شىء".

أدركت أن وراء هذا السيل من الكلمات قلقًا حقيقيًا. لقد كان بوارو محقًا فى افتراضاته؛ فمن بين الأشخاص الستة الجالسين حول الطاولة بالأمس يبدو أن السيدة أكرويد على الأقل لديها ما تخفيه، وكان علىّ أن أكتشف ماهية الشىء الذى تخفيه.

قلت بسرعة: "لو كنت مكانك لقلت كل ما عندى يا سيدة أكرويد".

هنا أطلقت صرخة صغيرة وقالت:

"آه! يا دكتور، كيف تكون فظًا هكذا؟ إنك تجعل الأمر يبدو كأن... كأن...

يمكننى شرح كل شىء ببساطة".

قلت: "إذن لماذا لا تفعلين؟".

أخرجت السيدة أكرويد منديلاً مزخرفًا واغرورقت عيناها بالدموع وهى تقول:

"كنت أظن يا دكتور أن باستطاعتك إبلاغ السيد بوارو... أن تشرح له الأمر؛ لأنه يصعب على أجنبى مثله فهم وجهة نظرنا، وأنت لا تعرف ــ بل لا أحد يمكنه أن يعرف ــ ما اضطررت للرضا به. كنت أعيش فى عذاب... عذاب طويل، هكذا كانت حياتى. لا أحب أن أغتاب ميتًا، ولكن هكذا كان الأمر. كان روجر يفحص كل الفواتير، الصغيرة والكبيرة... وكأنه رجل فقير، رغم أنه ــ كما أخبرنى السيد هاموند أمس ـ واحد من أكبر الأثرياء فى المنطقة".

سكتت السيدة أكرويد لتجفف دموعها بالمنديل المزخرف.

فقلت مشجعًا: "نعم، كنت تتحدثين عن الفواتير؟".

"تلك الفواتير اللعينة! بعضها لم أحب أن يراه روجر على الإطلاق. كانت أشياء لا يفهمها الرجل، وكان من شأنه أن يقول إن هذه الأشياء غير ضرورية، وقد تراكمت بالطبع واستمر تراكمها...".

نظرت إلىّ نظرات استجداء وكأنها تطلب منى مواساتها على هذا الموقف الغريب.

فوافقتها قائلاً: "نعم، عادة ما تتراكم الفواتير!".

تغيرت نبرتها، وأصبحت هجومية تمامًا وقالت: "أؤكد لك يا دكتور بأننى كنت على وشك الانهيار العصبى. لم أستطع النوم فى الليل، وبدأت أشعر بخفقان فى القلب، ثم وصلتنى رسالة... بل رسالتان من دائنين أسكتلنديين؛ واحدة من السيد بروس ماكفيرسون والثانية من كولن ماكدونالد. كانت مصادفة غريبة".

قلت بجفاء: "لا أظن ذلك. عادة ما يكون الدائنان أسكتلنديين، لكنى أشك أن أجدادهما كانوا من الغجر. "

تمتمت السيدة أكرويد وكأنها تتذكر: "كانت مطالبات بمبالغ مختلفة. وكتبت لواحد منهما، ولكن كان الأمر صعبًا".

توقفت للحظة.

وفهمت أننا نقترب من النقطة الحساسة. لم أعرف امرأة أكثر مراوغة والتفافًا فى الدخول إلى الموضوع منها قط.

تمتمت السيدة أكرويد: "كما ترى؛ فالأمر كله مسألة آمال، أليس كذلك؟ الآمال التى ينتظرها المرء من الوصية، ورغم أننى توقعت طبعًا أن يخصص لى روجر شيئًا إلا

أننى لم أكن متأكدة. وهكذا فكرت لو أنه أتيح لى فقط أن أرى نسخة وصيته. ليس من باب التطفل، ولكن حتى أستطيع القيام بترتيباتى الخاصة فقط".

نظرت إلىّ من طرف عينها. أصبح الوضع الآن حساسًا جدًا؛ فبشىء من الحظ يمكن للكلمات إذا ما استخدمت بذكاء تغطية بشاعة الحقائق المجردة.

قالت السيدة أكرويد بسرعة: "أنا أقول هذا الكلام فقط لأنك عزيز علىّ يا دكتور شيبارد. إننى أثق فى أنك لن تسىء الحكم علىّ، وأثق فى قدرتك على شرح موقفى للسيد بوارو بطريقة صحيحة، كان ذلك بعد ظهر الجمعة...".

سكتت وابتلعت ريقها بتردد.

فقلت مشجعًا: "نعم، بعد ظهر الجمعة، ماذا حدث؟".

"كان الكل خارج البيت، أو هكذا ظننت، وذهبت إلى مكتب روجر. كان عندى سبب حقيقى للذهاب إلى هناك... أقصد لم يكن الأمر سرًا، وعندما رأيت كل الأوراق مكومة على المكتب أتانى خاطر "ماذا لو كان روجر يحتفظ بوصيته فى أحد أدراج المكتب؟ "، إننى امرأة تلقائية التصرفات، هكذا كنت دائمًا منذ أن كنت طفلة؛ أقوم بتصرفاتى من وحى اللحظة الحاضرة. كان قد ترك مفاتيحه فى قفل الدرج العلوى، وهو إهمال بالغ من طرفه...".

قلت لأساعدها على الحديث: "فهمت، وهكذا فتشت الدرج، وهل وجدت الوصية؟".

صرخت السيدة أكرويد صرخة بسيطة فأدركت أننى لم أكن دبلوماسيًا بما فيه الكفاية.

"لَكَم يبدو ذلك فظيعًا! الأمر لم يكن كذلك على الإطلاق".

أسرعت قائلاً: "بالطبع لم يكن كذلك. أرجو أن تسامحينى على طريقتى اليائسة فى التعبير عن الأمور".

"الرجال غريبو الأطوار بالطبع. لو كنت مكان روجر لما مانعت فى كشف ما فى وصيتى، ولكنّ الرجال شديدو الكتمان. يضطر المرء للقيام بقليل من المراوغة معهم دفاعًا عن النفس".

سألتها: "وماذا كانت نتيجة هذا القدر القليل من المراوغة؟".

"هذا ما أنا بصدد قوله لك. عندما وصلت إلى الدرج السفلى دخلت أورسولا بورن. كان موقفًا فظيعًا. أغلقت الدرج بالطبع ووقفت ولفتْ انتباهها إلى بعض الغبار على المكتب، لكن نظراتها لم تعجبنى. كان سلوكها يدل على الاحترام ولكنّ بريقًا خبيثًا ظهر فى عينيها، بريقًا يكاد يوحى بالاحتقار... إن كنت تفهم ما أعنيه. لم أحب تلك الفتاة أبدًا. إنها خادمة جيدة وتنادينى بلقب (سيدتى) وهى لا تمانع فى لبس غطاء

الرأس والمريلة ـ مثلما تفعل الكثير من الخادمات اليوم ـ ويمكنها أن تقول: "سيدتى ليست فى البيت "دون تردد إذا ما فتحت الباب بدلاً من باركر... أين وصلت فى كلامى؟".

"كنت تقولين إنك لم تحبيها رغم حسناتها الكثيرة".

"لم أحبها أبداً! إنها غريبة، وفيها شىء يختلف عن الآخرين؛ فهى مثقفة جداً حسب ظنى. لا يمكن للمرء أن يخمن هذه الأيام من هى السيدة الحقيقية ومن هى المرأة العامية".

تساءلت قائلاً: "وماذا حدث بعد ذلك؟".

"لا شىء مهم. دخل روجر ـ وأظنه كان يتمشى فى الخارج ـ وقال: "ما كل هذا؟ "، فقلت: "لا شىء؛ جئت إلى هنا لآخذ مجلة". وأخذت المجلة وخرجت، وبقيت بورن فى المكتب، ثم سمعتها وهى تطلب من روجر أن تتحدث معه قليلاً، ثم صعدت إلى غرفتى لأستلقى؛ إذ كنت متضايقة كثيراً".

ساد الصمت للحظة.

ثم قالت: "هل ستشرح للسيد بوارو؟ يمكنك أن ترى بنفسك كيف كانت تلك مسألة تافهة، ولكنه ـ حين شدد على مسألة إخفاء أشياء عنه ـ فكرت فى هذا على الفور. ربما اختلقت الخادمة من الأمر قصة غريبة وخيالية، ولكنك تستطيع شرح الأمر، أليس كذلك؟".

"هل هذا كل شىء؟ هل قلت لى كل شىء؟".

"ن... نعم. آه! نعم".

لكنى لاحظت ذلك التردد المؤقت؛ فعرفت أنه مازال لديها شىء تخفيه، وفى ومضة من الذكاء خطر لى أن أطرح عليها ذلك السؤال.

"سيدة أكرويد، هل أنت من ترك طاولة الفضيات مفتوحة؟".

عرفت الإجابة من احمرار وجهها بالذنب، وهو ما لم تستطع الأصباغ إخفاءه.

همست قائلة: "وكيف عرفت؟".

"إذن فهو أنت؟".

"نعم... أنا. كانت هناك قطعة أو قطعتان من الفضة القديمة وكانتا رائعتين للغاية، وكنت قد قرأت فى إحدى المجلات خبراً عن قطعة صغيرة بيعت فى المزاد بمبلغ خيالى، لقد بدت شبيهة تماماً بتلك القطعة من طاولة الفضيات، وفكرت فى أخذها إلى لندن لتقييمها، فإذا ما كانت قيمة حقاً فستكون مفاجأة عظيمة لروجر. أليس

كذلك؟".

منعت نفسى عن التعليق وقبلت رواية السيدة أكرويد على علاتها؛ حتى إننى امتنعت عن سؤالها لماذا تضطر لأخذ ما كانت تريده بهذه الطريقة المريبة.

سألتها: "لماذا تركت الغطاء مفتوحاً؟ هل نسيت؟".

"لقد فُوجئت. سمعت أصوات أقدام تقترب على الشرفة الخارجية، فأسرعت بالخروج من الغرفة وصعدت السلم تماماً قبل أن يفتح لك باركر باب البيت".

قلت بصوت خافت: "لابد أنها كانت الآنسة راسل". كانت السيدة أكرويد قد كشفت لى حقيقة مثيرة إلى أبعد حد. لم أعرف ولم أهتم بحقيقة نواياها بخصوص التحفة الفضية، لكن ما أثار اهتمامى هو حقيقة أن الآنسة راسل قد دخلت إلى غرفة الاستقبال دون شك عبر النافذة الزجاجية، وأننى لم أخطئ عندما حكمت عليها بأنها كانت لاهثة كما لو كانت تركض. ترى أين كانت؟ فكرت فى البيت الصيفى وقطعة القماش.

صحت فوراً بشكل عفوى: "ترى هل كانت الآنسة راسل تضع النشا على مناديلها؟".

جفلت السيدة أكرويد من سؤالى فقطعت حديثى ونهضت.

وما لبثت أن سألتنى بقلق: "هل تعتقد أن بإمكانك شرح الموقف للسيد بوارو؟".

قلت: "آه، بالتأكيد، دون شك".

وأخيراً فررت منها بعد أن أجبرتنى على الإصغاء لمزيد من التبريرات لسلوكها.

كانت خادمة الاستقبال فى الصالة، وهى التى ساعدتنى على ارتداء معطفى. راقبتها عن قرب أكثر من ذى قبل، وبدا واضحاً أنها كانت تبكى.

سألتها: "كيف قلت لنا إن السيد أكرويد أرسل فى طلبك إلى مكتبه يوم الجمعة؟ سمعت الآن أنك أنت التى طلبت الحديث معه".

نظرت الفتاة إلى الأرض خجلاً للحظات.

ثم تكلمت مترددة.

قالت فى تردد: "كنت أنوى الرحيل فى كل الأحوال".

لم أضف على ذلك شيئًا. فتحت لى الباب، وعندما كنت على وشك الخروج قالت فجأة وبصوت منخفض:

"أرجو المعذرة يا سيدى، هل توجد أية أخبار عن الكابتن باتون؟".

هززت رأسى نافيًا وأنا أنظر إليها متسائلاً.

قالت: "يجب أن يعود. نعم، يجب أن يعود".

كانت تنظر إلىّ بعيون مستغيثة.

وسألتنى: "ألا يعلم أحد مكانه؟".

سألتها بحدة: "هل تعرفين أنت؟".

هزت رأسها نافية ثم قالت:

"لا، لا أعرف شيئًا، ولكن من شأن أى صديق له أن يخبره بما يلى: يجب عليه أن يعود".

تريثت فى الخارج ظنًا أن الفتاة ربما تريد قول المزيد، وقد فاجأنى سؤالها التالى:

"متى يعتقدون أن الجريمة قد وقعت؟ قبل العاشرة بقليل؟".

قلت: "نعم بين العاشرة إلا الربع والعاشرة؟".

"ليس قبل ذلك؟ ليس قبل العاشرة إلا الربع؟".

نظرت إليها بتمعن. كان واضحًا أنها متلهفة تمامًا لسماع ما يؤكد كلامها.

قلت: "إنها مسألة مفروغ منها؛ فالآنسة أكرويد رأت عمها فى الساعة العاشرة إلا الربع".

ثم ابتعدت فرأيت كم كانت واهنة.

قلت محدثًا نفسى: "إنها فتاة جميلة... بل هى شديدة الجمال".

كانت كارولين فى البيت، وقد زارها بوارو، وكانت مسرورة جدًا ومزهوة من زيارته.

أوضحت تقول: "إننى أساعده فى القضية".

شعرت بشىء من الضيق، إذا كانت كارولين سيئة بما فيه الكفاية كما هى، فكيف ستكون إذا ما شجع أحدهم غرائز الاستقصاء والتحرى فيها؟

سألتها: "هل تدورين فى المنطقة بحثًا عن فتاة رالف باتون الغامضة؟".

"قد أقوم بذلك لحسابى الخاص، ولكنى لا أقوم بذلك الآن. إنه أمر خاص أرادنى بوارو أن أكتشفه".

سألتها: "وما هو؟".

قالت كارولين بجدية مدهشة: "يريد أن يعرف إن كان حذاء رالف باتون ذو الرقبة أسود أم بنيًا".

حدقت إليها ذاهلاً. إننى أدرك الآن ــ وأنا أكتب هذه الكلمات ــ كم كنت غبيًا إلى حد لا يصدق فيما يخص ذلك الحذاء ذا الرقبة! لقد فشلت فى إدراك المغزى من ذلك تمامًا.

قلت: "لقد كان الحذاء بنيًا؛ لقد رأيته".

"ليس حذاءه العادى يا جيمس، وإنما الحذاء ذو الرقبة. السيد بوارو يريد أن يعرف إن كان الحذاء الطويل الموجود مع رالف فى الفندق أسود أم بنيًا. أمور كثيرة معلقة على ذلك".

سمنى غبيًا إن شئت؛ فأنا لم أفهم الأمر!

سألتها: "وكيف ستعرفين؟".

قالت كارولين: "لا توجد صعوبة فى ذلك؛ فالصديقة الحميمة لخادمتنا آنى هى خادمة الآنسة جانيت واسمها كلارا، وقد كانت كلارا هى المسئولة عن أحذية الرجال فى فندق ثرى بورز. كان كل شىء بسيطًا للغاية، وبمساعدة من الآنسة جانيت ــ التى تعاونت بإخلاص وسمحت لكلارا بالخروج ــ جاء الجواب بسرعة القطار السريع".

وعندما كنا نجلس على مائدة العشاء قالت كارولين متظاهرة بعدم الاهتمام:

"بخصوص حذاء رالف باتون هذا...".

قلت: "ماذا عنه؟".

"لقد ظن السيد بوارو أنه ربما كان بنى اللون. كان مخطئًا؛ إنه أسود".

أومأت كارولين برأسها عدة مرات. من الواضح أنها شعرت بأنها سجلت نقطة على بوارو.

لم أجبها؛ فقد كنت أضرب أخماسًا فى أسداس لمعرفة العلاقة بين لون حذاء رالف باتون وبين القضية.

الفصل الخامس عشر

جيفرى ريموند

فى ذلك اليوم، توصلت إلى دليل آخر يثبت نجاح أساليب بوارو؛ فقد اتضح أن ذلك التحدى الذى ألقاه فى الاجتماع العائلى كان لمحة بارعة ناتجة عن معرفته بالطبيعة البشرية، ولقد كان الخوف والشعور بالذنب كافيين لأن يخرجا الحقيقة من صدر السيدة أكرويد.

وكانت أول من استجاب لذلك التحدى.

وفى ذلك المساء، عندما عدت من زيارتى للمرضى أخبرتنى كارولين بأن جيفرى ريموند قد غادر المنزل لتوه.

سألتها وأنا أعلق معطفى فى الصالة: "هل أراد رؤيتى؟".

كانت كارولين تحوم قريبًا منى.

قالت: "بل أراد مقابلة السيد بوارو؛ فقد كان عائداً لتوه من منزل السيد بوارو ـ والذى كان خارج المنزل ـ وظن السيد ريموند أنه ربما كان عندنا أو أنك تعرف مكانه".

"لا أعرف أى شىء عنه".

"حاولت حمله على الانتظار لكنه قال إنه سيعود إلى منزل بوارو بعد نصف ساعة ثم ذهب إلى القرية. أمر مؤسف جداً لأن السيد بوارو حضر بعد دقيقة من مغادرة ريموند".

"حضر إلى هنا؟".

"لا، بل إلى بيته".

"وكيف عرفت؟".

قالت كارولين باختصار: "النافذة الجانبية".

بدا لى أننا قد انتهينا من الموضوع، ولكن كارولين كانت ترى غير ذلك.

قالت: "ألا تريد الذهاب؟".

"إلى أين؟".

"إلى بيت السيد بوارو بالطبع".

"يا عزيزتى كارولين، ولماذا أذهب؟".

"أراد السيد بوارو رؤيته لأمر مُلِح، وربما عرفت أنت ما الموضوع".

رفعت حاجبى دهشة.

وقلت ببرود: "إن الفضول ليس من صفاتى. يمكننى العيش بارتياح دون أن أعرف بالضبط ما يفعله جيرانى أو ما يفكرون فيه".

"هذا هراء يا جيمس! إنك لا تقل عنى لهفة، ولكنك لست صادقًا، هذا كل ما فى الأمر، إنك دائمًا ما تضطر للتظاهر".

قلت: "إليك عنى يا كارولين!"، ثم انسحبت إلى عيادتى.

بعد عشر دقائق دقت كارولين الباب ودخلت، كانت تحمل فى يدها ما يبدو أنه علبة مربى.

قالت: "هل يمكنك أخذ علبة مربى الفاكهة هذه إلى السيد بوارو؟ لقد وعدته بها؛ فهو لم يتذوق فى حياته طعم المربى المصنوعة فى المنزل".

سألتها ببرود: "ولماذا لا تأخذها آنى؟".

"إنها مشغولة ببعض الأعمال ولا أستطيع الاستغناء عنها".

تبادل كلانا النظرات.

ثم قلت وأنا أهمُّ بالوقوف: "حسنًا، ولكن إن أخذت هذه العلبة فسأعطيها لمن يفتح الباب، حتى لو لم يكن بوارو نفسه، أفهمت ذلك؟".

رفعت أختى حاجبيها.

ثم قالت: "أمر طبيعى. من قال لك أن تفعل غير ذلك؟".

كانت تلك نقطة لصالح كارولين.

ولكنها قالت وأنا أفتح الباب: "إن صادف ورأيت السيد بوارو فيمكنك أن تخبره عن موضوع الحذاء".

كانت ضربة دقيقة وبارعة من جانبها؛ إذ كنت متلهفًا جدًا لفهم لغز الحذاء ذى الرقبة، وعندما فتحت لى السيدة العجوز الباب وجدت نفسى أسألها تلقائيًا إن كان السيد بوارو موجودًا فى الداخل.

قفز بوارو لاستقبالى وعلامات السرور بادية عليه.

قال: "اجلس يا صديقى الطيب. أتريد الكرسى الكبير؟ أم هذا الصغير؟ هل الغرفة حارة جداً؟".

كانت الغرفة خانقة من شدة الحر لكنى امتنعت عن قول ذلك. كانت النوافذ مغلقة والنار مستعرة فى المدفأة.

قال بوارو: "الإنجليز لديهم هوس بالهواء النقى. الهواء النقى جميل فى الخارج؛ حيث مكانه الطبيعى، فلماذا ندخله إلى بيوتنا؟ ولكن دعنا من هذه الأمور التافهة. لديك أمر تريد قوله، أليس كذلك؟".

قلت: "بل أمران. الأول؛ هذا.... من أختى".

أعطيته علبة المربى.

فقال: "يا للطف الآنسة كارولين! لقد تذكرت وعدها. وما الشىء الآخر؟".

"معلومة... من نوع معين".

أخبرته عن مقابلتى مع السيدة أكرويد، فأصغى باهتمام ولكن دون اهتمام كبير.

ثم قال متأملاً: "هذا يوضح الأمور. كما أن له قيمة معينة وهو أنه يؤكد شهادة مديرة المنزل. تذكر أنها قالت إنها وجدت طاولة الفضيات مفتوحة فأغلقتها عندما مرت من جانبها".

"ماذا عن ادعائها أنها قد دخلت إلى غرفة الاستقبال لكى تتفقد الأزهار؟".

"آه! إننا لم نأخذ ذلك على محمل الجد أبداً، أليس كذلك يا صديقى؟ كان واضحاً أنه مجرد عذر اختلقته امرأة على عجل عندما أحست أنها يجب أن تبرر وجودها... ذلك الوجود الذى قد لا تكون أنت فكرت فى دوافعه. لقد حسبت أن انفعالها ربما كان ناتجاً عن حقيقة أنها كانت تعبث بطاولة الفضيات، ولكننى أرى الآن أن علينا أن نبحث عن سبب آخر".

قلت: "نعم. من الذى خرجت لمقابلته؟ ولماذا؟".

"هل تظن أنها خرجت لملاقاة أحد؟".

"نعم".

أومأ بوارو برأسه.

وقال متأملاً: "وكذلك أنا".

ساد الصمت للحظة.

ثم قلت: "بالمناسبة، لدى رسالة لك من أختى. لقد كان حذاء رالف باتون أسود وليس بنيًا".

كنت أراقبه عن كثب وأنا أبلغه بالرسالة وتخيلت أننى رأيت لمحة اضطراب سريع ما لبث أن اختفى فى الحال.

قال: "هل هى متأكدة تمامًا أنه لم يكن بنى اللون؟".

"دون شك".

قال بوارو آسفًا: "آه! هذا مؤسف".

بدا محبطًا تمامًا.

ولم يدخل فى تفسيرات، لكنه بدأ موضوعًا جديدًا على الفور.

"عندما جاءتك مديرة المنزل، الآنسة راسل، تستشيرك صباح يوم الجمعة، هل يمكننى سؤالك عما دار فى لقائكما ـ بعيدًا عن التفاصيل الطبية؟".

قلت: "بالتأكيد. عندما انتهى الحديث عن مشكلتها الطبية تحدثنا بضع دقائق عن السموم ومدى سهولة أو صعوبة كشفها، وعن تعاطى المخدرات ومدمنى المخدرات".

سأل بوارو: "وكانت تشير إلى الكوكايين بشكل خاص؟".

قلت وقد فوجئت: "كيف عرفت ذلك؟".

وجوابًا عن سؤالى نهض بوارو من مقعده وذهب إلى حيث توجد مجموعة من الصحف. أحضر لى نسخة من صحيفة الديلى بدجيت ليوم الجمعة السادس عشر من سبتمبر، ثم أرانى مقالاً يتعلق بتهريب الكوكايين.

قال: "هذا ما جعلها تفكر فى الكوكايين يا صديقى".

كنت سأستجوبه أكثر لأنى لم أفهم قصده، ولكن فى تلك اللحظة فُتحَ الباب وأخبرتنا الخادمة عن وصول جيفرى ريموند.

دخل متحمسًا ومرحًا كعادته وحيّانا نحن الاثنين.

"كيف حالك يا دكتور؟ هذه ثانى مرة آتى فيها إلى هنا هذا الصباح يا سيد بوارو. كنت متلهفًا على اللحاق بك".

قلت بارتباك: "ربما علىّ أن أذهب".

قال ريموند: "إذا كان من أجلى فلا تفعل يا دكتور. كل ما فى الأمر... "، ثم أكمل وهو يجلس؛ حيث أشار إليه بوارو: "كل ما فى الأمر أن لدىّ اعترافًا أود أن أبوح به".

قال بوارو بشيء من الاهتمام: "حقًا؟".

"الحق أنه ليس أمرًا مهمًا. لكن ضميرى كان يؤنبنى منذ عصر أمس. لقد اتهمتنا كلنا بإخفاء شيء يا سيد بوارو، وأنا أعترف بذنبى؛ فلدى شيء كنت أتستر عليه".

"ما هو يا سيد ريموند؟".

"كما قلت، ليس بالأمر المهم. كنت فى ضائقة مالية بسبب الديون... ضائقة مالية كبيرة، وجاءت الوصية فى الوقت الحرج. خمسمائة جنيه تنقذنى من ورطتى، إضافة إلى ادخار شيء منها أيضًا".

ثم ابتسم لنا بتلك الصراحة التى تجعله شابًا محبوبًا.

"أنت تعرف كيف يرتاب رجال الشرطة فى الناس. لم أرغب بالاعتراف بأننى فى ضائقة مالية... حسبت أنهم سيفهمون الأمر بطريقة سيئة، ولكنى كنت غبيًا حقًا؛ فأنا كنت مع بلانت فى غرفة البلياردو من الساعة العاشرة إلا الربع فصاعدًا؛ لذلك عندى دليل براءة أكيد ولا يمكن أن أخشى شيئًا، ومع ذلك عندما توعدت وتكلمت عن إخفاء أمور عنك، أحسست بوخز ضمير ورأيت ضرورة إزاحة الأمر عن صدرى".

ثم نهض من مقعده ثانية ووقف يبتسم لنا.

فقال بوارو وهو يومئ له مستحسنًا: "أنت شاب حكيم جدًا. إنك تعلم أننى عندما أعرف أن شخصًا يخفى عنى شيئًا فإننى أشك فى كون هذا الشيء سيئًا. حسنًا فعلت".

ضحك ريموند وقال: "أنا مسرور لخروجى من دائرة الشبهات وسأذهب الآن".

قلت بعد أن أغلق الشاب الباب وراءه: "هكذا الأمر إذن".

قال بوارو موافقًا: "نعم. شيء تافه، ولكن إن لم يكن فى غرفة البلياردو وقتها...فمن يدرى؟ إن كثيرًا من الجرائم وقعت من أجل مبلغ يقل عن خمسمائة جنيه. هذا يعتمد على مقدار المبلغ الذى يكفى لتحطيم مقاومة أى رجل... مسألة نسبية، أليس كذلك؟ هل فكرت يا صديقى بأن كثيرًا من الناس فى ذلك البيت سوف يستفيدون من مقتل السيد أكرويد؟ السيدة أكرويد، الآنسة فلورا، السيد ريموند، الآنسة راسل مديرة المنزل. واحد فقط لا يستفيد ـ فى الواقع ـ وهو الميجور بلانت".

كانت نبرته عندما نطق بذلك الاسم غريبة جدًا ولذلك رفعت بصرى متحيرًا.

وقلت: "أنا لا أفهمك".

"اثنان من الذين اتهمتهم سالفًا قد تقدما لقول الحقيقة".

"هل تعتقد أن الميجور بلانت لديه هو الآخر ما يخفيه؟".

قال بوارو دون اكتراث: "بالنسبة لهذه النقطة أعرف مثلاً يقول إن الإنجليز لا

يخفون إلا شيئًا واحدًا فقط... وهو حبهم، وأظن أن الميجور بلانت ليس ماهرًا فى مسألة الإخفاء!".

قلت: "أحيانًا أتمنى لو أننا لم نقفز إلى النتائج بخصوص نقطة معينة".

"وما هى؟".

"لقد افترضنا أن مبتز السيدة فيرارز هو بالضرورة قاتل السيد أكرويد، ألا يمكن أن نكون مخطئين؟".

أومأ بوارو بقوة وقال:

"رائع... رائع حقًا. تساءلت إن كانت تلك الفكرة ستخطر ببالك. هذا محتمل بالطبع، ولكن يجب أن تتذكر نقطة واحدة: الرسالة التى اختفت، ومع ذلك ليس بالضرورة كما تقول أن يكون القاتل هو الذى أخذها. عندما عثرت على الجثة أول مرة ربما كان باركر قد أخذ الرسالة دون أن تلحظه".

"باركر؟".

"نعم باركر، إننى أعود إلى باركر دائمًا ــ ليس بصفته قاتلاً ــ كلا، فهو لم يرتكب الجريمة؛ ولكن من قد يكون أكثر منه ملاءمة لدور الوغد الغامض الذى أرعب السيدة فيرارز؟ ربما حصل على معلومات تخص وفاة السيد فيرارز من أحد خدم منزل فيرارز. إن عثوره على هذه المعلومات على أية حال مرجح أكثر من عثور ضيف عارض عليها كالسيد بلانت مثلاً".

اعترفت قائلاً: "ربما كان باركر قد أخذ الرسالة؛ فأنا لم أنتبه لاختفائها إلا فى وقت متأخر".

"كم مضى من الوقت قبل أن تنتبه لاختفائها؟ بعد أن دخل بلانت وريموند الغرفة أم قبل ذلك؟".

قلت ببطء: "لا أتذكر، أظن أنه قبل... لا بل بعد ذلك. نعم، أكاد أثق أن ذلك كان بعد دخولهما".

قال بوارو متأملاً: "هذا يوسع مجال الشبهة ليشمل ثلاثة أشخاص، لكن باركر هو الأرجح. إننى أفكر فى تجربة صغيرة مع باركر. هل ترافقنى إلى فيرنلى يا صديقى؟".

وافقته وانطلقنا على الفور. طلب بوارو رؤية الآنسة أكرويد فجاءتنا فلورا على الفور.

قال بوارو: "آنسة فلورا، أريد أن أبوح لك بسر صغير: أنا لست مقتنعًا ببراءة باركر بعد، وأريد القيام بتجربة صغيرة بمساعدتكم. أريد إعادة تمثيل أعماله التى قام بها تلك الليلة، ولكن ينبغى أن نفكر فى ذريعة نقولها له. آه، لقد وجدتها. سنقول له

إننى أريد أن أقنع نفسى إن كانت الأصوات فى الردهة الصغيرة يمكن سماعها من على الشرفة الخارجية، والآن أرجو أن تضغطى على الجرس ليحضر باركر".

فعلت ما طلبه منى فجاء الخادم على الفور، هادئًا كعادته.

"هل ضربت الجرس يا سيدى؟".

"نعم يا عزيزى باركر. لقد فكرت فى تجربة صغيرة: طلبت من الميجور بلانت أن يقف على الشرفة خارج نافذة المكتب؛ فأنا أريد أن أرى إن كان أحد يمكنه سماع صوتك وصوت الآنسة أكرويد فى الردهة فى تلك الليلة. أريد إعادة تمثيل ذلك المشهد. هلا ذهبت لتحضر الصحفة أو غير ذلك مما كنت تحمله فى ذلك الوقت!".

ذهب باركر على الفور وتجمعنا فى الردهة خارج باب المكتب، وسرعان ما سمعنا أصوات كئوس فى الصالة الخارجية، وظهر باركر عند باب الردهة يحمل بيده صحفة عليها كأسان.

صاح بوارو وهو يرفع يده وعليه علامات الانفعال: "لحظة واحدة من فضلك. يجب أن يتم كل شىء بنظام. تمامًا كما حدث ليلة الجريمة. تلك هى طريقتى فى العمل".

قال باركر: "إنه تقليد أجنبى يا سيدى.. يسمونه إعادة تمثيل الجريمة، أليس كذلك؟".

كان هادئًا جدًا وهو يقف هناك بأدب فى انتظار أوامر بوارو.

صاح بوارو: "آه، إن باركر الطيب يعرف شيئًا... لقد قرأ عن هذه الأمور! والآن، أرجوكم، نريد كل شىء كما حدث بالضبط. لقد جئت يا باركر من الصالة الخارجية... هكذا كما فعلت الآنسة. أين كنت تقفين يا آنسة؟".

قالت فلورا وهى تقف خارج باب المكتب تمامًا: "هنا".

قال باركر: "صحيح يا سيدى".

أكملت فلورا تقول: "كنت قد أغلقت الباب لتوى".

وافقها باركر: "نعم يا آنسة. كانت يدك لا تزال على مقبض الباب كما هى الآن".

قال بوارو: "هيا إذن أتموا لى هذه المسرحية".

وقفت فلورا ويدها على مقبض الباب، وجاء باركر من الصالة إلى باب الردهة وهو يحمل الصحفة.

وقف عند الباب من الداخل وتحدثت إليه فلورا.

"آه، باركر؟ السيد أكرويد لا يريد لأحد أن يقطع عليه خلوته مرة أخرى هذه الليلة".

ثم أضافت بصوت خفيف: "هل هذا ما قلته ليلتها؟".

قال باركر: "نعم، وفق ما أتذكره يا آنسة فلورا، لكنى أظن أنك قلت "هذا المساء "بدلاً من "هذه الليلة "، "ثم رفع صوته بطريقة تمثيلية

وقال: "حسنًا يا آنسة، هل أقفل الأبواب كالعادة؟".

"نعم، أرجوك".

عاد باركر وخرج من الباب وتبعته فلورا وبدأت تصعد السلم الرئيسى.

ثم قالت وهى تنظر إلى الوراء: "هل يكفى هذا؟".

قال بوارو وهو يفرك يديه: "رائع. بالمناسبة يا باركر، هل أنت واثق من وجود كأسين اثنتين على الصحفة تلك الليلة؟ لمن كانت الكأس الثانية؟".

قال باركر: "إننى أحضر كأسين فى العادة. هل من شىء آخر؟".

إعادة تمثيل أعماله التى قام بها تلك الليلة، ولكن ينبغى أن نفكر فى ذريعة نقولها له. آه، لقد وجدتها. سنقول له إننى أريد أن أقنع نفسى إن كانت الأصوات فى الردهة الصغيرة يمكن سماعها من على الشرفة الخارجية، والآن أرجو أن تضغطى على الجرس ليحضر باركر".

فعلت ما طلبه منى فجاء الخادم على الفور، هادئًا كعادته.

"هل ضربت الجرس يا سيدى؟".

"نعم يا عزيزى باركر. لقد فكرت فى تجربة صغيرة: طلبت من الميجور بلانت أن يقف على الشرفة خارج نافذة المكتب؛ فأنا أريد أن أرى إن كان أحد يمكنه سماع صوتك وصوت الآنسة أكرويد فى الردهة فى تلك الليلة. أريد إعادة تمثيل ذلك المشهد. هلا ذهبت لتحضر الصحفة أو غير ذلك مما كنت تحمله فى ذلك الوقت!".

ذهب باركر على الفور وتجمعنا فى الردهة خارج باب المكتب، وسرعان ما سمعنا أصوات كئوس فى الصالة الخارجية، وظهر باركر عند باب الردهة يحمل بيده صحفة عليها كأسان.

صاح بوارو وهو يرفع يده وعليه علامات الانفعال: "لحظة واحدة من فضلك. يجب أن يتم كل شىء بنظام. تمامًا كما حدث ليلة الجريمة. تلك هى طريقتى فى العمل".

قال باركر: "إنه تقليد أجنبى يا سيدى.. يسمونه إعادة تمثيل الجريمة، أليس كذلك؟".

كان هادئًا جدًا وهو يقف هناك بأدب فى انتظار أوامر بوارو.

صاح بوارو: "آه، إن باركر الطيب يعرف شيئًا... لقد قرأ عن هذه الأمور! والآن،

أرجوكم، نريد كل شيء كما حدث بالضبط. لقد جئت يا باركر من الصالة الخارجية... هكذا كما فعلت الآنسة. أين كنت تقفين يا آنسة؟".

قالت فلورا وهى تقف خارج باب المكتب تمامًا: "هنا".

قال باركر: "صحيح يا سيدى".

أكملت فلورا تقول: "كنت قد أغلقت الباب لتوى".

وافقها باركر: "نعم يا آنسة. كانت يدك لا تزال على مقبض الباب كما هى الآن".

قال بوارو: "هيا إذن أتموا لى هذه المسرحية".

وقفت فلورا ويدها على مقبض الباب، وجاء باركر من الصالة إلى باب الردهة وهو يحمل الصحفة.

وقف عند الباب من الداخل وتحدثت إليه فلورا.

"آه، باركر؟ السيد أكرويد لا يريد لأحد أن يقطع عليه خلوته مرة أخرى هذه الليلة".

ثم أضافت بصوت خفيف: "هل هذا ما قلته ليلتها؟".

قال باركر: "نعم، وفق ما أتذكره يا آنسة فلورا، لكنى أظن أنك قلت "هذا المساء "بدلاً من "هذه الليلة "، "ثم رفع صوته بطريقة تمثيلية وقال: "حسنًا يا آنسة، هل أقفل الأبواب كالعادة؟".

"نعم، أرجوك".

عاد باركر وخرج من الباب وتبعته فلورا وبدأت تصعد السلم الرئيسى.

ثم قالت وهى تنظر إلى الوراء: "هل يكفى هذا؟".

قال بوارو وهو يفرك يديه: "رائع. بالمناسبة يا باركر، هل أنت واثق من وجود كأسين اثنتين على الصحفة تلك الليلة؟ لمن كانت الكأس الثانية؟".

قال باركر: "إننى أحضر كأسين فى العادة. هل من شيء آخر؟".

"لا شيء. شكرًا لك".

انسحب باركر بكل احترام.

وقف بوارو وسط الصالة عابسًا، ثم هبطت فلورا وانضمت إلينا.

تساءلت فلورا: "هل نجحت تجربتك؟ إننى لا أفهم تمامًا ماذا...".

ابتسم لها بوارو فى إعجاب.

وقال: "ليس ضرورياً أن تفهمى، ولكن أخبرينى أكان على صحفة باركر ـ فى تلك الليلة ـ كأسان حقاً؟".

فكرت فلورا قليلاً.

ثم قالت: "لا أستطيع التذكر حقاً... ولكنى أظن ذلك. هل... هل هذا هو الهدف من تجربتك؟".

أمسك بوارو يدها وربت عليها.

وقال: "سأقول لك ما يلى: إننى مهتم دائماً بالتأكد من ذكر الناس للحقائق".

"وهل قال باركر الحقيقة؟".

رد بوارو بعناية: "أظن ذلك".

بعد دقائق معدودة كنا فى طريقنا عائدين إلى القرية.

سألته بفضول: "ماذا كان هدفك من السؤال عن الكأسين؟".

هزّ بوارو كتفيه حيرة.

وقال: "لابد أن يقول المرء شيئاً. كان مجرد سؤال يؤدى الغرض كغيره من الأسئلة".

حدقت النظر إليه.

فقال بشكل أكثر جدية: "على أية حال يا صديقى، فقد عرفت الآن شيئاً كنت أريد معرفته. لنترك الأمر عند هذه النقطة".

الفصل السادس عشر

سهرة لعبة الماجونج

استمتعنا فى تلك الليلة بحفلة ماجونج صغيرة. كانت هذه اللعبة ترفيهًا بسيطًا شائعًا جدًا فى قرية كينج أبوت، وكان الضيوف يرتدون أحذية المطر الثقيلة ويصلون بعد العشاء، وكانوا يشاركوننا القهوة، وفى وقت لاحق بعض الكعك والشطائر والشاى.

فى تلك الليلة بالتحديد كان ضيوفنا هم الآنسة جانيت والكولونيل كارتر، الذين يعيشون بالقرب من مدرسة القرية، وفى العادة يدور فى هذه الأوقات الكثير من القيل والقال، وأحيانًا يتداخل الكلام مع اللعبة الجارية. اعتدنا لعب البريدج، وكانت الثرثرة تتدخل لتجعل اللعبة أسوأ ما تكون، ثم وجدنا لعبة الماجونج الصينية أكثر هدوءًا وبذلك تخلصنا من ثورة اللاعب عندما لا يلعب شريكه ورقة معينة، ورغم أننا ما زلنا نوجه لبعضنا انتقادات صريحة إلا أن ذلك لا يتم بنفس الطريقة اللاذعة للبريدج.

قال الكولونيل كارتر وهو يقف وظهره إلى النار: "ليلة باردة جدًا، أليس كذلك يا شيبارد؟ "، كانت كارولين قد أخذت الآنسة جانيت إلى غرفتها، وكانت هناك تساعدها على تخليص نفسها من الملابس الكثيرة التى كانت تلبسها. أكمل الكولونيل يقول: "إن تلك الليلة تذكرنى بممرات أفغانستان".

قلت بأدب: "حقًا؟".

أكمل الكولونيل كلامه وهو يأخذ فنجانًا من القهوة: "إن قضية المسكين أكرويد هذه غامضة جدًا. أظن أن فيها تعقيدات كثيرة. لا أخفيك سرًا يا شيبارد، لقد سمعت ذكرًا لمسألة ابتزاز".

نظر إلىّ الكولونيل نظرة يمكن تلخيصها بأنها (نظرة خبير لخبير).

ثم قال: "لا شك أن فى الأمر امرأة. ثق أن فى الأمر امرأة".

دخلت كارولين والآنسة جانيت فى تلك اللحظة. شربت الآنسة جانيت قهوتها بينما أخرجت كارولين علبة الماجونج وألقت بأحجارها على الطاولة.

قال الكولونيل مازحًا: "اعتدنا أن نسميها فى نادى شانغهاى بعملية غسيل الأحجار".

كان رأيى الخاص ورأى كارولين أيضًا أن الكولونيل كارتر لم يدخل نادى

شانغهاى أبداً طوال حياته، كما أنه لم يذهب شرقًا أبعد من الهند؛ حيث كان يقضى وقته باللعب بعلب اللحم المجمد ومربى التفاح أثناء الحرب العظمى، لكنّ الكولونيل رجل يقدم نفسه على أنه عسكرى محترف، ونحن ـ فى كينج أبوت ـ نسمح للناس بأن يعبروا عما فى نفوسهم ويمارسوا ما يرغبون فيه بحرية.

قالت كارولين: "هل نبدأ؟".

جلسنا حول الطاولة، وساد الصمت المكان لمدة خمس دقائق بسبب وجود منافسة سرية كبيرة بيننا حول من هو الأسرع فى بناء حائطه، وأخيراً قالت كارولين: "هيا يا جيمس، أنت ريح الشرق".

رميت حجراً وبدأت اللعبة. شرعنا فى الجولة الأولى ثم الثانية وكانت تتخللها بعض العبارات الرتيبة الخاصة باللعبة مثل "دائرتان "أو "عصا "وكانت الآنسة جانيت تسارع ـ كعادتها ـ إلى الادعاء بأن هذه الأحجار لها دون وجه حق.

قالت الآنسة جانيت: "رأيت فلورا أكرويد هذا الصباح. عصا... لا، لقد أخطأت".

قالت كارولين: "أربع دوائر... أين رأيتها؟".

قالت الآنسة جانيت بنبرة من الأهمية التى لا تكاد تجدها إلا فى القرى الصغيرة: "هى لم ترنى".

قالت كارولين باهتمام: "آه! "ثم صاحت: "تشاو".

قالت الآنسة جانيت وقد نسيت موضوعها مؤقتًا: "أظن أن الأصح أن تقولى: "(تشى) وليس (تشاو)".

قالت كارولين: "هراء! إننى أقول دائمًا (تشاو)".

قال الكولونيل كارتر: "فى نادى شانغهاى يقولون (تشاو)".

تراجعت الآنسة جانيت مهزومة.

وسألتها كارولين بعد تركيز على اللعبة لبضع لحظات: "ماذا كنت تقولين عن فلورا أكرويد؟ هل كانت برفقة أحد؟".

قالت الآنسة جانيت: "بالتأكيد".

نظرت السيدتان إلى بعضهما البعض وبدتا وكأنهما تتبادلان المعلومات بعيونهما.

قالت كارولين باهتمام: "هكذا إذن؟ حسنًا إن ذلك لا يدهشنى أبداً".

قال الكولونيل: "نحن فى انتظارك لترمى حجرك يا آنسة كارولين". كثيراً ما يتقمص الكولونيل مظهر الرجل العملى الذى ينكب على اللعب ولا يبالى بما يدور حوله من أقاويل، ولكن أحداً لم يكن ينخدع لذلك.

قالت الآنسة جانيت: "إذا أردت رأيى... (هل الحجر الذى ألقيته عصا؟ آه! لا، فهمت الآن، إنه دائرة)، كما كنت أقول، إذا أردت رأيى، أظن أن فلورا كانت محظوظة إلى أبعد حد، محظوظة فعلاً".

سألها الكولونيل: "وكيف ذاك يا آنسة جانيت؟ سوف ألقى بهذا الحجر، كيف عرفت أن الآنسة فلورا كانت محظوظة؟".

قالت الآنسة جانيت بأسلوب شخص عليم ببواطن الأمور: "ربما لا أعرف الكثير عن الجرائم، ولكنى أستطيع إخباركم بشىء واحد. إن أول سؤال يُطرح دائماً هو: "من الذى رأى الفقيد على قيد الحياة آخر مرة؟ "، وعادة ما يكون هذا الشخص موضع الشبهات. إن فلورا أكروبد كانت آخر من رأى السيد أكروبد على قيد الحياة وربما كان موقفها سيئًا، سيئًا جداً. رأيى ـ وهو رأى عرضة للصواب أو الخطأ ـ هو أن رالف باتون قد اختفى عن الأنظار لمصلحتها هى؛ حتى يبعد الشبهات عنها".

عارضتهما بهدوء قائلاً: "بربك يا آنسة... لا أظنك تعتقدين أن فتاة شابة مثل فلورا يمكنها طعن عمها بهذه الوحشية!".

قالت الآنسة جانيت: "حسنًا، لا أعرف. لقد كنت أقرأ كتاباً أخذته من المكتبة عن العالم السفلى فى باريس، ويقول الكتاب إن بعضاً من أسوأ المجرمات كن فتيات صغيرات لهن وجوه كالملائكة".

قالت كارولين على الفور: "هذا فى فرنسا".

قال الكولونيل: "نعم. سأقول لكم شيئًا غريباً ــ قصة كانت تدور فى أسواق الهند...".

كانت قصة الكولونيل طويلة ومضجرة، وتفتقر إلى الإثارة إلى حد غريب! إن شيئًا حدث فى الهند قبل عدة سنوات لا يمكن مقارنته مع حادث وقع فى قرية كينج أبوت قبل يومين.

كـــانت كـارولين هـى التـى حملـت الكولونيـل علـى إنـهاء قصـته إذ أنـهت اللعبـة لصـالحها مشـكورة، وبعـد قليـل مـن الاسـتياء الـذى يصـيب كارولين دائماً عندما أصحح لها بعض أخطائها الحسابية، بدأنا اللعب من جديد.

قالت كارولين: "ألقِ حجرك. لدى رأى خاص بخصوص رالف باتون، لكنى سأحتفظ به لنفسى فى الوقت الحالى".

قالت الآنسة جانيت: "أحقاً يا عزيزتى؟ دائرة... أقصد عصا".

قالت كارولين فى يقين: "نعم".

قالت الآنسة جانيت: "هل كان موضوع الحذاء صحيحاً؟ أقصد كونه أسود؟".

قالت كارولين: "صحيح تمامًا".

سألتها جانيت: "ما الغرض من معرفة لونه برأيك؟".

زمت كارولين شفتيها وهزت رأسها بأسلوب من يعرف كل شيء عن الأمر.

فقالت الآنسة جانيت: "عصا... كلا، دائرة. أظن أن الدكتور ـــ بوجوده مع السيد بوارو ـــ يعرف كل الأسرار؟".

قلت: "ما أبعد ذلك عن الحقيقة".

قالت كارولين: "جيمس رجل متواضع جدًا. آه! عصا مخفية".

أطلق الكولونيل صفيرًا ونسى اللاعبون النميمة للحظات.

قال الكولونيل: "أنتما فى خطر، ولدى الآنسة عصا ودائرة. يجب أن نحذر؛ الآنسة كارولين ستخرج منتصرة".

لعبنا بضع دقائق دون تشعب فى الحديث.

ثم قال الكولونيل كارتر: "السيد بوارو هذا، هل هو حقًا رجل تحريات عظيم؟".

قالت كارولين بهدوء: "أعظم رجل تحريات عرفه العالم، حتى إنه اضطر للمجيء إلى هنا متخفيًا لتفادى الشهرة".

قالت الآنسة جانيت: "تشاو...هذا رائع بالنسبة لقريتنا الصغيرة. بالمناسبة، إن خادمتى كلارا صديقة حميمة للخادمة إيلسى فى فيرنلى، وماذا تظنون إيلسى قالت لها؟ قالت إن مبلغًا كبيرًا قد سُرق من البيت، وأنها تعتقد ـــ أقصد إيلسى ـ أن لخادمة الاستقبال علاقة بالأمر؛ فهى راحلة فى نهاية الشهر، وهى تبكى كثيرًا فى الليل. أظن أن هذه الفتاة ربما كانت على صلة بإحدى العصابات. لقد كانت فتاة غريبة الأطوار ولا تصادق أى واحدة من فتيات القرية، وهى تخرج وحدها أيام عطلتها... شيء غريب جدًا ويثير الريبة. لقد طلبت منها ـ ذات مرة ـ أن تحضر إحدى أمسيات (جمعية الفتيات) ولكنها رفضت، ثم سألتها بعض الأسئلة عن بيتها وعن أسرتها، ولابد لى من القول إن سلوكها معى كان غير لائق على الإطلاق. لقد أبدت ـ ظاهريًا ـ كل احترام لى، ولكنها أسكتتنى بأسلوب صريح وسافر".

سكتت الآنسة جانيت لتلتقط أنفاسها، فاستغل ذلك الكولونيل ـ الذى لم يكن مهتمًا أبدًا بموضوع الخدم ـ ليقول إن اللعب السريع فى نادى شانغهاى كان يعتبر قانونا ثابتًا.

لعبنا جولة من اللعب السريع.

ثم قالت كارولين: "بخصوص الآنسة راسل...لقد جاءتنا صباح يوم الجمعة الماضى متظاهرة بأنها تريد استشارة جيمس. أظن أنها كانت تريد معرفة المكان الذى يحتفظ

به جيمس بالسموم".

قالت الآنسة جانيت: "تشاو... يا لها من فكرة غريبة! ترى هل يمكن أن تكونى على حق؟".

قال الكولونيل: "بمناسبة الحديث عن السموم... آه، ماذا؟ ألم أَرمِ حجرًا؟ حسنًا، ثمانى عصى".

قالت الآنسة جانيت: "ماجونج! انتهت اللعبة".

انزعجت كارولين كثيرًا.

وقالت بأسف: "لو كان عندى حجر أحمر واحد لفزت بثلاثة أضعاف".

قلت: "كان معى حجران أحمران منذ البداية".

قالت كارولين بأسى: "هكذا أنت دائمًا يا جيمس... أنت لا تعرف شيئًا عن روح اللعبة".

كنت أظن أننى لعبت بذكاء. كنت سأضطر إلى دفع مبلغ كبير لكارولين لو أنها هى التى أنهت اللعبة لصالحها، كما أن فوز الآنسة جانيت لم يكن كبيرًا، وقد حرصت كارولين على أن توضح لها ذلك.

بدأنا جولة أخرى من اللعب فى صمت.

قالت كارولين: "ما كنت أريد قوله لكم قبل قليل هو ما يلى...".

فقالت الآنسة جانيت مشجعة: "نعم".

"أقصد فكرتى بخصوص رالف باتون".

أخذت الآنسة جانيت تشجعها أكثر قائلة: "نعم يا عزيزتى؟ تشاو".

قالت كارولين بحدة: "إنها علامة على الضعف أن تقولى تشاو مبكرًا. يجب أن تنتظرى لعبة أكثر ربحًا".

قالت الآنسة جانيت: "أعلم ذلك. كنت تتحدثين عن رالف باتون، أتذكرين؟".

"نعم، لدى فكرة أكيدة عن مكان وجوده".

توقفنا جميعًا نحدق إليها.

ثم قال الكولونيل كارتر: "هذا أمر مثير جدًا يا آنسة كارولين. أهى فكرتك أنت؟".

"حسنًا، ليس تمامًا، ولكن سوف أخبركم عنها. هل تعرفون تلك الخريطة الكبيرة

للمقاطعة التى نعلقها فى الصالة؟".

أجبنا جميعًا بالإيجاب.

فقالت: "عندما كان السيد بوارو خارجًا من الصالة أمس توقف ونظر إليها وقال ملاحظة. لا أتذكر ما قاله بالضبط...شيئًا عن كون كرانشستر المدينة الوحيدة الكبيرة القريبة منا. وهو كلام صحيح بالطبع، ولكن بعد أن ذهب، خطرت لى الفكرة فجأة".

"ما الذى خطر ببالك؟".

"ما كان يقصده؛ إن رالف موجود فى كرانشستر بالطبع".

فى تلك اللحظة أسقطت الرف الذى يحمل أحجارى فوق الطاولة، وسرعان ما نظرت إلىّ كارولين بشىء من التأنيب، لكنها كانت مصرة على نظريتها.

قال الكولونيل كارتر: "كرانشستر يا آنسة كارولين؟ ليس فى كرانشستر بالتأكيد؛ إنها قريبة جداً".

صاحت كارولين فرحة: "وهنا بالضبط يكمن الذكاء. يبدو واضحًا الآن أنه لم يهرب من هنا عن طريق القطار. لابد أنه ذهب إلى كرانشستر سيراً على الأقدام، وأظن أنه ما زال هناك. لن يتخيل أحد أنه موجود فى هذا المكان القريب".

أثرتُ عدة اعتراضات على هذه النظرية، ولكن عندما تصمم كارولين على شىء فى رأسها فلا يوجد شىء يقنعها بعكس ذلك.

قالت الآنسة جانيت متأملة: "أتظنين أن السيد بوارو يرى نفس هذه الفكرة؟ إنها مصادفة غريبة. كنت خارجة سيراً على الأقدام بعد ظهر اليوم على طريق كرانشستر وقد مرّ بوارو من جانبى فى سيارة قادمة من ذلك الاتجاه".

نظرنا جميعًا إلى بعضنا البعض.

وفجأة قالت الآنسة جانيت: "يا إلهى! عندى حجر الفوز من البداية ولم ألحظه".

أيقظت هذه العبارة كارولين التى كانت تسبح فى بحر أفكارها. أشارت إلى الآنسة جانيت أن الفوز بعدة دوائر وعصا واحدة لا يستحق كل هذه الضجة. أنصتت إليها الآنسة جانيت فى لامبالاة وبدأت تعد الأحجار التى كسبتها.

قالت الآنسة جانيت: "نعم يا عزيزتى. أعرف ما تقصدينه، ولكن الأمر يتوقف فى النهاية على نوع الأحجار التى بدأت بها اللعبة، أليس كذلك؟".

قالت كارولين فى عناد: "إنك لن تربحى فوزًا كبيراً إذا لم تسعى إليه".

قالت الآنسة جانيت وهى تنظر إلى الأرقام التى أحرزتها: "حسنًا، يجب أن يلعب كل منا بطريقته الخاصة، أليس كذلك؟ وعلى كل حال، ما زلت أنا المتفوقة".

كانت أرقام كارولين المتدنية كفيلة بأن تجعلها لا ترد بشىء.

بدأنا نلعب من جديد، وأحضرت آنى الشاى. وكانت كارولين والآنسة جانيت تتشاكسان كعادتهما فى تلك السهرات الاحتفالية.

ترددت الآنسة جانيت فى رمى حجرها فقالت كارولين: "أرجو أن تلعبى بسرعة أكبر يا عزيزتى، إن الصينيين يضعون الأحجار بسرعة أكبر من خفقان أجنحة العصافير".

لعبنا مثل الصينيين لبعض الوقت.

ثم قال الكولونيل كارتر بهدوء: "أنت لم تسهم كثيراً فى تزويدنا بالمعلومات يا شيبارد. أنت كتوم للغاية. إنك ترافق رجل التحريات العظيم مثل ظله ومع ذلك لم تصدر منك أية إشارة إلى الطريقة التى تسير بها الأمور".

قالت كارولين: "جيمس إنسان غريب، لا يستطيع حمل نفسه على البوح بشىء من المعلومات".

ثم نظرت إلىّ بشىء من التأنيب.

قلت: "أؤكد لك أننى لا أعرف أى شىء، إن بوارو يحتفظ بأسراره لنفسه".

قال الكولونيل ضاحكًا: "إنه رجل حكيم، لا يبوح بمكنون نفسه. إن أولئك المحققين الأجانب أشخاص رائعون، ولا يستعصى عليهم شىء".

قالت الآنسة جانيت بنشوة الانتصار: "ماجونج... لقد فزت".

أصبح الجو متوتراً أكثر. كان فوز الآنسة جانيت باللعب للمرة الثالثة على التوالى هو الذى دفع كارولين لأن تقول لى عندما قمنا ببناء حائط جديد:

"إنك تبعث على الضجر يا جيمس... إنك تجلس هنا كقطعة من الأثاث ولا تقول شيئًا على الإطلاق!".

قلت معترضًا: "ولكن يا عزيزتى، ليس عندى ما أقوله فعلاً... أعنى عما تريدين معرفته".

قالت كارولين وهى تلوح بيدها: "هراء! لابد أنك تعرف شيئًا مثيراً".

لم أجبها لبعض الوقت لأننى كنت مرتبكًا ومغموراً بالفرحة. كنت قد قرأت عن وجود شىء يُطلق عليه الفوز التام؛ وهو الفوز باللعبة نتيجة تجمع أحجار معينة من الدور الأول، ولكن لم أحلم أبداً بالفوز بهذه الطريقة.

والآن وضعت يدى على الطاولة باتجاه الأعلى وأنا أكظم فرحة النصر.

وقلت: "كما يقولون فى نادى شانغهاى... الفوز التام!".

كادت عينا الكولونيل تخرجان من رأسه.

وقال: "يا إلهى! يا له من أمر غريب! لم أرَ هذا يحدث من قبل".

وفى تلك اللحظة استكملت الحديث ـ مدفوعًا بإلحاح كارولين وبنشوة النصر التى أنستنى تحفظى.

قلت: "فيما يتعلق بالمعلومات المثيرة، ما رأيكم بخاتم زفاف ذهبى مكتوب بداخله التاريخ وكلمة (من ر)؟".

لن أذكر المشهد الذى تبع ذلك، ولكنى أُجبرت على ذكر المكان الذى تم فيه العثور على هذا الكنز، ثم أُجبرت على كشف التاريخ المكتوب فى الخاتم.

قالت كارولين: "13 مارس... قبل ستة أشهر فقط؟ آه!".

ولقد أسفرت الضجة التى حدثت بعدها والاقتراحات والافتراضات عن ثلاث نظريات هى:

نظرية الكولونيل كارتر: وتقول إن رالف كان متزوجًا بفلورا سرًا، وهو أول الحلول وأكثرها بساطة.

نظرية الآنسة جانيت: وهى أن روجر أكرويد كان متزوجًا بالسيدة فيرارز سرًا.

نظرية أختى: وهى أن روجر أكرويد كان متزوجًا بمديرة منزله، الآنسة راسل.

وعندما ذهبنا إلى النوم قدمت كارولين نظرية رابعة خارقة.

قالت فجأة: "تذكّر كلماتى هذه: لن أدهش أبدًا إذا ما تبين أن جيفرى ريموند وفلورا كانا متزوجين".

قلت: "إذن فى هذه الحالة سيكون مكتوبًا على الخاتم (من ج) وليس (من ر)".

"أنت لا تعرف أبدًا. بعض الفتيات ينادين الرجال بأسماء عائلاتهم، وقد سمعت ما قالته الآنسة جانيت هذا المساء... حول علاقات فلورا

العاطفية".

بصراحة، أنا لم أسمع الآنسة جانيت تقول شيئًا كهذا، لكنى كنت أقدر جيدًا خبرة كارولين بلغة التلميحات.

قلت: "ماذا عن هكتور بلانت؟ لو كان فى الأمر رجل...".

قاطعتنى كارولين قائلة: "هراء! أظن أنه معجب بها ـ بل ربما كان محبًا لها ـ ولكن ثِق بأنه ما من فتاة يمكن أن تقع فى حب رجل فى عمر والدها بينما فى بيتها سكرتيرٍ وسيم. ربما شجعت الميجور بلانت على سبيل التمويه لا غير؛ فالفتيات ماكرات جداً! ولكنى سأقول لك شيئًا واحداً يا جيمس شيبارد: إن فلورا أكرويد لا تهتم برالف باتون على الإطلاق، ولم تهتم به أبداً. خذها منى أنا".

وأنصتُ إلى كلماتها رغم أنفى.

الفصل السابع عشر

باركر

فى صباح اليوم التالى بدا لى أننى ربما أكون قد خرجت على كتمانى قليلاً تحت تأثير نشوة الفوز الكبير، ورغم أن بوارو لم يطلب منى الاحتفاظ بسر اكتشاف الخاتم، لكنه على الجانب الآخر لم يقل شيئًا عنه عندما كنا فى فيرنلى، وقد كنت حسب علمى الشخص الوحيد الذى يعرف بأمر اكتشاف الخاتم. أحسست بالذنب؛ فهذا الخبر سينتشر الآن فى قريتنا انتشار النار فى الهشيم، ولقد توقعت تلقى سيل من التوبيخ من بوارو فى أية لحظة.

تحددت الساعة الحادية عشرة موعدًا للجنازة المشتركة للسيدة فيرارز وروجر أكرويد. كان حفلاً جنائزيًا حزينًا ومؤثرًا، وكان جميع أهل البيت والعاملين فى فيرنلى موجودين هناك.

وبعد انتهاء الجنازة أخذنى بوارو من ذراعى ودعانى لمرافقته إلى بيته. بدا بالغ الجدية وخشيت أن يكون قد علم بالسر الذى بُحت به فى الليلة الماضية، ولكن سرعان ما اتضح أنه كان مشغولاً بالتفكير فى أمر مختلف تمامًا.

قال: "يجب أن نتحرك بسرعة. أريد اختبار أحد الشهود بمساعدتك، وسوف نستجوبه ونُدخِل فى روعه من الخوف ما يجبره على البوح بالحقيقة".

قلت وقد فاجأنى بقوله كثيرًا: "أى شاهد هذا الذى تتكلم عنه؟".

قال بوارو: "باركر! لقد طلبت منه أن يكون فى بيتى الساعة الثانية عشرة صباح اليوم. لابد أنه ينتظرنا هناك فى هذه اللحظة".

قلت وأنا أنظر إلى وجهه بطرف عينى: "وماذا تعتقد؟".

"كل ما أعرفه هو أننى غير مقتنع".

"أتعتقد أنه هو الذى كان يبتز السيدة فيرارز؟".

"إما هو أو...".

قلت بعد أن انتظرته بعض الوقت: "أو ماذا؟".

"يا صديقى، سأقول لك ما يلى: إننى آمل أن يكون هو".

عدت إلى الصمت مدفوعًا بجديته وتجهم أسلوبه، وبشىء غامض فى طريقته.

وعندما وصلنا إلى بيت بوارو علمنا أن باركر موجود فى انتظارنا، ولدى دخولنا الغرفة نهض الخادم باحترام.

قال بوارو مسرورًا: "مرحبًا يا باركر، أرجو أن تنتظرنى لحظة واحدة".

خلع معطفه وقفازاته.

فقال باركر وهو يسرع لمساعدته: "اسمح لى يا سيدى". وضع باركر المعطف والقفازات على كرسى قرب الباب، وراقبه بوارو مستحسنًا صنيعه.

ثم قال: "شكرًا لك يا باركر، هلا جلست من فضلك! إن ما أريد قوله قد يستغرق بعض الوقت".

جلس باركر على الكرسى وهو يحنى رأسه احترامًا.

قال بوارو: "والآن، ما السبب الذى ترى أننى طلبتك من أجله هذا الصباح؟".

تنحنح باركر.

"فهمت، يا سيدى، أنك أردت سؤالى بعض الأسئلة عن سيدى الفقيد... أسئلة خاصة".

قال بوارو مبتسمًا: "تمامًا. هل لك خبرات سابقة بشأن الابتزاز؟".

"ماذا!".

وقف الخادم فجأة!

فقال بوارو بهدوء: "لا تنفعل هكذا، ولا تمثل أمامنا دور الرجل النزيه الذى جرحه الاتهام. أنت تعرف كل شىء عن الابتزاز، أليس كذلك؟".

"يا سيدى، أنا... أنا لم... لم...".

قال بوارو مكملاً عنه: "لم تتعرض لمثل هذه الإهانة من قبل. إذن لماذا، أيها الذكى باركر، كنت مهتمًا بالتنصت على الحديث الذى كان يدور فى مكتب السيد أكرويد فى ذلك المساء عندما التقطت أذناك كلمة ابتزاز؟".

"لم أكن... لم...".

قال بوارو فجأة: "من كان سيدك السابق؟".

"سيدى السابق؟".

"نعم، من الشخص الذى كنت تعمل عنده قبل أن تأتى للعمل عند السيد أكرويد؟".

"عند الميجور أليربى يا سيدى".

التقط بوارو منه الاسم وقال: "بالضبط، عند الميجور أليربى. لقد كان الميجور أليربى مدمناً للمخدرات، أليس كذلك؟ كنت تسافر معه، وعندما كان فى برمودا وقعت مشكلة صغيرة قتل فيها رجل، وكان الميجور مسئولاً عن الحادث بشكل جزئى، ولقد تم التكتم على الموضوع، ولكنك كنت تعرف بالأمر، كم دفع لك الميجور أليربى مقابل سكوتك؟".

حدق باركر فيه مشدوهاً، ثم انهار وبدأ خداه يرتجفان.

أما بوارو فقال فى رقة: "أرأيت؟ لقد قمت ببعض التحريات. إن الأمر كما قلت؛ حصلت على مبلغ كبير وقتها كنوع من الابتزاز، واستمر الميجور أليربى يدفع لك إلى أن مات، والآن أريد أن أسمع عن تجربتك الأخيرة".

استمر باركر بالتحديق إليه.

فقال بوارو: "الإنكار لا ينفع، إن هيركيول بوارو يعرف. أليس ما قلته عن الميجور أليربى صحيحاً؟".

أومأ باركر برأسه، كأنه يقوم بذلك دون إرادة منه. وغدا وجهه شاحباً كالموتى.

قال باكياً: "لكنى لم أمس شعرة واحدة من رأس السيد أكرويد. أقسم لك يا سيدى أننى لم أفعل. كنت خائفاً من حدوث هذا منذ البداية، وصدقنى أننى لم... لم أقتله".

ارتفع صوته حتى كاد يصبح صراخاً.

قال بوارو: "إننى أميل إلى تصديقك يا صديقى؛ فليست عندك الشجاعة لذلك! ولكن يجب أن أعرف الحقيقة".

"سأخبرك بأى شىء يا سيدى... أى شىء تريد معرفته. صحيح أننى حاولت التنصت تلك الليلة. لقد سمعت بعض الكلمات التى أثارت فضـــولى، إضـافة إلـى طلـب السـيد أكروي ـد عـدم إزعاجـه وإغـلاق البـاب علـى نفسـه ومعـه الطبـيب بتلـك الطريقـة. يشـهد اللـه أن مـا قلتـه للشرطة كان صحيحاً، لقد سمعت كلمة ابتزاز يا سيدى، ثم...".

سكت باركر للحظة.

فقال بوارو بهدوء: "وحسبت أنه ربما كان فى الأمر شىء تستفيد منه، أليس كذلك؟".

"حسناً. نعم، اعتقدت ذلك يا سيدى. فكرت إن كان السيد أكرويد يخضع للابتزاز فلماذا لا أحصل على حصة من الغنيمة؟".

ظهرت ملامح غريبة جداً على وجه بوارو، ومال بجسمه إلى الأمام.

"هل لديك أى سبب يدعوك إلى الافتراض ـ قبل تلك الليلة ـ بأن السيد أكرويد كان يخضع للابتزاز؟".

"لا يا سيدى؛ لقد فوجئت كثيراً. كان يبدو رجلاً طبيعيًا فى جميع تصرفاته".

"كم سمعت من الحديث؟".

"ليس كثيراً يا سيدى. لقد بدا أن حظى كان سيئًا وقتها. كان علىّ أن أقوم بواجباتى فى المطبخ، وعندما اقتربت من المكتب مرة أو مرتين كان ذلك دون فائدة. فى المرة الأولى خرج الدكتور شيبارد وكاد يمسك بى متلبسًا، وفى المرة الثانية مرّ السيد ريموند من جانبى فى الصالة الكبيرة وذهب فى ذلك الاتجاه، لذلك علمت أن الأمر لن يفيد، وعندما ذهبت ومعى الصحفة أوقفتنى الآنسة فلورا".

حدق بوارو إلى الرجل طويلاً وكأنه يختبر صدقه. أجابه باركر بنظرة جدية.

وقال: "أرجو أن تصدّقنى يا سيدى. لقد كنت خائفًا، من البداية، أن يكشف رجال الشرطة تلك الحادثة القديمة مع الميجور أليربى فيشتبهوا بى".

أخيراً قال بوارو: "حسنًا، إننى أميل إلى تصديقك، ولكن لابد أن أطلب منك شيئًا واحداً؛ أن ترينى دفتر حسابك البنكى. أظن أن لديك دفتر حساب بنكيًا؟".

"نعم يا سيدى، بل إنه معى الآن فى الحقيقة".

أخرجه من جيبه دون أن تبدو عليه أية علامة ارتباك، وأخذ بوارو الدفتر الأخضر الرفيع وأخذ يتفقد المدخلات.

"آه! أرى أنك قد اشتريت شهادة ادخار قيمتها خمسمائة جنيه هذا العام؟".

"نعم يا سيدى، لقد وفرت ألف جنيه من قبل؛ نتيجة علاقتى مع سيدى... سيدى الراحل الميجور أليربى، كما نالنى بعض الحظ من رهانات الخيل هذا العام".

أعاد بوارو الدفتر إليه.

وقال: "أتمنى لك صباحًا طيبًا. أظن أنك أخبرتنى بالحقيقة، أما إذا كنت لا تقول الحقيقة، فإنه أمر سيئ لك يا صديقى".

بعد أن غادر باركر أخذ بوارو معطفه مرة أخرى.

فسألته: "هل ستخرج ثانية؟".

"نعم، سنقوم بزيارة قصيرة للسيد هاموند".

"هل تصدق قصة باركر؟".

"يمكن تصديقها من حيث الظاهر. يبدو واضحًا أنه يظن أن أكرويد نفسه كان ضحية الابتزاز، وهذا يعنى أنه ما لم يكن ممثلاً بارعًا، فإنه لا يعرف شيئًا عن أمر السيدة فيرارز".

"إذن، فى هذه الحالة، من الذى...؟".

"بالضبط! مَن الذى؟ إن زيارتنا للسيد هاموند ستنجز هدفًا واحدًا. إما أن تبرئ باركر تمامًا أو...".

"أو ماذا؟".

قال بوارو معتذرًا: "يبدو أننى وقعت هذا الصباح فى عادة سيئة هى عدم إكمال عباراتى. يجب أن تتحملنى".

قلت بخجل: "بالمناسبة، أريد أن أعترف لك بشىء. أخشى أن أكون كشفت شيئًا بخصوص ذلك الخاتم دون قصد".

"أى خاتم؟".

"الخاتم الذى وجدته فى بركة الأسماك الذهبية".

قال بوارو وهو يبتسم ملء شفتيه: "آه، نعم".

"أرجو ألاّ تكون قد تضايقت. لقد كان ذلك إهمالاً من جانبى".

"أبدًا يا صديقى، أبدًا. أنا لم آمرك بكتمانه، وأنت كنت حرًا فى أن تتحدث عنه إن شئت. هل أثار الأمر اهتمام أختك؟".

"نعم، وقد أحدث حالة من الإثارة وخرجت كل أشكال النظريات".

"آه! ومع ذلك فالحل بسيط للغاية. إن التفسير الحقيقى واضح كشمس الصباح، أليس كذلك؟".

قلت بجفاء: "حقًا؟".

ضحك بوارو.

وقال: "الرجل الحكيم لا يربط نفسه بأى التزام، أليس هذا صحيحًا؟ ها قد وصلنا إلى مكتب السيد هاموند".

كان المحامى فى مكتبه، ودخلنا عليه على الفور. نهض عن مقعده وحيانا بطريقته الجافة الدقيقة.

وطرق بوارو الموضوع مباشرة.

"يا سيدى، أريد منك معلومات معينة إن تكرمت بها علىّ. علمت أنك كنت محاميًا

للسيدة فيرارز الراحلة".

لاحظت بريقًا سريعًا من الدهشة فى عينى المحامى قبل أن يعود مرة أخرى إلى ملامحه المهنية الرصينة التى كانت أشبه بقناع وضعه على وجهه.

قال: "بالتأكيد؛ لقد تولينا جميع شئونها".

"جيد. أريد، قبل كل شىء، أن تصغى إلى هذه القصة التى سيحكيها لك الدكتور شيبارد. هل لديك أى مانع، يا صديقى، فى إعادة الحديث الذى دار بينك وبين السيد أكرويد مساء الخميس الماضى على مسامع السيد هاموند؟".

قلت: "أبدًا". وبدأت، على الفور، أعيد سرد ما دار فى تلك الليلة الغريبة.

وقد أصغى هاموند باهتمام شديد.

وبعد أن انتهيت قلت: "هذا كل شىء".

فقال المحامى متأملاً: "ابتزاز!".

سأله بوارو: "هل تفاجأت بالأمر؟".

خلع المحامى نظارته ومسحها بمنديله.

رد قائلاً: "لا؛ لا يمكننى القول إننى فوجئت، لقد اشتبهت بشىء من هذا القبيل منذ فترة".

قال بوارو: "هذا يقودنا إلى المعلومات التى أطلبها منك. إن كان أحد يستطيع أن يعطينا فكرة عن المبالغ المدفوعة فهو أنت يا سيدى".

قال هاموند بعد لحظة من التفكير: "لا أرى مبررًا لحجب هذه المعلومات. خلال السنة الماضية باعت السيدة فيرارز بعض السندات، وقد دخلت قيمة هذه السندات فى حسابها ولم يتم استثمارها مرة أخرى؛ ولأن دخلها كان كبيرًا، ولأنها عاشت وحيدة بعد وفاة زوجها، يبدو من المؤكد أن هذه المبالغ قد دفعت لغرض خاص. لقد استفسرت عن هذا الأمر ذات مرة فقالت إنها مضطرة لمساعدة كثير من أقارب زوجها الفقراء، ولقد تغاضيت عن هذا الموضوع بالطبع، وحتى هذه اللحظة كنت أتخيل أن النقود دفعت لامرأة لها دين على آشلى فيرارز. لم أتخيل أبدًا أن تكون السيدة فيرارز نفسها متورطة".

سأله بوارو: "وما إجمالى المبالغ؟".

"أظن أن إجمالى المبالغ يصل إلى عشرين ألف جنيه على الأقل".

صحت ذاهلاً: "عشرين ألف جنيه؟ فى سنة واحدة!".

قال بوارو بجفاء: "لقد كانت السيدة فيرارز امرأة ثرية جدًا، كما أن عقوبة القتل

ليست هينة".

سأل السيد هاموند: "هل يوجد أى شىء آخر يمكننى إخبارك به؟".

قال بوارو وهو ينهض: "لا، أشكرك كثيراً. أرجو المعذرة إن كنت قد سببت لك أى توهان".

"أبداً، أبداً".

وعندما خرجنا قلت معلقاً: "إن كلمة "توهان "لا تستخدم فى اللغة الإنجليزية إلا لوصف مرض عقلى.

صاح بوارو: "آه! إن لغتى الإنجليزية لن تصبح ممتازة أبداً. يا لها من لغة معقدة! هل كان من الأفضل أن أقول "تشويش """.

"أظن أن "إزعاج "هى الكلمة التى كنت تقصدها".

"شكراً لك يا صديقى. هذه هى الكلمة الصحيحة، إنك دقيق للغاية فى استخدام اللغة، والآن ماذا عن صديقنا باركر؟ لو حصل على عشرين ألف جنيه فهل كان من شأنه أن يبقى خادماً؟ لا أظن ذلك. من الممكن بالطبع أن يودع النقود باسم آخر، لكنى أميل إلى الاعتقاد بأنه أخبرنا بالحقيقة. لئن كان وغداً فإنه وغد ذو مستوى وضيع وليست لديه إمكانات عقلية كبرى. وهذا لا يترك أمامنا سوى احتمالين:

ريموند أو... أو الميجور بلانت".

عارضته قائلاً: "ليس ريموند بالتأكيد؛ لأننا نعرف أنه كان فى حاجة ماسة إلى خمسمائة جنيه فقط".

"هذا ما يقوله هو".

"وبالنسبة لهكتور بلانت...".

قاطعنى بوارو قائلاً: "سأخبرك بشىء عن الميجور بلانت الطيب. إن عملى هو القيام بالتحريات، وقد قمت بها، وبالنسبة للتركة التى تحدث عنها، فقد اكتشفت أن مبلغها يصل إلى عشرين ألف جنيه تقريباً. ما رأيك بهذا؟".

فاجأنى حديثه إلى حد لم أستطع معه أن أتكلم.

ولكنى قلت أخيراً: "هذا مستحيل... إن هكتور بلانت رجل معروف للغاية!".

هز بوارو كتفيه حيرةً.

وقال: "من يدرى؟ إنه ـ على الأقل ـ ذو إمكانات عقلية، ولكنى أعترف بأننى لا أكاد أستطيع تخيله مبتزاً، ويبقى احتمال آخر لم نفكر فيه".

"وما هو؟".

"النار يا صديقى. ربما كان أكرويد نفسه قد أحرق تلك الرسالة والمظروف الأزرق بعد أن خرجت من عنده".

قلت ببطء: "لا أكاد أرى ذلك احتمالاً قائمًا، ومع هذا... بالطبع، قد يكون الأمر كذلك؛ ربما غيّر رأيه".

كنا قد وصلنا إلى بيتى، ودون تفكير دعوته للدخول وتناول ما تيسر من الطعام.

اعتقدت أن كارولين ستسر منى، ولكن يصعب على المرء إرضاء نساء بيته؛ فقد تبين أن غداءنا مجرد شرائح من اللحم؛ حيث كان الخدم فى إجازة لقضاء بعض الوقت مع عائلاتهم، وقد بدا محرجًا وضع شريحتين من اللحم أمام ثلاثة أشخاص.

لكن الحرج نادرًا ما يطول بقاؤه مع كارولين، فبكذبة رائعة شرحت لبوارو أنها ملتزمة بالحمية ولا تأكل إلاّ الخضار ـ وكيف أننى دائمًا ما أهزأ بها لفعلها هذا، وأسهبت فى التعبير عن استمتاعها بفطائر الجبن الويلزى اللذيذة (والذى أعرف جيدًا أنها لم تتذوقه فى حياتها) بالإضافة إلى بعض الملاحظات حول أخطار أكل اللحوم.

وعندما جلسنا أمام النار بعد ذلك قامت كارولين بمواجهة بوارو مباشرة.

فقالت متسائلة: "ألم تعثر على رالف باتون بعد؟".

"وأين يمكننى أن أجده يا آنسة؟".

قالت كارولين بصوت حافل بالأهمية: "حسبت أنك ربما استطعت العثور عليه فى كرانشستر".

بدا بوارو متحيرًا.

"فى كرانشستر؟ ولماذا فى كرانشستر؟".

شرحت له الأمر بشىء من المكر قائلاً:

"لقد رآك واحد من فريق التحريات الكبير الذى يعمل لحسابنا فى السيارة على طريق كرانشستر أمس".

تلاشت ملامح الحيرة عن وجه بوارو وضحك من كل قلبه.

"آه، هكذا إذن! كانت تلك مجرد زيارة بسيطة لطبيب الأسنان. آلمنى ضرسى فذهبت إلى هناك، وعندما وصلت تحسن ضرسى ففكرت فى العودة بسرعة، لكن الطبيب قال: "لا؛ الأفضل أن تخلعه "، وقد جادلته لكنه قام بما يريد! إن ذلك الضرس لن يؤلمنى مرة أخرى أبدًا".

ذوت آمال كارولين كما لو كانت بالونًا ثقبته بدبوس.

ثم شرعنا فى مناقشة موضوع رالف باتون.

أصررت قائلاً: "إنه إنسان ضعيف لكنه ليس شريراً".

قال بوارو: "نعم، ولكن إلى أين يفضى بك الضعف؟".

قالت كارولين: "بالضبط. خذ جيمس على سبيل المثال... إنه ضعيف جداً لولا أننى بالقرب منه لأعتنى به".

قلت غاضبًا: "عزيزتى كارولين، ألا يمكنك الحديث فى أى موضوع دون الخوض فى مسائل شخصية؟".

قالت فى عناد: "أنت فعلاً ضعيف يا جيمس. إننى أكبرك بثمانى سنوات... آه، لا يهمنى أن يعلم السيد بوارو بذلك...".

قال بوارو مجاملاً: "ما كنت لأخمن ذلك أبداً يا آنسة".

"أنا أكبر منك بثمانى سنوات، واعتبرت أن من واجبى العناية بك على الدوام، ولو كانت تنشئتك سيئة، فإن الله وحده يعلم المشاكل التى كنت ستتورط فيها".

تمتمت قائلاً وأنا أنظر إلى السقف وأنفث دخان سجائرى: "ربما كنت تزوجت فتاة مغامرة جميلة".

قالت كارولين باستهزاء: "مغامِرة! ولكن إذا كنا نتحدث عن الفتيات المغامرات...".

ثم سكتت دون أن تكمل الجملة.

فسألت بشىء من الفضول: "حسنًا؟".

قالت: "لا شىء، ولكن يمكننى التفكير بواحدة لا تبعد عنا مائة ميل".

ثم التفتت إلى بوارو فجأة.

"ما زال جيمس يؤكد أنك ترى القاتل شخصًا من أهل البيت. كل ما يمكننى قوله هو أنك مخطئ".

قال بوارو: "لا أحب أن أكون مخطئًا فهذا ليس... هذا ليس من عادتى".

أكملت كارولين غير مبالية بتعليق بوارو قائلة: "إن الحقائق واضحة تمامًا عندى... من جيمس ومن غيره. وحسبما أرى، فإن اثنين فقط من أهل البيت كانت لديهما فرصة لقتله: رالف باتون وفلورا أكرويد".

"يا عزيزتى كارولين...".

"لا تقاطعنى يا جيمس؛ إننى أعرف ما أتحدث عنه، لقد قابلها باركر خارج الباب،

أليس كذلك؟ لم يسمع عمّها وهو يرد عليها التحية. إذن ربما كانت قد قتلته فى ذلك الحين".

"كارولين!".

"أنا لا أقول إنها قد فعلت ذلك يا جيمس، إنما أقول إنها كانت تستطيع ذلك. الحقيقة أن فلورا تشبه كل فتيات هذه الأيام اللاتى لا يحترمن من هم أكبر منهن مقاماً ويعتقدن أنهن يعرفن أفضل منهم فى كل الموضوعات، إلا أننى لا أعتقد أبداً أن بإمكانها قتل دجاجة... ولكن هذا هو الواقع. إن كلاً من السيد ريموند والميجور بلانت لديهما حجة غياب، والسيدة أكرويد لديها دليلها هى الأخرى. حتى تلك المرأة راسل يبدو أن لديها دليلاً أيضاً... وهو من حسن حظها. من بقى؟ فقط رالف وفلورا! لك أن تقول ما تشاء، ولكننى لا أرى أن رالف باتون قاتل، فلقد عرفناه طوال حياتنا".

ظل بوارو صامتاً للحظات، يشاهد الدخان الذى يتصاعد من سيجاره، وعندما تكلم أخيراً، كان صوته هادئاً ولطيفاً مما أحدث تأثيراً غريباً علينا؛ فقد كان يتحدث بطريقة مختلفة تماماً عن طريقته المعتادة.

قال: "دعونا نضرب مثالاً. رجل عادى جداً، رجل ليست فى مخيلته أية أفكار عن القتل. فى مكان ما داخل هذا الرجل يوجد شىء من الضعف ـ فى أعماق أعماقه، ولم يسبق لهذا الضعف أن ظهر أبداً من قبل، وربما لن يظهر أبداً، وفى هذه الحالة سيموت وهو موضع احترام وتقدير الجميع، ولكن لنفترض أن شيئاً ما قد وقع، ربما يكون قد وقع فى متاعب أو مشكلات... أو حتى ليس هذا. ربما علم، عن طريق الصدفة، سراً ما ـ سراً يتصل بحياة أو موت شخص ما. سيكون رد فعله الأول أن يتكلم ـ أن يقوم بواجبه كمواطن شريف، ولكن عندما يظهر أثر الضعف فيه، فإنه سيوسوس له قائلاً: "ها هى ذى فرصة للحصول على مال... على مبلغ كبير من المال". إنه يريد المال ويرغب فيه، والأمر سهل جداً. ليس عليه أن يفعل أى شىء للحصول عليه... باستثناء البقاء صامتاً. هذه هى البداية، ولكن الرغبة فى المال تزداد، لابد أن يحصل على مال أكثر، وأكثر! لقد أذهب منجم الذهب الذى انفتح عند قدميه عقله. أصبح جشعاً، ثم تمادى فى جشعه. يستطيع المرء أن يضغط على الرجل بالقدر الذى يريده، أما المرأة فإن على المرء ألا يذهب بعيداً فى الضغط عليها؛ لأن المرأة تمتلك ـ فى قلبها ـ رغبة كبيرة فى قول الحقيقة. كم من الرجال خدعوا زوجاتهم وذهبوا إلى قبورهم مرتاحى البال حاملين معهم أسرارهم؟ وكم من النساء اللاتى خدعهن أزواجهن، دمرن حياتهن لأنهن ألقين بالحقيقة أمام أزواجهن! لقد ضُغط عليهن كثيراً وفى

لحظة طائشة (يندمن بعدها بالطبع) يقذفن بالسلامة جانباً ويُعلنّ الحقيقة بكثير من الرضا والارتياح المؤقت. أظن أن ذلك ما حدث فى هذه القضية. كان التوتر كبيراً جداً، وهكذا جاء موت الإوزة التى تبيض ذهباً ـ كما تقولون فى أمثالكم. لكن هذه ليست النهاية؛ فالرجل الذى نتحدث عنه واجه احتمال انكشاف أمره ولم يعد هو نفس الرجل

الذى كان من قبل... قبل عام مثلاً. لقد تشوه نسيجه الأخلاقى وأصبح يائساً. إنه يحارب فى معركة خاسرة، وهو على استعداد لاستخدام أية وسيلة تنالها يده؛ لأن انكشافه يعنى له الدمار، وهكذا...

ضرب الخنجر ضربته!".

سكت لحظة، وبدا وكأنه قد ألقى فى الغرفة تعويذة سحرية. لا أستطيع وصف الانطباع الذى أحدثته كلماته. شىء ما فى تحليله القاسى وفى قوة رؤيته الحادة ألقى الرعب فى قلبينا.

أكمل بهدوء: "وبعد ذلك، بعد أن أزيل الخنجر، عاد كما كان، لطيفاً وطبيعياً، ولكن إذا ما استدعت الضرورة مرة أخرى فسوف يضرب ثانية".

استيقظت كارولين أخيراً من تأملاتها.

قالت: "أنت تتحدث عن رالف باتون. قد تكون محقاً وقد لا تكون، ولكن ليس من حقك إدانة رجل لم تسمع منه شيئاً".

رن جرس الهاتف بحدة، فذهبت إلى الصالة ورفعت السماعة.

قلت: "ماذا؟ نعم. الدكتور شيبارد يتكلم".

أصغيت لبعض الوقت ثم أجبت باختصار ووضعت السماعة وعدت إلى غرفة الاستقبال.

ثم قلت: "بوارو، لقد قبضوا على رجل فى ليفربول، يدعى تشارلز كنت، ويُعتقد أنه الغريب الذى زار منزل السيدة أكرويد تلك الليلة، ويريدون منى الذهاب إلى ليفربول على الفور للتعرف عليه".

الفصل الثامن عشر

تشارلز كنت

رافقت بوارو والمفتش راغلان فى القطار المتجه إلى ليفربول بعد نصف ساعة، وكان واضحاً أن المفتش منفعل للغاية.

قال متهللاً: "على الأقل قد نعثر على خيط فيما يتعلق بجانب الابتزاز فى هذه القضية. إن هذا الرجل من الأشقياء حسبما سمعت على الهاتف، وهو يتعاطى المخدرات أيضًا. لابد أن نحصل منه على ما نريد بسهولة. لو وجدنا عنده أى دافع فمن الأرجح أن يكون هو قاتل السيد أكرويد، ولكن فى هذه الحالة، لماذا يتوارى باتون عن الأنظار؟ الأمر كله معقد. بالمناسبة يا سيد بوارو، لقد كنت محقًا تمامًا بخصوص تلك البصمات؛ لقد كانت بصمات السيد أكرويد نفسه. لقد راودتنى نفس هذه الفكرة من قبل لكنى صرفتها باعتبارها غير معقولة".

ابتسمت فى نفسى؛ فقد بدا واضحاً أن المفتش راغلان يريد حفظ ماء وجهه.

قال بوارو: "بخصوص هذا الرجل، ألم يُعتقل بعد؟".

"لا، إنما هو موقوف للاشتباه فيه".

"وماذا قال عن نفسه؟".

قال المفتش عابسًا: "لم يقل عن نفسه سوى القليل. أعتقد أنه رجل حذر".

عند وصولنا إلى ليفربول فوجئت باستقبالهم بوارو بالتهليل والترحاب؛ فقد عمل رئيس المفتشين هيز ـ الذى كان فى استقبالنا ـ مع بوارو فى قضية ما قبل فترة طويلة، وبدا واضحاً أنه يكن لبوارو ولقدراته إعجاباً شديداً.

قال مبتهجًا: "بما أن السيد بوارو معنا الآن فلن يطول الأمر. كنت أظن أنك تقاعدت يا سيدى؟".

"نعم يا صديقى هيز؛ لقد تقاعدت، لكن التقاعد يبعث على الملل! لا يمكنك تخيل ما فى تعاقب الأيام من ملل ورتابة".

"هذا أكيد، إذن فقد جئت لتلقى نظرة على اكتشافنا هذا. أهذا هو الدكتور شيبارد؟ أتظن أن باستطاعتك التعرف على الرجل؟".

قلت مترددًا: "لست متأكدًا للغاية".

سأله بوارو: "كيف أمسكتم به؟".

"لقد عُممت الأوصاف فى الصحف وفى المراكز. لم يكن لدينا الكثير الذى نعتمد عليه. ولكن هذا الرجل يتكلم باللهجة الأمريكية بالتأكيد، وهو لا ينكر وجوده قرب كينج أبوت تلك الليلة، ولقد سأل فقط عما يعنينا فى هذا الأمر، وقال إنه لن يجيبنا عن أى سؤال حتى ولو ضربنا رأسنا فى الحائط".

قال بوارو: "هل تسمحون لى أيضًا برؤيته؟".

غمز رئيس المفتشين بعينه.

وقال: "يسرنا وجودك يا سيدى. لديك تصريح بأن تفعل ما تشاء. كان المفتش جاب من سكوتلانديارد يسأل عنك أمس، وقال إنه سمع عن صلتك غير الرسمية بهذه القضية. أين يختبئ الكابتن باتون يا ترى، هل تستطيع إخبارى بمكانه؟".

"لا أظن ذلك من الحكمة فى هذا الوقت بالذات". قالها بوارو عابسًا، بينما عضضت على شفتى لأمنع ابتسامة كادت تخرج.

فقد قام الرجل الضئيل بتمثيل الدور جيدًا.

وبعد شىء من الحديث أخذونا لمقابلة السجين.

كان شابًا لا يزيد عمره على الثانية أو الثالثة والعشرين، وكان طويلاً نحيفًا مرتجف اليدين قليلاً، وقد بدت قوته الجسمانية تخور بعض الشىء. كان أسود الشعر، لكن عينيه كانتا زرقاوين مراوغتين ونادرًا ما تقابلان الناظر إليهما مباشرة. لقد توهمت طوال الوقت أن ذلك الشخص الذى التقيت به فى تلك الليلة بدا مألوفًا، ولكن إن كان هذا هو الشخص نفسه فإننى كنت مخطئًا تمامًا؛ فهو لم يذكرنى بأى شخص أعرفه أبدًا.

قال رئيس المفتشين: "والآن يا كنت، قف على قدميك. لقد جاء بعض الزوار لرؤيتك. هل تعرف أحدًا منهم؟".

نظر إلينا متجهم الوجه لكنه لم يجب، ورأيته ينقل نظراته بيننا نحن الثلاثة ويعود ليركزها علىّ.

قال لى رئيس المفتشين: "حسنًا يا سيدى، ماذا تقول؟".

قلت: "لديه الطول نفسه، ومن حيث المظهر العام قد يكون هو الشخص ذاته، أما غير ذلك فليس عندى ما أضيفه".

سأل كنت: "ماذا يعنى كل هذا بربكم؟ ماذا لديكم ضدى؟ هيا قولوا! ما الذى

يُفترض أننى فعلته؟".

أومأت برأسى.

وقلت: "إنه نفس الرجل. لقد ميزته من صوته".

"تقول ميزت صوتى؟ أين تراك سمعته من قبل؟".

"مساء الجمعة الماضى خارج بوابة فيرنلى بارك، وقد سألتنى عن الطريق إليه".

"أنا سألتك؟".

سأله المفتش: "هل تعترف بذلك؟".

"لا أعترف بأى شىء. ليس قبل أن أعرف ما لديكم ضدى".

سأله بوارو متدخلاً فى الحديث للمرة الأولى: "ألم تقرأ الصحف فى الأيام القليلة الماضية؟".

ضاقت عينا الرجل.

ثم قال: "هكذا الأمر إذن. قرأت أن رجلاً قُتِلَ فى فيرنلى. هل تحاولون القول بأننى أنا الذى فعلت ذلك؟".

قال بوارو بهدوء: "لقد كنت هناك فى تلك الليلة".

"وكيف عرفت هذا يا سيدى؟".

"من هذه". أخرج بوارو شيئًا من جيبه ومد يده به.

كانت تلك ريشة الإوزة التى وجدناها فى البيت الصيفى.

وعندما رآها الشاب تغير وجهه وأوشك أن يمد يده.

قال بوارو متأملاً: "الكوكايين الأبيض. لا يا صديقى، إنها فارغة. كانت على الأرض حيث وقعت منك فى البيت الصغير فى تلك الليلة".

نظر تشارلز كنت إليه بتردد.

وقال: "يبدو أنك تعرف الكثير عن كل شىء أيها الأجنبى المغرور. ربما تتذكر أن الصحف قالت إن الرجل قد قُتل بين العاشرة إلا الربع والعاشرة؟".

وافقه بوارو قائلاً: "هذا صحيح".

"نعم، ولكن هل هذا صحيح حقًا؟ هذا ما أريد الوصول إليه".

قال بوارو: "هذا الرجل سوف يخبرك".

وأشار إلى المفتش راغلان، فتردد المفتش ونظر إلى رئيس المفتشين هيز ثم إلى بوارو، وأخيراً قال وكأنه أخذ الموافقة:

"هذا صحيح بين العاشرة إلا الربع والعاشرة".

قال كنت: "إذن ليس لديكم ما يبرر حجزى هنا؛ فقد خرجت من فيرنلى بارك فى التاسعة وخمس وعشرين دقيقة، يمكنكم أن تسألوا فى حانة دوج آند ويسل. إنها تبعد مسافة ميل واحد عن فيرنلى على طريق كرانشستر، وأذكر أننى تسببت فى وقوع عراك هناك، وكانت الساعة العاشرة إلا الربع تقريباً، ما رأيكم فى ذلك؟".

كتب المفتش راغلان بعض الملاحظات فى مفكرته.

فسأله كنت: "حسناً، والآن ماذا؟".

قال المفتش: "سنقوم بالتحقق من هذه الأقوال. إذا كنت تقول الحقيقة فسوف نخلى سبيلك. ماذا كنت تفعل فى فيرنلى بارك على أية حال؟".

"ذهبت هناك لمقابلة شخص ما".

"من هو؟".

"هذا ليس من شأنكم".

حذره رئيس المفتشين قائلاً: "من الأفضل أن تبقى مهذباً أيها الرجل".

"تباً للتهذيب! ذهبت إلى هناك لأمر خاص بى وهذا كل ما فى الأمر، وإن كنت قد خرجت قبل حدوث الجريمة فهذا كل ما يهم الشرطة".

قال بوارو: "اسمك هو تشارلز كنت. أين ولدت؟".

حدّق الشاب إليه ثم ابتسم.

وقال: "إننى بريطانى من رأسى حتى أخمص قدمى".

قال بوارو متأملاً: "نعم، أظن ذلك، وأنا أعتقد أنك ولدت فى مقاطعة كنت بإنجلترا".

حدق الشاب إلى وجهه.

"ولماذا؟ أهو بسبب اسمى؟ ما علاقة هذا بالأمر؟ أينبغى لكل من يحمل اسم كنت أن يكون مولوداً فى تلك المقاطعة بالذات؟".

قال بوارو متأنياً: "أظن أنه قد يكون كذلك فى ظل ظروف معينة... فى ظل ظروف معينة، أتفهمنى؟".

كان فى نبرته الكثير من المغزى مما أدهش ضابطى الشرطة. أما تشارلز كنت

فقد احمر وجهه، وظننت للحظة أنه سيثب على بوارو،

ولكنه آثر السلامة واستدار ضاحكًا.

أومأ بوارو برأسه وكأنه قد رضى بالمقابلة وخرج، وسرعان ما لحق به الضابطان.

قال راغلان: "سوف نتحقق من أقواله، إلا أننى لا أظنه يكذب. لكنه لابد أن يبعد عن نفسه الشبهات ويخبرنا عما كان يفعله فى فيرنلى.

يبدو لى أننا أمسكنا بالمبتز بلا ريب، ومن ناحية أخرى، إذا سلمنا بصحة روايته فلا يمكن أن تكون له علاقة بجريمة القتل. كان معه عشرة جنيهات عندما اعتقل، وهو مبلغ كبير نوعًا ما. أظن أن تلك الجنيهات الأربعين قد ذهبت إليه. أرقام الأوراق النقدية التى معه لم تكن متطابقة مع باقى المبلغ الذى تركه أكرويد، ولكن كان من شأنه أن يغيرها فور حصوله عليها بالطبع. لابد أنه قد أخذ النقود من أكرويد وانسلّ هاربًا بها بسرعة. ماذا عن مولده فى مقاطعة كنت؟ ما علاقة هذا بالأمر؟".

قال بوارو: "لا شىء على الإطلاق. مجرد فكرة صغيرة لدى، هذا كل ما فى الأمر. إننى مشهور بأفكارى الصغيرة".

قال راغلان وهو يتفحصه متحيرًا: "أحقًا أنت كذلك؟".

انفجر رئيس المفتشين ضاحكًا.

وقال: "لطالما سمعت المفتش جاب يذكر ذلك ويكرره. السيد بوارو وأفكاره الصغيرة! كان يقول إنها أفكار خيالية بالنسبة له، ولكنها دائمًا ما تحمل شيئًا ما".

قال بوارو مبتسمًا: "أنت تسخر منى، ولكن هذا لا يهم. العجائز يضحكون أخيرًا فى بعض الأحيان بينما لا يضحك الشباب الأذكياء على الإطلاق".

ثم أومأ لهما برأسه برزانة وخرج إلى الشارع.

تناولنا ـ أنا وهو ـ طعام الغداء فى أحد الفنادق بعد ذلك. إننى أعرف الآن أن الأمر كله كان قد تكشف له بوضوح وقتها. كان قد أمسك بالخيط الأخير الذى احتاج إليه للوصول إلى الحقيقة.

ولكنى لم أكن أعرف شيئًا عن هذه الحقيقة فى ذلك الوقت. كنت قد أسأت تقدير ثقته بنفسه، وسلمت جدلاً بأن الأشياء التى كانت تحيرنى لابد أنها تحيره هو الآخر بنفس المستوى.

كان اللغز الأساسى الذى يحيرنى هو معرفـــة ما كان يفعله تشارلز كنت فى فيرنلى. كنت أضع هذا السؤال أمامى مرة تلو الأخرى ولا أحصل على إجابة مرضية، وفى نهاية الأمر غامرت بسؤال بوارو مترددًا، وكانت إجابته فورية.

"يا صديقى، لا أعتقد أننى أعرف".

قلت غير مصدق: "حقًا؟".

"نعم فى الحقيقة. لا أظن أنك سترى فى كلامى معنى إن قلت لك إنه ذهب إلى فيرنلى فى تلك الليلة فقط لأنه وُلد فى كنت، أليس كذلك؟".

حدقت النظر إليه.

وقلت بجفاء: "لا معنى لهذا عندى بالتأكيد".

قال بوارو مشفقًا: "آه، لا يهم، ما زالت عندى فكرتى الصغيرة!".

الفصل التاسع عشر

فلورا أكرويد

بينما كنت عائداً من جولتى فى صباح اليوم التالى نادانى المفتش راغلان، وعندما توقفت جاءنى مسرعاً.

قال: "صباح الخير يا دكتور شيبارد. لقد تحققنا من دليل الغياب فوجدناه صحيحاً".

"دليل غياب تشارلز كنت؟".

"أجل. النادلة التى تعمل فى الحانة تتذكره تماماً. وقد عرفت صورته من بين خمس صور أخرى. كانت الساعة العاشرة إلا الربع عندما دخل الحانة، وهذه الحانة تبعد ميلاً واحداً عن فيرنلى بارك، وقد ذكرت الفتاة أنه كان يحمل معه مبلغاً كبيراً من النقود؛ إذ رأته وهو يخرج من جيبه مجموعة من الأوراق المالية، وقد أدهشها ذلك كثيراً وهى تنظر إلى هيئته البسيطة؛ حيث كان يرتدى حذاءً طويلاً يكاد يسقط من قدميه. لا شك أن تلك الجنيهات الأربعين قد ذهبت إليه".

"ألا يزال الرجل يرفض الكشف عن سبب زيارته لفيرنلى؟".

"إنه عنيد كالبغل. لقد تحدثت مع هيز فى ليفربول على جهاز اللاسلكى صباح اليوم".

قلت: "يقول هيركيول بوارو إنه يعرف سبب ذهاب الرجل إلى هناك فى تلك الليلة".

صاح المفتش متحمساً: "حقاً؟".

قلت بمكر: "نعم. يقول إنه ذهب إلى هناك لأنه ولد فى كنت".

أحسست بلذة خاصة فى نقل حيرتى إلى شخص سواى.

حدّق راغلان إلىّ لبعض الوقت وهو لا يفهم قصدى، ثم ارتسمت ابتسامة على شفتيه وضرب على جبينه بيده فى إشارة ذات مغزى.

وقال: "نعم، لقد خطر لى ذلك، فكرت فى ذلك منذ فترة. مسكين هذا العجوز! لهذا اضطر إلى ترك عمله والمجىء إلى هنا، يحتمل أن يكون ذلك وراثياً فى العائلة؛

فلديه ابن أخ مجنون تمامًا".

قلت ذاهلاً: "أتقصد بوارو؟".

"نعم، ألم يحدثك عنه من قبل؟ أظنه من النوع المسالم غير المؤذى، ولكنه مجنون تمامًا، المسكين".

"من أخبرك بذلك؟".

ابتسم المفتش راغلان ثانية.

وقال: "أختك. الآنسة شيبارد، أخبرتنى عنه كل شىء".

إن كارولين مدهشة حقًا. لا يهدأ لها بال حتى تعرف كل شىء عن الأسرار العائلية لجميع الناس، ولسوء الحظ لم أستطع أبدًا إقناعها بالحفاظ على هذه الأسرار لنفسها".

قلت وأنا أفتح باب السيارة: "ادخل أيها المفتش، سنذهب إلى بيت السيد بوارو معًا ونطلع صديقنا البلجيكى على آخر الأخبار".

"نعم، يجب علينا ذلك. وحتى لو كان مخبولاً قليلاً فإن إشارته تلك لموضوع البصمات كانت مفيدة. لديه هاجس معين بخصوص الشاب كنت، ولكن من يدرى؟ ربما كان خلف ذلك شىء مفيد".

استقبلنا بوارو بابتسامته المعهودة اللطيفة.

ثم أصغى إلى المعلومة التى أحضرناها له وهو يومئ برأسه من وقت لآخر.

ثم قال المفتش عابسًا: "لا غبار على هذه القصة، أليس كذلك؟ لا يمكن لشخص أن يقتل شخصًا فى مكان وهو يتناول الشراب فى حانة تبعد ميلاً عن ذلك المكان".

"هل ستطلق سراحه؟".

"لا أرى أن لدينا خيارًا آخر. لا نستطيع حجزه لحصوله على نقود بناء على مزاعم وهمية؛ لا نستطيع إثبات هذا الأمر".

ألقى المفتش عود ثقاب فى المدفأة باستياء، فرفعه بوارو ووضعه فى وعاء مخصص لهذا الغرض. كانت حركته تلك آلية تمامًا، وقد رأيت أنه يفكر فى أمر مختلف كل الاختلاف.

وأخيرًا قال: "لو كنت مكانك لما أطلقت سراح تشارلز كنت الآن".

"ماذا تعنى؟".

حدق راغلان النظر إليه.

فقال بوارو: "أعنى ما أقوله؛ ما كنت لأطلق سراحه فى الوقت الحاضر".

"هل تعتقد أن له علاقة بجريمة القتل؟".

"ربما لا تكون له أى علاقة بالجريمة، لكننا لا نستطيع التأكد بعد".

"ولكن ألم أخبرك الآن...؟".

رفع بوارو يده محتجًا.

وقال: "نعم، نعم، سمعت. لست أصم أو غبيًا، والحمد لله! ولكنك تتطلع إلى الأمر من زوايا خاطئة... خاطئة".

حدق إليه المفتش بحدة وقال:

"لست أفهم كيف ترى الأمور. اسمعنى، إننا نعرف أن السيد أكرويد كان حيًا فى العاشرة إلا الربع. أنت توافقنى على هذا، أليس كذلك؟".

نظر بوارو إليه لحظة، ثم هز رأسه بابتسامة سريعة.

"لا أوافق على شىء لم يتم... إثباته!".

"لدينا إثبات كافٍ على ذلك؛ لدينا شهادة الآنسة فلورا".

"بقولها إنها قالت لعمها طابت ليلتك؟ لكنى لا أصدق دائمًا ما تقوله لى فتاة شابة. نعم، حتى لو كانت فاتنة وجميلة".

"ولكن تبًا يا رجل! لقد رآها باركر تخرج من الباب".

ارتفع صوت بوارو بحدة مفاجئة وقال: "لا؛ هذا بالذات ما لم يره باركر. لقد جربت ذلك بنفسى عندما قمت أمس بتجربة صغيرة. أتذكر ذلك يا دكتور؟ لقد رآها باركر خارج الباب وكانت يدها على المقبض، ولكنه لم يرها وهى تخرج من المكتب".

"ولكن... أين عساها تكون إن لم تكن فى المكتب؟".

"ربما كانت على السلالم".

"السلالم؟".

"نعم، هذه هى فكرتى الصغيرة".

"لكن تلك السلالم لا تؤدى إلا إلى غرفة نوم السيد أكرويد".

"بالضبط".

ظل المفتش يحدق إلى وجه بوارو.

ثم قال: "أتظن أنها صعدت إلى غرفة نوم عمها؟ حسنًا، ولِمَ لا؟ ولماذا عساها تكذب فى هذا الأمر؟".

"آه! هذا هو السؤال. هذا يعتمد على ما كانت تفعله هناك، أليس كذلك؟".

"تقصد... النقود؟ تبًا! لا أظنك تلمّح إلى أن الآنسة فلورا هى التى أخذت الأربعين جنيهًا؟".

"أنا لا ألمح إلى شىء، لكنى سأذكرك بهذا: لم تكن الحياة سهلة للأم وابنتها. كانت هناك فواتير ومشكلات مستمرة على مبالغ صغيرة من المال، وكان روجر أكرويد غريب الأطوار فيما يتعلق بالمال. ربما كانت الفتاة فى حاجة ماسة إلى مبلغ صغير من النقود، تصور بعقلك ماذا سيحدث: أخذت النقود ونزلت السلم الصغير، وعندما صارت فى وسطه سمعت أصوات الكئوس من الصالة. لم يكن لديها شك فى معنى هذه الأصوات؛ فقد عرفت أن باركر قادم إلى المكتب. كان يجب ألا يراها على السلم بأى ثمن؛ فباركر لن ينسى ذلك لأنه سيرى الأمر غريبًا، وعندما يغيب المبلغ فإن من المؤكد أنه سيتذكر أنه رآها وهى تهبط ذلك السلم. لم يكن لديها من الوقت إلا ما يكفى لكى تسرع إلى باب المكتب وتضع يدها على المقبض لتظهر لباركر أنها كانت خارجة من الغرفة لتوها عندما وصل إليها. ولقد قالت أول شىء خطر ببالها، وهو تكرار أوامر روجر أكرويد التى قالها فى وقت سابق من تلك الليلة، ثم صعدت إلى غرفتها".

أصر المفتش قائلاً: "نعم، ولكن لابد أنها أدركت لاحقًا الأهمية الكبيرة لقول الحقيقة؛ فالقضية كلها تعتمد على هذا الأمر!".

قال بوارو بجفاء: "فيما بعد أصبح الأمر صعبًا بالنسبة للآنسة فلورا، قيل لها ببساطة إن رجال الشرطة موجودون فى البيت وأن سرقة قد وقعت، وكان طبيعيًا أن تقفز إلى نتيجة مفادها أنهم قد اكتشفوا أمر سرقتها. لم يكن لها إلا أن تصر على قصتها، وعندما علمت أن عمها قد قتل أصيبت بنوبة من الذعر وأغمى عليها. الفتيات لا يغمى عليهن هذه الأيام، أيها السادة، دون سبب قوى. حسنًا، هذا ما حدث.

كان عليها أن تصر على قصتها أو تعترف بكل شىء، ولكن فتاة شابة جميلة لا تحب الاعتراف بأنها سارقة... وخصوصًا أمام مَن تحرص على كسب احترامهم وتقديرهم".

ضرب راغلان بقبضته على الطاولة.

وقال: "لن أصدق هذا. لا يمكن... لا يمكن تصديق هذا. هل كنت تعرف هذا من البداية؟".

قال بوارو: "كان هذا الاحتمال موجودًا فى ذهنى من البداية، وكنت دائم الاقتناع بأن الآنسة فلورا كانت تكتم عنّا شيئًا، وحتى أقنع نفسى قمت بالتجربة الصغيرة التى أخبرتك عنها، وقد وافقنى الدكتور شيبارد وقتها".

قلت بمرارة: "ولكنك قلت إنها كانت اختباراً لباركر".

قال بوارو معتذرًا: "أخبرتك وقتها، يا صديقى، إن المرء لابد له من أن يقول

شيئًا".

نهض المفتش من مقعده.

وقال: "يوجد شيء واحد لحسم هذا الأمر... لابد أن نسأل الفتاة على الفور! هل ستأتى معى يا سيد بوارو؟".

"بالتأكيد، وسيأخذنا الدكتور شيبارد بسيارته".

وافقتهما طواعية.

وعندما سألنا عن الآنسة أكرويد أرشدونا إلى غرفة البلياردو. كانت فلورا تجلس على مقعد طويل تحت النافذة مع الميجور هكتور بلانت.

قال المفتش: "صباح الخير آنسة أكرويد. هل يمكننا الحديث معك على انفراد؟".

نهض بلانت على الفور وتحرك نحو الباب.

وسألت فلورا بعصبية: "ما الأمر؟ لا تذهب يا ميجور بلانت "، ثم التفتت إلى المفتش وقالت: "ألا يمكنه البقاء؟".

قال المفتش بجفاء: "كما تشائين. توجد مسألة من واجبى إبلاغك بها يا آنسة، لكنى أفضل أن يكون ذلك على انفراد، وأظن أنك ستفضلين ذلك أيضًا".

نظرت فلورا إليه بإمعان ورأيت وجهها يشحب، ثم التفتت وخاطبت بلانت قائلة:

"أريدك أن تبقى...أرجوك. أنا أعنى ما أقول. مهما كان ما سيقوله المفتش لى فإننى أفضل أن تسمعه".

رفع راغلان كتفيه بعدم اكتراث.

"إن كنت تريدين ذلك فالأمر لك. والآن يا آنسة أكرويد، لقد أوحى إلىّ السيد بوارو بأمر معين. إنه يرى أنك لم تدخلى المكتب ليلة الجمعة الماضية على الإطلاق، وأنك لم تشاهدى السيد أكرويد لتودعيه تلك الليلة، وأنك بدلاً من أن تكونى فى المكتب كنت على السلم الذى يؤدى إلى غرفة نوم عمك عندما سمعت باركر قادماً من الصالة".

انتقلت نظرات فلورا إلى بوارو فأومأ لها برأسه.

وقال: "يا آنسة، بالأمس، عندما جلسنا حول الطاولة، ناشدتكم أن تكونوا صادقين معى. إن ما لا يقوله المرء لبوارو العجوز، فإنه يستطيع كشفه بنفسه. إن هذا هو ما حدث، أليس كذلك؟ سوف أسهل عليك الأمر. أنت من أخذ النقود، أليس كذلك؟".

قال بلانت بحدة: "النقود؟".

ساد الصمت لفترة لا تقل عن دقيقة كاملة.

ثم استجمعت فلورا نفسها وتحدثت.

"السيد بوارو على حق، أنا أخذت تلك النقود، أنا سرقتها. إننى سارقة... نعم، سارقة عادية مبتذلة! إنكم تعرفون الآن، وأنا سعيدة لانكشاف الأمر، فقد كانت الأيام القليلة الماضية كابوسًا بالنسبة لى! "، ثم جلست وغطت وجهها بيديها، وتكلمت بصوت أجش خرج من بين أصابعها: "أنتم لا تعرفون كيف كانت حياتى منذ أن جئت إلى هنا. لا تعرفون حاجتى للأشياء، وما اضطررت إليه للحصول عليها، والكذب، والخداع، وتأخرى فى دفع الفواتير. آه، إننى أكره نفسى عندما أفكر فى هذا كله! هذا ما جمعنا معًا أنا ورالف؛ كلانا كان ضعيفًا!

لقد فهمته وكنت حزينة لأننى ضعيفة مثله فى داخلى. لم نكن قويين بما فيه الكفاية ليحتمل كل واحد منا منفردًا. إننا مخلوقان ضعيفان بائسان وضيعان".

نظرت إلى بلانت، وفجأة ضربت الأرض بقدمها.

"لِمَ تنظر إلىّ هكذا وكأنك لا تصدق؟ قد أكون سارقة، لكننى الآن على حقيقتى على أيَة حال. إننى لم أعد أكذب الآن... لم أعد أتظاهر بأننى الفتاة التى تعجب الجميع، شابة وبريئة وبسيطة. لا أهتم إن كنت لا تريد رؤيتى ثانية. إننى أكره نفسى... أحتقر نفسى... ولكن يجب أن تصدق شيئًا واحدًا؛ لو كان قول الحقيقة فى صالح رالف لكنت قلتها، لكنى ـ منذ البداية ـ كنت أرى أن قول الحقيقة لن ينفع رالف فى شىء، بل على العكس، سيزيد موقفه حرجًا على حرج. لم أكن أسبب له أى أذى بتمسكى بكذبى".

قال بلانت: "رالف؟ نعم، دائمًا رالف".

قالت فلورا فى أسى: "أنت لا تفهم... ولن تفهم أبدًا".

ثم التفتت إلى المفتش وقالت:

"أعترف بكل شىء. لقد أفقدتنى الحاجة إلى المال صوابى. لم أرَ عمى أبدًا فى تلك الليلة بعد أن ترك طاولة العشاء، وبالنسبة للنقود يمكنك اتخاذ الإجراءات التى تريدها فلا شىء يمكن أن يكون أسوأ من حالى الآن".

وفجأة انهارت مرة أخرى وخبأت وجهها بيديها واندفعت خارج الغرفة.

قال المفتش بنبرة جافة: "حسنًا، هذا إذن ما حدث".

بدا تائهًا لا يعرف ماذا يفعل بعدها.

ثم تقدم بلانت إلى الأمام.

وقال بهدوء: "مفتش راغلان، ذلك المال أعطاه لى السيد أكرويد لغرض خاص ولم تلمسه الآنسة أكرويد أبداً. كانت تكذب عندما قالت إنها أخذته، وذلك حتى تتستر على الكابتن باتون. الحقيقة كما قلتها، وأنا على استعداد للوقوف أمام المحكمة والقسم على ذلك".

ثم انحنى تحية للمفتش وخرج من الغرفة مسرعاً.

لحق به بوارو بسرعة وأدركه فى الصالة.

"يا سيدى، لحظة واحدة أرجوك".

"حسنًا يا سيدى؟".

بدا واضحاً أن بلانت كان نافد الصبر. وقف ينظر إلى بوارو عابساً.

قال بوارو بسرعة: "أريد أن أقول إن تمثيليتك الصغيرة لم تنطلِ علىّ. الحق أن الآنسة فلورا هى التى أخذت النقود، ومع ذلك فإن ما تقوله يدل على حسن مبادرة. لقد أسعدنى تصرفك. إن ما فعلته شىء جيد، ويدل على أنك رجل سريع التفكير سريع التصرف".

قال بلانت ببرود: "ليست لدى أدنى رغبة فى سماع رأيك. شكراً لك".

حاول أن يمضى، لكن بوارو ـ الذى لم يبد عليه الشعور بالإهانة ـ أمسك به من ذراعه وقال:

"آه، ولكن يجب أن تصغى إلى؛ فلدى المزيد من الكلام. أمس تكلمت عن إخفاء المعلومات، وكنت أرى منذ البداية ما تخفيه. أنت تحب الآنسة فلورا من كل قلبك من أول لحظة رأيتها فيها، أليس كذلك؟ آه! دعنا لا نتحرج من قول هذه الأشياء. لماذا يصر الناس فى إنجلترا على أن ذكر الحب أمر شائن وينبغى إخفاؤه؟ أنت تحب الآنسة فلورا، ولكنك تسعى لإخفاء هذه الحقيقة عن الجميع. هذا جيد إن كنت تفضل ذلك، ولكن خذ بنصيحة هيركيول بوارو. لا تخفِ ذلك عن الآنسة نفسها".

كان بلانت قد أظهر كثيراً من علامات الضيق والتململ عندما كان بوارو يتحدث، لكن الكلمات الأخيرة استرعت انتباهه كما يبدو.

قال بحدة: "ماذا تقصد بهذا؟".

"أنت تعتقد أنها تحب الكابتن باتون. ولكنى أنا ـ هيركيول بوارو ـ أقول لك إن هذا ليس صحيحاً. لقد رضيت الآنسة فلورا بالكابتن باتون إرضاء لعمها ولأنها رأت فى الزواج طريقاً للهروب من حياتها هنا التى أصبحت لا تطاق. لقد أعجبها وكان بينهما الكثير من التعاطف والتفاهم، أما الحب؟ فلا! إن الذى تحبه الآنسة فلورا ليس الكابتن

باتون".

سأله بلانت: "ماذا تقصد بالله عليك؟".

رأيت حمرة الخجل خلف ملامحه التى لوحتها الشمس.

قال بوارو: "لقد كنت أعمى يا سيدى، أعمى! كل ما فى الأمر أن الطفلة وفية، ولأن رالف باتون فى ورطة فقد دفعتها دوافع الشرف لأن تقف بجانبه".

أحسست أن الوقت قد حان لقول كلمة تساعد فى هذا الجهد الطيب.

فقلت من باب التشجيع: "أخبرتنى أختى فى الليلة الماضية أن فلورا لم تهتم أبداً برالف باتون، ولن تهتم أبداً به، وأختى دائماً على صواب فى هذه الأمور".

تجاهل بلانت جهدى الخيرى، وتحدث إلى بوارو.

"هل ترى حقًا...؟ "، هكذا بدأ جملته ثم توقف.

كان بلانت من الرجال الذين يعجزون عن الإفصاح عن مشاعرهم بالكلمات.

أما بوارو فقد كان أبعد ما يكون عن ذلك العجز.

قال: "إن كنت تشك فى كلامى فاسألها بنفسك يا سيدى، لكنك ربما لم تعد مهتمًا... بسبب مسألة النقود".

أصدر بلانت صوتًا كالضحكة الغاضبة.

وقال: "أتظن أن ذلك يدفعنى لكراهيتها؟ كان روجر دائمًا غريبًا فيما يتعلق بالمال. لقد وقعت الفتاة فى ورطة ولم تجرؤ على إخباره، مجرد طفلة مسكينة وحيدة".

نظر بوارو إلى الباب الجانبى بإشارة تفهم.

وتمتم: "أعتقد أن الآنسة فلورا قد ذهبت إلى الحديقة".

قال بلانت: "لقد كنت مغفلاً فى كل شىء. كنا نتحدث فى كل الأمور السخيفة طوال الوقت، ولكنك رجل راجح العقل يا سيد بوارو.

شكراً لك".

أمسك بيد بوارو وضغط عليها بقوة جعلت بوارو يجفل ألمًا، ثم انطلق إلى الباب الجانبى وخرج إلى الحديقة.

تمتم بوارو وهو يفرك يده: "لم يكن مغفلاً فى كل شىء. إنه مغفل فى جانب واحد فقط... كان مغفلاً فى الحب!".

الفصل العشرون

الآنسة راسل

لقد تلقى المفتش راغلان ضربة موجعة، كما لم تخدعه هو أيضًا الكذبة التى قالها بلانت بدافع من شهامته، وفى طريق عودتنا إلى القرية ظل يشكو ويتذمر طوال الوقت.

قال: "هذا يغير كل شىء. لا أعرف إن كنت قد أدركت ذلك يا سيد بوارو؟".

قال بوارو: "أظن ذلك. نعم، أظن ذلك؛ فقد كانت الفكرة فى رأسى منذ وقت طويل".

أما المفتش راغلان ـ الذى لم ينتبه إلى هذه الفكرة إلا قبل نصف ساعة فقط ـ فقد نظر إلى بوارو حزينًا وتابع اكتشافاته.

"إن أدلة غياب أهل البيت عن مسرح الجريمة أصبحت بلا فائدة، بلا فائدة على الإطلاق! علينا أن نبدأ من جديد. نريد أن نعرف ماذا كان يفعل كل واحد ابتداء من الساعة التاسعة والنصف. هذا هو الوقت الذى سنركز عليه. لقد كنت محقًا بخصوص الشاب كنت؛ ولن نطلق سراحه لفترة. دعنى أفكر، لقد كان فى الحانة فى العاشرة إلا الربع، وربما استطاع الوصول إليها ركضًا فى ربع ساعة. يحتمل أن يكون هو صاحب الصوت الذى سمعه ريموند يتحدث مع السيد أكرويد ويطلب منه نقودًا، ولكن يبقى أمر واحد واضح، لم يكن هو الذى اتصل بالهاتف؛ فالمحطة تبعد نصف ميل فى الاتجاه الآخر، أى أكثر من ميل ونصف عن الحالة التى كان فيها، وهو كان موجودًا فى الحانة حتى الساعة العاشرة وعشر دقائق. تبًا لتلك المكالمة الهاتفية! إنها تقفز فى وجهنا فى كل مرة".

وافقه بوارو: "نعم، صحيح؛ إنه أمر غريب".

"من المحتمل أن يكون الكابتن باتون قد تسلق ودخل غرفة عمه فوجده مقتولاً هناك فأصابه الرعب، وظن أنه سيُتّهم ولذلك هرب. هذا محتمل، أليس كذلك؟".

"ولماذا يتصل بالهاتف؟".

"ربما شك فى كون أكرويد ميتًا حقًا، فأراد إحضار الطبيب إلى هناك فى أسرع وقت ممكن دون الكشف عن نفسه. نعم، ما رأيك بهذه النظرية؟ أعتقد أن فيها ما يستحق الاهتمام".

نفخ المفتش صدره بغرور. كان واضحاً أنه مسرور من نفسه إلى درجة تجعل أية كلمة نقولها تبدو عديمة الفائدة.

فى تلك اللحظة وصلت إلى بيتى وأسرعت إلى عيادتى، التى كانت تمتلئ بالمرضى الذين كانوا فى انتظارى منذ وقت طويل، تاركاً بوارو يذهب إلى قسم الشرطة مشياً على الأقدام مع المفتش.

بعد أن فرغت من آخر مريض ذهبت إلى الغرفة الصغيرة وراء البيت التى أسميها ورشتى. أنا فخور بجهاز اللاسلكى الذى صنعته فى بيتى، أما كارولين فقد كانت تكره ورشتى هذه، وقد احتفظت بعدتى وأدواتى فيها ولم أكن أسمح لآنى أن تُحدث فوضى فى تلك الغرفـــة بفرش-اتها ومكنس-تها. كن-ت أع-دّل مح-رك س-اعة المنبـه التـى اش-تكى أه-ل البـيت م-ن دقت-ها عن-دما فتح-ت ك-ارولين البـاب وأطل-ت برأسها.

قالت باستياء شديد: "آه! ها أنت هنا يا جيمس، إن السيد بوارو يريد رؤيتك".

قلت وقد غضبت من دخولها المفاجئ الذى أجفلنى وجعلنى أسقط قطعة بالغة الصغر من أجزاء الساعة: "حسناً، إذا كان يريد رؤيتى فيمكنه أن يأتى إلى هنا".

"هنا؟".

"هذا ما قلته، هنا".

تأففت كارولين وخرجت مستاءة، ثم عادت بعد قليل وهى تشير إلى بوارو بالدخول، ثم خرجت وأغلقت الباب بقوة.

قال بوارو وهو يتقدم نحوى ويفرك يديه: "أرأيت يا صديقى، إنك لم تستطع التخلص منى بهذه السهولة!".

تساءلت قائلاً: "هل فرغت من المفتش؟".

"نعم، مؤقتًا. وأنت، هل انتهيت من جميع المرضى؟".

"نع-م".

جلس بوارو ونظر إلىّ وهو يميل برأسه البيضاوى إلى جانب واحد وكأنه يستمتع بنكتة رائعة.

وأخيراً قال: "أنت مخطئ؛ مازال لديك مريض واحد لم تره".

قلت مندهشاً: "أرجو ألا تكون أنت؟".

"آه، ليس أنا بالطبع، إن صحتى ممتازة. الحقيقة أنها مؤامرة صغيرة منى. أريد رؤية شخص وفى نفس الوقت ليس من الضرورى أن تعرف القرية كلها بالأمر، وهو ما

سيحدث لو أن السيدة شوهدت وهى تدخل بيتى... لأنها امرأة، ولكن الأمر مختلف هنا؛ لأنها جاءت إليك من قبل بصفتها مريضة".

صحت قائلاً: "الآنسة راسل!".

"بالضبط. أرغب فى التحدث إليها، ولذلك أرسلت إليها رسالة صغيرة وحددت الموعد فى عيادتك. أرجو ألا تنزعج منى بسبب ذلك؟".

"بل إن ذلك يسعدنى، هذا بالطبع إن كنت ستسمح لى بحضور اللقاء".

"بالطبع، إنه سيتم فى عيادتك".

قلت وأنا ألقى الكماشة على الطاولة: "إنه أمر مثير بصورة غريبة. كل تطور جديد يظهر يقلب كل الافتراضات رأساً على عقب؛ فالأمور تتغير كلياً كل يوم. والآن، لماذا أنت مهتم كثيراً برؤية الآنسة راسل؟".

رفع بوارو حاجبه.

وتمتم قائلاً: "لأمر واضح بالتأكيد!".

قلت متذمراً: "ها قد عدت إلى عادتك مجدداً. كل شىء واضح بالنسبة لك، ولكنك تتركنى أضرب أخماساً فى أسداس".

هز بوارو رأسه تجاهى بلطف.

وقال: "لا شك أنك تسخر منى. خذ موضوع الآنسة فلورا مثلاً. لقد فوجئ المفتش بأمرها، أما أنت فلم تفاجأ".

عارضته بقوة: "لم أحلم بأن تكون هى السارقة أبداً".

"ربما لم تعلم هذه النقطة... لكنى كنت أراقب وجهك فوجدت أنك لم تبد مشدوهاً أو غير مصدق كما حدث مع المفتش راغلان".

فكرت لدقيقة أو اثنتين.

وأخيراً قلت: "ربما كنت على حق؛ فقد شعرت، منذ البداية، أن فلورا تخفى شيئًا، ولذلك عندما ظهرت الحقيقة كانت متوقعة فى عقلى الباطن. لقد تضايق المفتش راغلان المسكين بشدة بسبب ما حدث".

"آه، بالطبع! يجب أن يعيد هذا المسكين ترتيب أفكاره كلها، وقد استفدت من تشوشه الذهنى فى إقناعه بتقديم خدمة صغيرة لى".

"وما هى؟".

أخرج بوارو ورقة من جيبه عليها بعض الكلمات وقرأها بصوت مرتفع:

"لقد كان رجال الشرطة يبحثون منذ أيام عن الكابتن رالف باتون، قريب السيد أكرويد الذى قتل فى ظروف مأساوية يوم الجمعة الماضى، وقد عُثر على الكابتن باتون فى ليفربول وهو يهم بالمغادرة إلى أمريكا عن طريق البحر".

طوى الورقة ثانية وقال: "سيظهر هذا الخبر فى صحف صباح الغد يا صديقى".

حدقت إليه فى ذهول!

"ولكن... ولكن هذا غير صحيح! إنه ليس فى ليفربول!".

ابتسم بوارو فى وجهى.

"أنت سريع الذكاء! نعم، لم يعثر عليه فى ليفربول. لقد عارض المفتش راغلان إرسال هذا الخبر إلى الصحافة بشكل كبير وخصوصاً أننى لم أستطع إطلاعه على الهدف من ذلك. لكننى أكدت له بكل تأكيد أن نتائج مثيرة ستعقب نشر هذا الخبر فى الصحف،ولذلك وافق بعد أن اشترط عدم تحمله أية مسئولية مهما كانت".

حدقت إلى بوارو فابتسم لى.

وأخيراً قلت: "لا أدرى ماذا تتوقع أن تجد من وراء هذا".

رد بوارو بجدية: "يجب أن تستخدم خلايا دماغك الرمادية الصغيرة".

نهض وسار إلى الجانب الآخر من الطاولة.

وقال بعد أن تفحص أدواتى المبعثرة: "يبدو أنك تحب العمل فى الآلات حقاً".

لكل إنسان هوايته، وعلى الفور لفت انتباه بوارو إلى جهاز اللاسلكى الذى صنعته فى البيت، وعندما وجدته متجاوباً معى عرضت عليه بعض مبتكراتى الخاصة. لم تكن مبتكرات ذات قيمة تُذكر، ولكنها كانت مفيدة فى البيت.

قال بوارو: "كان يجب أن تكون مخترعاً وليس طبيباً بالتأكيد. إننى أسمع الجرس... هذه مريضتك. هيا نذهب إلى العيادة".

لقد أثارت انتباهى، من قبل، آثار الجمال الباقية فى وجه مديرة المنزل، وقد أثارت تلك الآثار انتباهى مرة أخرى هذا الصباح. كانت ترتدى ثوباً أسود بسيطاً، وتسير معتدلة بقامتها الطويلة الممشوقة، وشخصيتها المستقلة، وعينيها السوداوين الواسعتين، ووجنتيها المتوردتين على غير عادتهما. جعلنى ذلك كله أدرك أنها كانت فى صباها فتاة رائعة الجمال دون شك.

قال بوارو: "صباح الخير يا آنستى. هلا جلست! لقد تكرم الدكتور شيبارد وسمح لى باستخدام عيادته للحديث معك".

جلست الآنسة راسل بهدوئها المعتاد، ولئن كانت تحس بأى انفعال داخلى فإن ذلك

لم يظهر أبداً على قسماتها.

قالت: "يجب أن أقول إن ما قمت به يبدو أسلوبًا غريبًا".

قال بوارو: "آنسة راسل، لدى أخبار لك".

"حقًا".

"لقد تم اعتقال تشارلز كنت فى ليفربول".

لم تتحرك عضلة واحدة فى وجهها، بل اكتفت بأن فتحت عينيها أوسع قليلاً وسألت فى نبرة من التحدى: "حسنًا وماذا فى هذا الأمر؟".

فى تلك اللحظة أدركت الحقيقة ـ ذلك الشبه الذى ظل يحيرنى منذ البداية. شىء مألوف فى ذلك التحدى الذى بدا فى سلوك تشارلز كنت. والصوتان... أحدهما غليظ أجش والآخر أنثوى حزين، لكن طابع صوتهما واحد بشكل غريب. إذن فذلك الصوت الذى سمعته خارج بوابة فيرنلى بارك ليلة الجريمة إنما ذكرنى بالآنسة راسل لا شعوريًا.

نظرت إلى بوارو ذاهلاً من اكتشافى هذا فأومأ إلىّ إيماءة غامضة.

وجوابًا عن سؤال الآنسة راسل رفع يديه فى الهواء بإيماءة غريبة.

وقال بهدوء: "ظننت أن هذا قد يثير اهتمامك، هذا كل ما فى الأمر".

"حسنًا، إنه لا يثير اهتمامى. من يكون تشارلز كنت هذا على أى حال؟".

"إنه، يا آنسة، رجل كان موجودًا فى فيرنلى ليلة وقوع الجريمة".

"حقًا؟".

"ولكنه ـ لحسن حظه ـ يملك حجة غياب عن مسرح الجريمة وقت وقوعها؛ ففى العاشرة إلا الربع كان فى حانة تبعد ميلاً عن هذا المكان".

"هذا من حسن حظه".

"لكننا ما زلنا لا نعرف ماذا كان يفعل فى فيرنلى...ومَن الذى قابله هناك على سبيل المثال؟".

قالت المرأة بأدب: "أخشى ألا يكون باستطاعتى مساعدتك فى ذلك؛ فلم أسمع شيئًا. إن كان هذا هو كل ما لديك...".

أتت بحركة وكأنها تهم بالمغادرة، لكن بوارو أوقفها.

قال بهدوء: "هذا ليس كل ما لدى؛ فلقد حدثت هذا الصباح تطورات جديدة، ويبدو الآن أن السيد أكرويد لم يُقتل فى الساعة العاشرة إلا الربع ولكن قبل ذلك... بين

التاسعة إلا عشر دقائق ـ عندما غادر الدكتور شيبارد مكتبه ـ والعاشرة إلا الربع".

رأيت الحمرة تختفى من وجه المرأة لتتركه فى شحوب الموتى. انحنت إلى الأمام، وتمايل جسدها.

قالت: "لكن الآنسة فلورا... الآنسة فلورا قالت...".

"لقد اعترفت الآنسة أكرويد بأنها كانت تكذب؛ وأنها لم تدخل إلى المكتب فى تلك الليلة على الإطلاق".

"إذن...".

"إذن يبدو أن تشارلز كنت هو الرجل الذى نبحث عنه؛ حيث إنه جاء إلى فيرنلى ولا يستطيع أن يبرر سبب وجوده هناك...".

"يمكننى أن أخبرك بما كان يفعله هناك. إنه لم يمس شعرة من جسد السيد أكرويد... لم يقترب من المكتب أبداً، إنه لم يقتله، أقسم لك".

كانت تميل بجسدها إلى الأمام. انهارت أخيراً أعصابها الحديدية، وبدا الرعب واليأس على وجهها وهى تتوسل.

"سيد بوارو، سيد بوارو! صدقنى".

نهض بوارو وتقدم نحوها، ثم ربت على كتفها مطمئناً.

وقال: "نعم، نعم، سأصدقك. لقد اضطررت لدفعك إلى الكلام".

ظهر الشك فى قسماتها للحظة.

وقالت: "هل ما قلته صحيح؟".

"إن تشارلز كنت يشتبه فى ارتكابه الجريمة؟ نعم، هذا صحيح، وأنت وحدك تستطيعين إنقاذه بإخبارنا عن سبب وجوده فى فيرنلى".

تكلمت بصوت منخفض وسريع: "جاء لرؤيتى؛ ولهذا خرجت للقائه...".

"فى البيت الصيفى. نعم، أعرف هذا".

"وكيف عرفت؟".

"يا آنسة، إن معرفة الأشياء هى عمل هيركيول بوارو. أعرف أنك خرجت فى وقت سابق من تلك الليلة، وأنك تركت رسالة فى البيت الصيفى تحددين فيها الساعة التى ستذهبين فيها إلى هناك".

"نعم، فعلت. كنت قد علمت منه بأنه قادم، ولم أجرؤ على السماح له بالمجىء إلى البيت. لقد أرسلت بخطاب إلى العنوان الذى أعطانى إياه وقلت فيه إننى سأقابله فى

البيت الصيفى ووصفت له مكانه حتى يعثر عليه بسهولة، ثم خشيت ألا يصبر على انتظارى، فخرجت وتركت له ورقة هناك أخبره فيها بأننى سأكون هناك الساعة التاسعة وعشر دقائق تقريبًا. لم أرغب فى أن يرانى الخدم ولذلك تسللت عبر النافذة الزجاجية لغرفة الاستقبال، وعندما عدت التقيت بالدكتور شيبارد وظننت أنه سيرى الأمر غريبًا. كنت لاهثة الأنفاس لأننى كنت أجرى، ولم أكن أعرف أنه مدعو على العشاء فى تلك الليلة".

توقفت للحظة.

فقال بوارو: "أكملى، خرجت للقائه فى الساعة التاسعة وعشر دقائق. ماذا قال أحدكما للآخر؟".

"الأمر صعب، فكما ترى...".

قاطعها بوارو قائلاً: "لابد أن أعرف الحقيقة كلها فى هذه المسألة يا آنسة. إن ما تقولينه لنا لن يخرج من جدران هذه الغرفة أبدًا؛ فالدكتور شيبارد سيتكتم الأمر وكذلك أنا، وسوف أساعدك. إن تشارلز كنت هذا هو ابنك، أليس كذلك؟".

أومأت بالإيجاب، واحمرّ وجهها خجلاً.

"لم يعرف أحد بذلك أبدًا. كان ذلك منذ زمن بعيد... بعيد، فى مقاطعة كِنت. لم أكن متزوجة...".

"ولذلك فقد أخذت اسم المقاطعة وجعلته اسمًا له. لقد فهمت".

"حصلت على عمل وتمكنت من دفع تكاليف إقامته ومعيشته، ولم أخبره أبدًا بأننى أمه، لكنه تربى تربية سيئة فأصبح يشرب، ثم بدأ يتعاطى المخدرات، فتمكنت من دفع مصاريف سفره إلى كندا. لم أسمع عن أخباره شيئًا لمدة سنة أو سنتين، ثم علم، بطريقة أو بأخرى، أننى أمه فكتب يطلب منى نقودًا، وفى النهاية، جاءتنى رسالة منه...من إنجلترا. قال إنه قادم ليرانى فى فيرنلى، ولم أجرؤ على السماح له بالمجىء إلى البيت؛ فقد كان الناس يعتبروننى دومًا امرأة محترمة ــ محترمة للغاية، ولو علم أى شخص بالأمر فإن مستقبلى كمديرة منزل سيذهب أدراج الرياح، لذلك كتبت له بالطريقة التى قلتها لك".

"وفى الصباح جئتِ لاستشارة الدكتور شيبارد؟".

"نعم. تساءلت إن كان من الممكن مساعدته. لم يكن ولدًا سيئًا قبل أن يدمن المخدرات".

قال بوارو: "فهمت، والآن نريد أن نكمل القصة. هل جاء تلك الليلة إلى البيت الصيفى؟".

"نعم، كان ينتظرنى عندما وصلت إلى هناك. كان عنيفًا وقاسيًا. كنت قد أحضرت كل النقود التى أملكها وأعطيتها له وتحدثنا قليلاً ثم

رحل".

"متى كان ذلك؟".

"لابد أنه كان بين التاسعة والثلث والتاسعة وخمس وعشرين دقيقة؛ فعندما عدت إلى البيت لم تكن الساعة قد بلغت التاسعة والنصف".

"من أى طريق ذهب؟".

"خرج مباشرة من نفس الطريق الذى جاء منه، من الممر الذى يتفرع من عند البوابة".

أومأ بوارو برأسه.

"و أنتِ، ماذا فعلت؟".

"عدت إلى البيت. كان الميجور بلانت يتمشى على الشرفة ولذلك سلكت طريقًا آخر يؤدى إلى الباب الجانبى. كان ذلك فى الساعة التاسعة والنصف كما قلت لك".

أومأ بوارو ثانية وكتب بعض الملاحظات فى دفتره الصغير.

قال متأملاً: "أظن أن هذا يكفى".

ترددت وهى تقول: "هل يجب أن... هل يجب أن أقول هذا كله للمفتش راغلان؟".

"قد يصل الأمر إلى هذا الحد، ولكن دعينا لا نتعجل الأمور؛ دعينا نتقدم ببطء، بالنظام والمنهجية المطلوبة. إن تشارلز كنت لم يُتّهم رسميًا ـ حتى الآن ـ بارتكاب الجريمة، وقد تحدث ظروف تجعل من قصتك هذه غير ضرورية".

نهضت الآنسة راسل من جلستها.

توقفت للحظة.

فقال بوارو: "أكملى، خرجت للقائه فى الساعة التاسعة وعشر دقائق. ماذا قال أحدكما للآخر؟".

"الأمر صعب، فكما ترى...".

قاطعها بوارو قائلاً: "لابد أن أعرف الحقيقة كلها فى هذه المسألة يا آنسة. إن ما تقولينه لنا لن يخرج من جدران هذه الغرفة أبدًا؛ فالدكتور شيبارد سيتكتم الأمر وكذلك أنا، وسوف أساعدك. إن تشارلز كنت هذا هو ابنك، أليس كذلك؟".

أومأت بالإيجاب، واحمرّ وجهها خجلاً.

"لم يعرف أحد بذلك أبداً. كان ذلك منذ زمن بعيد... بعيد، فى مقاطعة كِنت. لم أكن متزوجة...".

"ولذلك فقد أخذت اسم المقاطعة وجعلته اسماً له. لقد فهمت".

"حصلت على عمل وتمكنت من دفع تكاليف إقامته ومعيشته، ولم أخبره أبداً بأننى أمه، لكنه تربى تربية سيئة فأصبح يشرب، ثم بدأ يتعاطى المخدرات، فتمكنت من دفع مصاريف سفره إلى كندا. لم أسمع عن أخباره شيئاً لمدة سنة أو سنتين، ثم علم، بطريقة أو بأخرى، أننى أمه فكتب يطلب منى نقوداً، وفى النهاية، جاءتنى رسالة منه...من إنجلترا. قال إنه قادم ليرانى فى فيرنلى، ولم أجرؤ على السماح له بالمجىء إلى البيت؛ فقد كان الناس يعتبروننى دوماً امرأة محترمة ــ محترمة للغاية، ولو علم أى شخص بالأمر فإن مستقبلى كمديرة منزل سيذهب أدراج الرياح، لذلك كتبت له بالطريقة التى قلتها لك".

"وفى الصباح جئتِ لاستشارة الدكتور شيبارد؟".

"نعم. تساءلت إن كان من الممكن مساعدته. لم يكن ولداً سيئاً قبل أن يدمن المخدرات".

قال بوارو: "فهمت، والآن نريد أن نكمل القصة. هل جاء تلك الليلة إلى البيت الصيفى؟".

"نعم، كان ينتظرنى عندما وصلت إلى هناك. كان عنيفاً وقاسياً. كنت قد أحضرت كل النقود التى أملكها وأعطيتها له وتحدثنا قليلاً ثم رحل".

"متى كان ذلك؟".

"لابد أنه كان بين التاسعة والثلث والتاسعة وخمس وعشرين دقيقة؛ فعندما عدت إلى البيت لم تكن الساعة قد بلغت التاسعة والنصف".

"من أى طريق ذهب؟".

"خرج مباشرة من نفس الطريق الذى جاء منه، من الممر الذى يتفرع من عند البوابة".

أومأ بوارو برأسه.

"و أنتِ، ماذا فعلت؟".

"عدت إلى البيت. كان الميجور بلانت يتمشى على الشرفة ولذلك سلكت طريقاً آخر يؤدى إلى الباب الجانبى. كان ذلك فى الساعة التاسعة والنصف كما قلت لك".

أومأ بوارو ثانية وكتب بعض الملاحظات فى دفتره الصغير.

قال متأملاً: "أظن أن هذا يكفى".

ترددت وهى تقول: "هل يجب أن... هل يجب أن أقول هذا كله للمفتش راغلان؟".

"قد يصل الأمر إلى هذا الحد، ولكن دعينا لا نتعجل الأمور؛ دعينا نتقدم ببطء، بالنظام والمنهجية المطلوبة. إن تشارلز كنت لم يُتّهم رسميًا ـ حتى الآن ـ بارتكاب الجريمة، وقد تحدث ظروف تجعل من قصتك هذه غير ضرورية".

نهضت الآنسة راسل من جلستها.

وقالت: "شكرًا لك كثيرًا يا سيد بوارو. لقد كنت لطيفًا جدًا، لطيفًا جدًا بالفعل. إنك...إنك تصدقنى، أليس كذلك؟ أنت تصدق أن تشارلز لا علاقة له بتلك الجريمة الشنعاء!".

"ما من شك فى أن الرجل الذى كان يتحدث مع السيد أكرويد فى المكتب فى الساعة التاسعة والنصف لا يمكن أن يكون ابنك. تشجعى يا سيدتى، سيكون كل شىء على ما يرام".

ذهبت الآنسة راسل، وبقيت أنا وبوارو وحدنا.

قلت له: "هكذا إذن، فى كل مرة نعود إلى رالف باتون. كيف استطعت أن تعرف أن الآنسة راسل هى الشخص الذى ذهب لمقابلة تشارلز كنت؟ هل لاحظت الشبه بينهما؟".

"لقد ربطتها مع الرجل المجهول قبل وقت طويل من لقائنا به وجهًا لوجه. منذ أن وجدنا تلك الريشة. كانت تدل على أن صاحبها مدمن، وتذكرت كلامك عن زيارة الآنسة راسل لك، ثم وجدت مقالاً عن الكوكايين فى صحيفة ذلك اليوم. بدا كل شىء واضحًا. كانت قد تلقت خطابًا من شخص ذلك الصباح، شخص مدمن للمخدرات، ثم قرأت المقال فى الصحيفة فجاءت لتسألك بعض الأسئلة المبدئية. لقد ذكرت الكوكايين لأن موضوع المقال كان عن الكوكايين، ولما رأتك مهتمًا كثيرًا أسرعت لتغير الموضوع إلى الحديث عن الروايات البوليسية والسموم التى لا يمكن اكتشافها. لقد شككت فى وجود ابن أو أخ أو قريب غير مرغوب فيه. آه، لابد أن أذهب الآن؛ لقد حان وقت الغداء".

قلت له: "ابقَ وتناول الغداء معنا".

هزّ بوارو رأسه رافضًا، ولمعت عيناه قليلاً.

"لن أكرر ذلك اليوم، لا أحب إجبار الآنسة كارولين على اتباع حمية الخضراوات ليومين متتاليين".

خطر لى أن هيركيول بوارو قلما تخفى عليه خافية!

الفصل الحادى والعشرون

الخبر يظهر فى الصحف

لم تفشل كارولين ـ بالطبع ـ فى رؤية الآنسة راسل وهى تدخل من باب العيادة. كنت قد توقعت ذلك، وكنت مستعداً بتكملة للقصة المزيفة الخاصة بركبة الآنسة راسل المصابة، ولكن كارولين لم تكن تتقمصها الرغبة فى الاستجواب كالعادة. كانت مقتنعة أنها ـ على عكسى تماماً ـ تعرف السبب الحقيقى لحضور الآنسة راسل.

قالت كارولين: "لقد كانت تسحب المعلومات منك يا جيمس، جاءت لتلتقط الأخبار بمنتهى الوقاحة، وأنا متيقنة من ذلك. لا داعى لأن تقاطعنى؛ فأنا متأكدة من أنك لا تدرك أنها كانت تفعل ذلك. إن الرجال بسطاء التفكير. إنها تعرف أنك موضع ثقة السيد بوارو، وكانت تريد أن تعرف الأخبار من خلالك. هل تعلم فيما أفكر يا جيمس؟".

"ما كنت لأحلم بذلك. إنك تفكرين بأشياء غير عادية".

"لن تفيدك السخرية بشىء. أنا أعتقد أن الآنسة راسل تعرف عن مقتل السيد أكرويد أكثر مما تستطيع أن تعترف به".

استرخت كارولين فى مقعدها فى زهوة المنتصر.

سألتها دون تفكير: "هل تعتقدين ذلك حقاً؟".

"أنت اليوم بليد جداً يا جيمس، وتفتقر إلى الحيوية. لابد أن حالة كبدك هى السبب".

تحولت محادثتنا بعد ذلك إلى مسائل شخصية بحتة.

كان الخبر الذى أعده بوارو قد ظهر فى صحيفتنا اليومية صباح اليوم التالى. لم أكن أعرف غرضه من وراء ذلك الخبر، لكن تأثيره على كارولين كان كبيراً.

بدأت تعليقها بالادعاء كذباً أنها قد قالت ذلك منذ البداية. رفعت حاجبى دهشة لكنى لم أجادلها، ولعل كارولين شعرت بوخز الضمير؛ فقد أكملت تقول:

"ربما لم أذكر ليفربول تحديداً، لكنى كنت أعرف أنه سيحاول الهروب إلى أمريكا. إن ذلك هو نفس ما فعله كريبون من قبل".

قلت مذكراً: "دون أن ينجح فى ذلك".

"ولد مسكين... إذن فقد أمسكوا به؟ إننى أرى من واجبك العمل على إنقاذه من حبل المشنقة يا جيمس".

"ما الذى تتوقعين منى فعله؟".

"أنت الطبيب، ألست كذلك؟ وقد عرفته منذ أن كان غلاماً صغيراً. يمكنك القول إنه غير مسئول عن أفعاله من الناحية العقلية، هذا أفضل حل. قرأت بالأمس أنهم سعداء جداً فى مركز إصلاح المختلين عقلياً فى برودمور. إنه أشبه بنادٍ من نوادى الطبقة الراقية".

لكن كلمات كارولين ذكرتنى بشىء.

فقلت بدافع الفضول: "لم أعرف أبداً أن لـ "بوارو "ابن أخ مختل عقلياً".

"حقاً؟ آه، لقد أخبرنى بكل شىء عنه. ولد مسكين! لقد أبقوه فى البيت حتى الآن لكن حالته تدهورت إلى حد يُخشى معه أن يضطروا إلى إرساله إلى إحدى الإصلاحيات".

قلت بغيظ: "أظن أنك الآن تعرفين كل ما يمكن معرفته عن عائلة بوارو".

أجابت برضا عن الذات: "نعم، إلى حد بعيد. إنها لراحة كبرى أن يشعر الناس بأن بوسعهم البوح بمتاعبهم لشخص ما".

قلت: "ربما، إذا ما سُمح لهم بالقيام بذلك من تلقاء أنفسهم، أما ارتياحهم لانتزاع الأسرار منهم بقوة فتلك مسألة أخرى".

نظرت إلىّ كارولين نظرة بريئة.

ثم قالت: "أنت منغلق على نفسك جداً يا جيمس، وتكره الكلام أو البوح بأى معلومة، وتعتقد أن الآخرين يجب أن يكونوا مثلك. إنى لأرجو ألا أكون قد انتزعت سراً من أحد، فمثلاً لو جاء السيد بوارو عصر اليوم ـ كما وعد ـ فلن أجرؤ على سؤاله عن ذلك الشخص الذى وصل إلى بيته فى وقت مبكر من صباح اليوم".

سألتها: "صباح اليوم؟".

"فى وقت مبكر جداً... قبل مجىء بائع الحليب. كنت أنظر من النافذة مصادفة... وكان مصراعا النافذة يرتطمان. كان هناك رجل يلف جسده بدثار وقد وصل فى سيارة. لم أستطع رؤية وجهه، لكنى سأخبرك عن فكرتى وسترى أننى على حق".

"وما فكرتك؟".

خفضت كارولين صوتها كمن يبوح بسر.

وقالت: "إنه خبير من وزارة الداخلية".

قلت مذهولاً: "خبير من وزارة الداخلية!".

"تذكر كلماتى يا جيمس، وستعرف أننى على حق. لقد جاءت الآنسة راسل فى ذلك الصباح سعياً وراء السموم الموجودة عندك، وربما سُمم طعام روجر أكرويد فى تلك الليلة".

ضحكت ضحكة عالية.

وصحت: "هراء! لقد طُعن فى رقبته، تعرفين هذا كما أعرفه".

قالت كارولين: "طُعن بعد موته يا جيمس، بهدف التضليل".

"لقد فحصت الجثة يا عزيزتى، وأعرف ما أتحدث عنه. ذلك الجرح لم يحدث بعد الوفاة بل كان سبباً لها. لا يمكننى أن أخطئ فى ذلك".

لم تعلق كارولين بأى شىء؛ مما ضايقنى كثيراً وجعلنى أكمل:

"هل لك أن تخبرينى، يا عزيزتى، إن كنت أحمل شهادة فى الطب أم لا؟".

"نعم، تحمل شهادة فى الطب يا جيمس، ولكن... أعنى أننى أعرف أن معك شهادة، لكنك لا تملك أى مخيلة على الإطلاق".

قلت بجفاء: "بعد أن وهبتك حصة مضاعفة من مخيلتى لم يبق لى منها أى شىء!".

استمتعت برؤية من اورات كارولين عصر ذلك اليوم عندما وصل بارو، فبدون أن تطرح سؤالاً مباشرة التفت على موضوع الزائر الغامض من كل الطرق التى يمكن تخيلها، ومن لمعان عينى بارو عرفت أنه أدرك مدفها، لكنه ظل على تكتمه الهادئ وصد كل محاولاتها بنجاح؛ حتى إنها ظلت حائرة لا تدرى كيف تستكمل هجومها.

وبعد أن استمتع بهذه اللعبة الصغيرة، نهض وطلب أن نتمشى قليلاً.

قال موضحاً: "أريد أن أنقص وزنى قليلاً. هلا أتيت معى يا دكتور؟ وربما تقدم لنا الآنسة كارولين بعض الشاى لاحقاً".

قالت كارولين: "بكل سرور. ألن... ألن يأتى ضيفك أيضاً؟".

قال بوارو: "أنت فى غاية اللطف. لا، إن صديقى يستريح فى البيت، وستتعرفين عليه قريباً".

قالت كارولين فى محاولة يائسة أخيرة: "إنه صديق قديم لك، كما أخبرونى".

همس بوارو: "أحقاً أخبروك؟ حسناً، لابد أن نخرج الآن".

قادتنا خطانا تجاه فيرنلى، وقد خمنت، مسبقًا، أن ذلك ما سيحدث. كنت قد بدأت أفهم أساليب بوارو؛ حيث إن كل التفاصيل الصغيرة التافهة لها فى الواقع صلة بالصورة الإجمالية للقضية.

قال بوارو أخيرًا: "عندى مهمة لك يا صديقى. أرغب فى عقد اجتماع صغير، الليلة فى بيتى. هل ستحضره؟".

قلت: "بالتأكيد".

"حسنًا، أريد هؤلاء أيضًا فى البيت: السيدة أكرويد، والآنسة فلورا، والميجور بلانت، والسيد ريموند. أريدك أن تكون سفيرى. الاجتماع الصغير سيكون الساعة التاسعة؛ هل لك أن تطلب منهم المجىء؟".

"بكل سرور، ولكن لماذا لا تطلب منهم ذلك بنفسك؟".

"لأنهم سيسألون عن غرضى من هذا الاجتماع، وكما تعرف يا صديقى، فإننى أكره أن أضطر لتوضيح أفكارى الصغيرة قبل أن يحين الوقت".

ابتسمت قليلاً.

فقال: "إن صديقى هاستينجز، الذى أخبرتك عنه، اعتاد أن يصف كتمانى بقوله إننى قوقعة بشرية، ولكنه لم يكن منصفًا؛ فأنا لا أحتفظ لنفسى بأية حقائق. الحقيقة معروفة ولكن لكل امرئ تفسيره الخاص لها".

"متى تريدنى أن أقوم بهذه المهمة؟".

"الآن لو سمحت؛ إننا قريبان من البيت".

"ألن تدخل معى؟".

"كلا، سأتمشى قليلاً فى الحديقة، وسألحق بك عند البوابة الخارجية بعد ربع ساعة".

أومأت برأسى وانطلقت إلى مهمتى، واتضح لى أن السيدة أكرويد هى الوحيدة من العائلة الموجودة فى البيت؛ حيث كانت جالسة ترتشف فنجانًا من الشاى. استقبلتنى بحرارة.

وتمتمت: "أنا شاكرة لك، يا دكتور؛ لتوضيحك تلك المسألة الصغيرة للسيد بوارو. ولكن الحياة سلسلة متلاحقة من المشكلات. هل سمعت عن أمر فلورا؟".

سألتها بحذر: "ما الموضوع بالضبط؟".

"هذه الخطوبة الجديدة... فلورا وهكتور بلانت. إنه بالطبع ليس مناسبًا لها، مثل رالف باتون، ولكن السعادة أهم من كل شىء فى نهاية الأمر. إن ما تحتاج إليه فلورا هو

رجل أكبر سنًا، شخص موثوق يُعتمد عليه، وهكتور رجل مميز من هذه الناحية. هل رأيت خبر اعتقال رالف فى صحيفة الصباح؟".

"نعم رأيته".

قـالت السـيدة أكروي ـد وقـد أغلقـت عينيـها مرتعـدة: "أمـر فظـيع! كـان جـيفرى ريمونـد فـى حالـة مخيفـة، وقـد اتصـل بلـيفربول، لكنـهم لـم يخبروه بشىء فى مركز الشرطة هناك، والواقع أنهم قالوا إنهم لم يعتقلوا رالف، ويصر السيد ريموند على أن الأمر كله خطأ أو ما يسمونه خبراً مختلقاً من الصحيفة. لقد منعت الجميع من ذكر الخبر على مسمع من الخدم؛ إنه عار فظيع. تخيل لو أن فلورا كانت زوجته فعلاً".

أغلقت السيدة أكرويد عينيها متألمة، وبدأت أتساءل متى أستطيع إبلاغها بدعوة بوارو.

وقبل أن تتاح لى الفرصة للكلام انطلقت السيدة أكرويد تتحدث من جديد.

"لقد كنت هنا بالأمس، أليس كذلك؟ مع ذلك المفتش الفظيع راغلان؟ إنه رجل قاسٍ... لقد أرعب فلورا وحملها على القول إنها أخذت النقود من غرفة المسكين روجر، والحق أن المسألة كانت بسيطة للغاية. لقد أرادت الطفلة المسكينة أن تقترض بضعة جنيهات، ولم تشأ إزعاج عمها لأنه أعطى أوامر صارمة بعدم دخول أحد عليه، ولكنها كانت تعلم أين كان يضع النقود فذهبت وأخذت ما كانت تحتاج إليه".

سألتها: "هل هذه قصة فلورا حول الموضوع؟".

"يا عزيزى الدكتور، أنت تعرف بنات اليوم، إنهنّ يتصرفن تحت تأثير الإيحاء. أنت تعرف التنويم المغناطيسى وبقية تلك الأمور. لقد صرخ المفتش فى وجهها وكرر على مسامعها كلمة "سرقة "مرة تلو أخرى حتى وقعت الفتاة المسكينة تحت تأثير تلك الكلمة بالإيحاء ـــ أم تراها حالة تنويم؟ إننى دائماً ما أخلط بين هاتين الكلمتين ـــ واعتقدت أنها سرقت النقود بالفعل، وقد عرفت أنا حقيقة الأمر على الفور، ولكننى ممتنة لحدوث سوء الفهم هذا لأنه جمع قلبى هذين الاثنين، أعنى هكتور وفلورا، وأؤكد لك أننى كنت قلقة جداً على فلورا فى الماضى: لماذا؛ لأننى خشيت ـ فى وقت من الأوقات ـ أن نوعاً ما من الحب سينشأ بينها وبين الشاب ريموند. تصور! "، ثم ارتفع صوت السيدة أكرويد فى ارتياع وهى تقول: "إنه مجرد سكرتير خاص، وليست له أية موارد مالية خاصة!".

قلت: "كان ذلك سيشكل ضربة قاصمة لك، والآن يا سيدة أكرويد، لدى رسالة لك من السيد هيركيول بوارو".

"لى أنا؟".

بدت السيدة أكرويد خائفة تمامًا.

فأسرعت لطمأنتها وشرحت لها ما أراده بوارو.

قالت بارتياب: "بالتأكيد، أظن أننا يجب أن نأتى إن كان السيد بوارو يريد ذلك، ولكن ما الأمر؟ أود أن أعرف مسبقًا".

أكدت للسيدة ـ صادقًا ـ أننى لا أعرف أكثر مما تعرفه هى.

وفى النهاية قالت فى تبرم: "حسنًا، سأخبر الآخرين وسنكون هناك فى الساعة التاسعة".

وعلى ذلك غادرت المنزل والتقيت بوارو فى المكان المتفق عليه.

قلت: "أخشى أننى تأخرت أكثر من ربع ساعة، ولكن عندما تبدأ تلك السيدة العجوز بالكلام يصبح من الصعب أن تسمح لك بكلمة واحدة".

قال بوارو: "لا يهم، كنت أستمتع برؤية هذه الحديقة الرائعة".

عدنا إلى البيت بسرعة، وحين وصلنا فوجئنا بأن كارولين هى التى فتحت لنا الباب بنفسها، وبدا واضحًا أنها كنت تنتظرنا بفارغ الصبر.

وضعت إصبعها أمام شفتيها وكان وجهها ينطق بالأهمية والانفعال.

قالت: "أورسولا بورن، خادمة الاستقبال فى فيرنلى. إنها هنا. لقد أخذتها إلى غرفة الطعام. إنها فى حالة يرثى لها، وتقول إن عليها أن ترى السيد بوارو لأمر مهم على الفور. لقد فعلت ما بوسعى وأخذت لها كوبًا من الشاى الساخن. إن رؤية فتاة فى مثل حالتها أمر يثير شفقة المرء فعلاً".

سألها بوارو: "فى غرفة الطعام؟".

قلت: "مِن هنا "، ثم فتحت الباب.

كانت أورسولا بورن جالسة قرب الطاولة وقد مدّت ذراعيها أمامها، وكان واضحًا أنها قد رفعت رأسها توًا بعد أن كانت تدفنه بين يديها، وكانت عيناها محمرتين من البكاء.

تمتمت قائلاً: "أورسولا بورن؟".

لكن بوارو تقدّمنى فاردًا يديه.

وقال: "لا؛ لا أظن أنها أورسولا بورن، أليس كذلك يا بنيتى؟ إنها أورسولا باتون... زوجة رالف باتون".

الفصل الثانى والعشرون

قصة أورسولا

للحظة أو اثنتين نظرت الفتاة إلى بوارو صامتة، ثم انهارت تمامًا، وأومأت برأسها مرة واحدة ثم أجشهت بالبكاء.

دفعتنى كارولين جانبًا وطوقت الفتاة بذراعها، وأخذت تربت على كتفها.

قالت مهدئة: "اهدئى يا عزيزتى، سيكون الأمر على ما يرام... كل شىء سيكون على ما يرام".

يوجد الكثير من الرقة فى كارولين ـ مدفونة تحت أكوام الفضول والسعى خلف الفضائح ـ لدرجة أن اكتشاف بوارو لحقيقة الفتاة قد فقد إثارته عند رؤيتها للفتاة فى حزنها.

رفعت أورسولا رأسها فى الحال ومسحت دموعها.

وقالت: "إنه موقف ضعيف وسخيف من جانبى".

قال بوارو بلطف: "لا، لا يا ابنتى. كلنا يدرك حجم التوتر الذى ساد فى هذا الأسبوع الأخير".

قلت: "لابد أنها كانت محنة قاسية".

أكملت أورسولا قائلة: "ثم تأتى أنت، يا سيد بوارو، لتقول إنك كنت تعلم بذلك. كيف عرفت؟ هل رالف هو الذى أخبرك؟".

هزّ بوارو رأسه نافيًا.

فأكملت الفتاة تقول: "أتعرف ما جاء بى إليك هذه الليلة؟ هذا...".

أخرجت قطعة مطوية من صحيفة فعرفت أنها الخبر الذى أرسله بوارو إلى الصحيفة.

"الخبر يقول إنهم اعتقلوا رالف. لا فائدة من أى شىء إذن، لا حاجة لى بالتظاهر بعد الآن".

تمتم بوارو وهو يحاول الظهور بمظهر من أحس بالذنب: "أخبار الصحف ليست

صحيحة دائمًا يا آنسة، ومع ذلك أعتقد أنك ستفعلين خيرًا بإزاحة الهموم عن صدرك. ما نحتاج إليه الآن هو الحقيقة".

ترددت الفتاة وهى تنظر إليه نظرات ارتياب.

فقال بوارو بلطف: "أنت لا تثقين بى، ومع هذا فقد جئت إلى هنا بحثًا عنى، أليس كذلك؟ لماذا؟".

قالت الفتاة بصوت منخفض جدًا: "لأننى لا أعتقد أن رالف هو القاتل، وأعتقد أنك ذكى وسوف تكتشف الحقيقة. كما أننى...".

"نعم؟".

"أرى أنك شخص طيب".

أومأ بوارو عدة مرات برأسه.

وقال: "هذا جيد، نعم، جيد للغاية. والآن أصغى إلى، إننى أعتقد اعتقادًا جازمًا أن زوجك برىء، لكن المسألة تسير من سيئ إلى أسوأ.

إذا كنت تريدين منى إنقاذه فيجب أن أعرف كل شىء، حتى وإن بدا أن ما تقولينه قد يزيد الشبهات حوله أكثر من ذى قبل".

قالت أورسولا: "إنك واسع الفهم!".

"إذن ستخبرينني بالقصة كلها، أليس كذلك؟ من البداية".

"آمل ألا تكونوا بصدد إخراجى". قالت كارولين هذا وهى تجلس فى كرسى مريح ثم أكملت: "إن ما أريد معرفته هو لماذا كانت هذه الفتاة تنتحل صفة الخادمة؟".

سألتها: "تنتحل؟".

"نعم، هذا ما قلته. لماذا فعلت هذا يا ابنتى؟ أكان ذلك نوعًا من التحدى؟".

قالت أورسولا بجفاء: "بل من أجل لقمة العيش".

ثم تشجعت وبدأت تروى قصتها التى سأقصها الآن بكلماتى.

يبدو أن أورسولا ولدت فى عائلة مكونة من سبعة أفراد ـ عائلة أيرلندية فقيرة ومحترمة، وبعد وفاة الأب خرجت معظم بناته سعيًا لكسب العيش، وقد تزوجت كبراهن الكابتن فوليوت، وكانت هى التى رأيتها فى ذاك الأحد، وقد فهمت الآن سبب ارتباكها وحرجها فى ذلك الوقت، وقد عزمت أورسولا على كسب رزقها بنفسها، ولم تجذبها فكرة العمل كجليسة أطفال ـ وهى المهنة الوحيدة المتوفرة لفتاة ليست لها خبرة سابقة ـ وفضلت العمل كخادمة استقبال، وقد زودتها أختها برسائل التزكية اللازمة، وفى فيرنلى كانت أورسولا ـ رغم انطوائها الذى أثار حولها بعض الملاحظات ـ ناجحة

فى عملها، وقد تميزت بالدقة والسرعة.

وقد علقت على عملها بقولها: "لقد استمتعت بالعمل، وكان عندى الكثير من الوقت أتفرغ فيه لنفسى".

ثم جاء لقاؤها برالف باتون وعلاقة الحب التى انتهت بزواج سرى، وقد أقنعها رالف بالزواج سراً رغم معارضتها لذلك. كان قد قال لها إن زوج أمه لن يرضى أبداً بزواجه بفتاة فقيرة، وقال إنه من الأفضل لهما الزواج سراً ثم إخباره بالأمر فيما بعد عندما تتهيأ ظروف أفضل.

وهكذا تم الزواج وأصبحت أورسولا بورن هى السيدة أورسولا باتون. وأعلن رالف أنه يعتزم تسديد ديونه والعثور على عمل، وبعدها ـ عندما يصبح فى موقف يستطيع معه إعالتها دون الاعتماد على زوج أمه ـ يمكن لهما أن يبلّغاه بالأمر.

ولكن فتح صفحة جديدة بالنسبة لرجال مثل رالف باتون أسهل قولاً منه عملاً. كان يأمل أن يقنع زوج أمه ـ دون أن يدرى بزواجه ـ بأن يدفع ديونه ويوقفه على قدميه ثانية. لكن الكشف عن مبلغ الديون المتراكمة على رالف أثار غضب روجر أكرويد بحيث رفض أن يدفع له أى شىء، ومرت بضعة شهور وعاد رالف إلى فيرنلى مرة أخرى، فأطلعه روجر أكرويد على رغبته دون تمهيد. كان يرغب من كل قلبه فى أن يتزوج رالف بفلورا، وقد صارح الشاب بهذا الأمر.

وهنا ظهر الضعف المتأصل فى رالف باتون، فكما هى عادته كان يتمسك بالحل السهل والفورى، وحسبما أمكننى استنتاجه فلم يظهر رالف أو فلورا أى ادعاء بالحب تجاه بعضهما البعض. كان الأمر أشبه بصفقة تجارية بالنسبة لكلا الطرفين؛ أملى روجر أكرويد عليهما أمنياته فوافقا عليها. قبلت فلورا فرصة التحرر والمال والأفق الواسع، أما رالف فكان يلعب لعبة مختلفة بالطبع؛ ولأنه كان فى ضائقة مالية شديدة، فتشبث بالفرصة التى سنحت له؛ حيث سيتم دفع ديونه ويمكنه أن يبدأ صفحة نظيفة من جديد. لم يكن من طبيعته تخيل المستقبل، ولكنى أظن أنه رأى كيف أن خطوبته مع فلورا سيتم فسخها بعد انقضاء فترة قصيرة من الزمن. وقد اتفق مع فلورا على إبقاء خطوبتهما سراً فى الوقت الحالى، وكان حريصاً على إخفاء هذا الأمر عن أورسولا؛ فقد أحس فى داخله بأن طبيعتها وشخصيتها القوية الحازمة وكراهيتها الموروثة للنفاق لن ترحب بهذا الأسلوب.

ثم جاءت اللحظة الحرجة عندما قرر روجر أكرويد، وهو المهيمن دائماً، إعلان الخطوبة. لم يخبر رالف بأى شىء عن نيته، وإنما أخبر فلورا فقط، ولم تعارض فلورا لطبيعتها اللامبالية، وقد هبط الخبر على أورسولا كالصاعقة، فاستدعت رالف، الذى جاء مسرعاً من المدينة، والتقيا فى الغابة حيث سمعت كارولين طرفاً من الحديث الذى دار بينهما. ناشدها رالف البقاء صامتة لفترة قصيرة، لكن أورسولا عزمت، بالمقابل، على إنهاء تلك السرية وقالت إنها ستخبر السيد أكرويد بالحقيقة دون أى تأخير، وافترق

الشاب وزوجته على خلاف.

أصرّت أورسولا على هدفها وطلبت مقابلة روجر أكرويد عصر ذلك اليوم وكشفت له الحقيقة، وكان لقاؤهما عاصفاً، وكان من المتوقع أن يكون اللقاء أكثر توتراً لولا أن روجر أكرويد كان شديد الانشغال بمتاعبه الخاصة. ومع ذلك كان اللقاء سيئاً. لم يكن أكرويد من النوع الذى يغفر ما تعرض له من خداع، وتركز سخطه على رالف، لكن أورسولا نالت هى الأخرى نصيبها لأنه اعتبرها فتاة حاولت متعمدة "الإيقاع "بابن زوجته طمعاً فيما سيرثه من مال، وقد تبادل الاثنان كلاماً لا يمكن غفرانه.

فى ذلك المساء التقت أورسولا برالف وفق موعد بينهما فى البيت الصيفى الصغير؛ حيث تسللت خارج البيت من الباب الجانبى، وقد كان اللقاء بينهما مجرد تبادل لكلمات التوبيخ واللوم. اتهم رالف أورسولا بتحطيم آماله تحطيماً لا يمكن إصلاحه لأنها كشفت زواجهما فى وقت غير مناسب، وقد وبخت أورسولا رالف على نفاقه.

وفى النهاية افترقا، وبعد ذلك بنصف ساعة تقريباً جاء أمر اكتشاف جثة روجر أكرويد، ومنذ تلك الليلة لم ترَ أورسولا رالف ولم تسمع عنه شيئاً.

ومع تكشف القصة أدركت أكثر فأكثر سلسلة الحقائق البشعة التى انطوت عليها؛ إذ لو أن أكرويد بقى حياً لقام بتبديل وصيته دون شك.

إننى أعرفه معرفة أستطيع معها أن أجزم بأن ذلك كان أول ما سيخطر بباله، ولكن وفاته جاءت فى الوقت المناسب تماماً بالنسبة لرالف وأورسولا. لا عجب أن الفتاة اضطرت أن تمسك لسانها وتقوم بدورها بكل ثبات وإصرار.

قطع بوارو بصوته حبل أفكارى، وعرفت من جدية ووقار نبرته أنه، أيضاً، كان يدرك مضمون الموقف تماماً.

خاطبها قائلاً: "يا آنسة، لابد لى من سؤالك سؤالاً واحداً، ويجب أن تجيبينى بصدق لأن كل شىء قد يرتبط بهذه الإجابة: متى تركت رالف فى البيت الصيفى؟ فكرى بعض الوقت حتى تكون إجابتك دقيقة تماماً".

ضحكت الفتاة نصف ضحكة ممتلئة بالمرارة.

وقالت: "هل تظن أننى لم أفكر فى هذا الأمر مرة بعد أخرى؟ كانت الساعة التاسعة والنصف تماماً عندما خرجت لمقابلته، وكان الميجور بلانت يمشى على الشرفة فاضطررت للذهاب من طريق ملتوٍ بين الأشجار حتى لا يرانى، ولا شك أننى وصلت البيت الصيفى فى حوالى التاسعة وثلاث وثلاثين دقيقة. كان رالف فى انتظارى، وبقيت معه عشر دقائق لا أكثر؛ لأن الساعة كانت العاشرة إلا الربع عندما عدت إلى المنزل".

أدركت الآن سبب إصرارها على ذلك السؤال الذى طرحته علىّ بالأمس؛ كانت

تتمنى أن يثبت أن روجر أكرويد قد قُتل قبل العاشرة إلا الربع وليس بعد ذلك.

رأيت تأثير تلك الفكرة فى سؤال بوارو التالى.

"مَن الذى غادر البيت الصيفى أولاً؟".

"أنا".

"وتركت رالف فى البيت الصيفى؟".

"نعم، ولكننى لا أحسبك ترى...".

"يا آنستى، إن ما أراه ليس مهماً. ماذا فعلت عندما عدت إلى البيت؟".

"عدت إلى غرفتى".

"إلى متى بقيت فيها؟".

"حتى العاشرة تقريباً".

"هل يوجد من يمكنه إثبات ذلك؟".

"إثبات؟ تقصد أن يثبت أننى كنت فى غرفتى؟ كلا، ولكن... ليس معقولاً. آه، فهمت! قد يظنون... قد يظنون أننى...".

رأيت الرعب فى عينيها.

وأكمل بوارو الجملة بدلاً عنها.

"إنك أنت التى دخلت من النافذة وطعنت السيد أكرويد وهو جالس على كرسيه؟ نعم؛ قد يظنون ذلك".

قالت كارولين ساخطة: "لن يرى مثل هذا الرأى إلا أحمق مغفل".

ثم ربتت على كتف أورسولا.

كانت الفتاة تخفى وجهها بين يديها.

وتتمتم قائلة: "هذا فظيع... فظيع!".

هزتها كارولين برفق.

وقالت: "لا تقلقى يا عزيزتى؛ فالسيد بوارو لا يرى ذلك حقيقة. أما بالنسبة لزوجك فلقد سقط من نظرى، أقول لك هذا بكل صراحة. لقد فرّ وتركك تواجهين هذه المحنة وحيدة".

لكن أورسولا هزت رأسها بقوة.

وصاحت: "لا؛ لم يكن الأمر هكذا أبدًا. ما كان رالف ليهرب حفاظًا على نفسه... لقد فهمت الآن. حين سمع عن مقتل زوج أمه فربما ظن، هو الآخر، بأننى أنا التى قتلته".

قالت كارولين: "ما كان ليظن شيئًا مثل هذا".

"لقد كنت قاسية معه كثيرًا تلك الليلة... قاسية ولاذعة. لم أستمع لما كان يحاول قوله... لم أكن أصدق أنه كان مهتمًا حقًا. وقفت هناك أقول له رأيى فيه بصراحة وأتهمه بأقسى وأشنع الصفات التى تبادرت إلى ذهنى، وكنت أحاول باستماتة جرح مشاعره".

قالت كارولين: "لن يؤذيه ذلك. لا تقلقى على ما تقولينه لرجل أبدًا؛ إنهم مغرورون جدًا إلى حد لا يصدقون معه أنك تقصدين حقًا ما تقولينه، ما لم يكن إطراء".

أكملت أورسولا كلامها بعصبية وهى تفرك يديها وتقول:

"عندما اكتشفوا الجريمة ولم يأت أحسست بانزعاج شديد. تساءلت ـ للحظة فقط ـ إن كان... لكنى عرفت حينها أنه لا يستطيع؛ لا يمكنه ذلك. لكنى تمنيت لو يأتى ويعلن أنه لا علاقة له بالأمر. كنت أعرف أنه كان يحب الدكتور شيبارد كثيرًا، وظننت أن الدكتور شيبارد ربما كان يعرف المكان الذى كان يختبىء فيه".

ثم التفتت إلىّ.

وقالت: "هذا هو السبب الذى جعلنى أقول ما قلته لك ذلك اليوم. رأيت أنك، إن كنت تعرف مكانه، فربما أوصلت إليه الرسالة".

صحت: "أنا؟".

سألتها كارولين بحدة: "ولماذا يعرف جيمس مكانه؟".

تمتمت أورسولا: "أعرف أن ذلك لم يكن مرجحًا، ولكن رالف كان يتكلم عن الدكتور شيبارد كثيرًا وكنت أعرف أنه ربما اعتبره أفضل صديق له فى القرية".

قلت: "يا بنيتى، ليست لدى أدنى فكرة عن مكان رالف فى الوقت الحالى".

قال بوارو: "هذا صحيح تمامًا".

أخرجت أورسولا قصاصة الصحيفة بأصابع مرتبكة وقالت: "ولكن...".

قال بوارو بشىء من الحرج: "آه! هذه مجرد إشاعة يا آنسة، لا أصدق أنهم اعتقلوا رالف باتون أبدًا".

قالت الفتاة ببطء: "ولكن...".

لكن بوارو أكمل بسرعة:

"أريد أن أسألك عن أمر. هل كان الكابتن باتون يلبس حذاء عادياً أم حذاء ذا رقبة فى تلك الليلة؟".

هزت أورسولا رأسها نفياً.

"لا أستطيع أن أتذكر".

"أمر مؤسف! ولكن كيف يمكن أن تتذكرى؟ والآن يا سيدتى... "، وابتسم فى وجهها، وأمال رأسه جانباً وقال وهو يحرك سبابته: "لقد انتهت الأسئلة. لا تعذبى نفسك. تشجعى وضعى ثقتك فى هيركيول بوارو".

الفصل الثالث والعشرون

اجتماع بوارو الصغير

قالت كارولين وهى تنهض: "والآن ستصعد هذه الفتاة معى لتستريح قليلاً. لا تقلقى يا عزيزتى؛ فالسيد بوارو سيفعل كل ما بوسعه من أجلك. تأكدى من هذا".

قالت أورسولا بتردد: "يجب أن أعود إلى فيرنلى".

لكن كارولين أسكتتها وهى تلوح بيدها بقوة.

"هراء، أنت الآن فى عهدتى، وستمكثين هنا فى الوقت الحالى، أليس كذلك يا سيد بوارو؟".

وافق البلجيكى الضئيل قائلاً: "إنها أفضل خطة. أريد هذه الآنسة ـ عفواً، أقصد هذه السيدة ـ هنا الليلة؛ لكى تحضر اجتماعى الصغير.

الساعة التاسعة فى بيتى. من الضرورى جداً حضورها هناك".

أومأت كارولين وخرجت مع أورسولا من الغرفة، وأغلقتا الباب وراءهما فألقى بوارو بنفسه على الكرسى من جديد.

ثم قال: "حتى الآن الوضع جيد؛ الأمور ترتب نفسها وتتضح".

قلت عابساً: "بل هى تزداد سوءاً ضد رالف باتون".

أومأ بوارو وقال: "نعم، هى كذلك، ولكنه أمر متوقع، أليس كذلك؟".

نظرت إليه متحيراً قليلاً من ملاحظته هذه. كان يستند بظهره إلى الكرسى وعيناه نصف مغمضتين وأطراف أصابعه تكاد تلامس بعضها، وفجأة تنهد وهزّ رأسه.

سألته: "ما الأمر؟".

"تمر بى لحظات ينتابنى فيها شوق عارم لصديقى هاستينجز. إنه الصديق الذى حدثتك عنه، الذى يعيش الآن فى الأرجنتين. كان دائماً ما يقف بجانبى عندما أواجه قضية كبيرة، وقد ساعدنى، نعم، ساعدنى كثيراً؛ فقد كان يملك موهبة خاصة فى العثور على الحقيقة صدفة من دون أن يدرى أو يلحظها بنفسه. أتفهمنى؟ أحياناً كان يقول أشياء شديدة الغباء، ولكن هذا أيضاً كان يكشف لى الحقيقة! ثم إنه كان من

عادته، أيضًا، تسجيل وقائع القضايا التى تثير الاهتمام".

سعلت سعلة فيها قليل من الحرج.

وقلت: "فيما يتعلق بذلك... "، ثم سكتّ.

اعتدل بوارو فى جلسته وعيناه تتألقان.

وقال: "نعم؟ ما الذى كنت تريد قوله؟".

"الواقع أننى قرأت بعضًا من القضايا التى كتبها الكابتن هاستينجز وفكرت لماذا لا أحاول الكتابة مثله. لقد بدا لى أن من المؤسف ألا أكتب عن هذا الأمر؛ فهى فرصة نادرة، وربما المرة الوحيدة التى سأعيش فيها شيئًا كهذا".

وجدت نفسى أتحمس أكثر فأكثر وأرتبك أكثر فأكثر وكنت أتخبط وأنا أقول تلك الكلمات.

قفز بوارو عن مقعده، فداهمتنى لحظة من الرعب من احتمال قيامه بعناقى على الطريقة الفرنسية، لكنه أحجم عن ذلك رحمة بى.

قال: "هذا رائع. إذن فقد كتبت انطباعاتك عن القضية كما عايشتها؟".

أومأت بالإيجاب.

فصاح بوارو: "مدهش! دعنى أرها... الآن".

لم أكن مستعداً لهذا الطلب المفاجئ. قلبت الأمر فى رأسى، محاولاً تذكر تفاصيل معينة.

ثم قلت متلعثمًا: "أرجو ألا تمانع؛ فربما كتبت بعض الانطباعات الشخصية هنا أو هناك".

"آه! إننى أتفهم تمامًا. ربما وصفتنى بالشخص الكوميدى أو السخيف فى بعض المواقف، أليس كذلك؟ هذا لا يهمنى أبدًا، فهاستينجز نفسه لم يكن مهذبًا دائمًا. إن تفكيرى يعلو على مثل هذه التوافه".

ذهبت إلى أدراج مكتبى ـ ولم تزل لدى بعض الشكوك ـ ونبشت فيها، ثم أخرجت كومة من الأوراق غير المرتبة وأعطيتها له، وقد قسمت المذكرات إلى فصول مختلفة على أمل نشرها فى المستقبل، وكنت فى الليلة السابقة قد أضفت إليها سرداً لوقائع زيارة الآنسة راسل، ولذلك كان بوارو يحمل فى يده عشرين فصلاً.

تركته يقرؤها.

واضطررت للخروج لزيارة مريض يقطن بعيداً بعض الشىء، وعندما عدت بعد الساعة الثامنة استقبلنى طبق حار من الطعام، وقيل لى إن بوارو وكارولين تناولا

العشاء معًا فى السابعة والنصف وإن بوارو قد ذهب إلى ورشتى لإنهاء قراءة ما كتبته.

قالت كارولين: "أرجو أنك كنت حذرًا فيما قلته عنى فى قصتك".

سقط فكى فزعًا؛ فلم أكن حذرًا على الإطلاق.

قالت كارولين وقد قرأت ملامح وجهى بدقة: "هذا لا يهم كثيرًا؛ فالسيد بوارو سيدرك الحقيقة، إنه يفهمنى أكثر مما تفهمنى أنت".

ذهبت إلى الورشة، وكان بوارو جالسًا قرب النافذة وأوراق القصة مكومة بترتيب على كرسى بجانبه. وضع يده عليها وبدأ يتحدث.

"هذا جيد. أهنئك... على تواضعك!".

قلت متفاجئًا: "هاه!".

أضاف بوارو: "وعلى تحفظك".

قلت مرة أخرى: "هاه!".

أكمل صديقى يقول: "لم يكن هاستينجز يكتب هكذا. كان يكرر كلمة أنا عدة مرات فى كل صفحة: ماذا يعتقد، وماذا يفعل... لكنك

أبقيت شخصيتك بعيدة فى الظل ولم تظهرها إلا مرة أو مرتين فى مشاهد الحياة المنزلية، أليس كذلك؟".

احمر وجهى قليلاً عندما غمز بعينه.

وسألته بتوتر: "ما رأيك فيما كتبته حقًا؟".

"هل تريد رأيى الصريح؟".

"نعم".

نحّى بوارو أسلوبه الساخر جانبًا.

وقال بلطف: "إنه سرد دقيق وتفصيلى؛ لقد سجلت الوقائع كلها بصدق وأمانة، رغم أنك أظهرت نفسك كشخص متحفظ متكتم على دورك فى الأحداث".

"وهل ساعدك هذا السرد؟".

"نعم، يمكننى القول إنه ساعدنى كثيرًا. هيا، يجب أن نذهب إلى بيتى ونهيئ المسرح لمسرحيتى الصغيرة".

كانت كارولين فى الصالة، وأظن أنها كانت تأمل أن تُدعى لمصاحبتنا إلى الاجتماع، وقد تعامل بوارو مع الموقف بلباقة.

قال متألمًا: "كنت أود كثيراً حضورك يا آنسة، ولكن هذا لن يكون عملاً حكيمًا فى هذه المرحلة؛ فكما ترين: كل الحاضرين فى هذه الليلة مشتبه بهم وسوف أجد من بينهم الشخص الذى قتل السيد أكرويد".

قلت غير مصدق: "أتعتقد ذلك حقًا؟".

قال بوارو بجفاء: "أرى أنك لا تصدق. ما زلت لا تقدر قيمة هيركيول بوارو الحقيقية".

فى تلك اللحظة نزلت أورسولا من الطابق العلوى.

قال بوارو: "هل أنت جاهزة يا بنيتى؟ جيد، سنذهب إلى بيتى معًا. صدقينى، يا آنسة كارولين، إننى على استعداد لأن أفعل أى شىء لخدمتك. طاب مساؤك".

انطلقنا إلى الخارج تاركين كارولين واقفة عند الباب وهى تحدق إلينا ككلب رفض صاحبه اصطحابه بنزهة خارج البيت.

كانت غرفة الجلوس فى بيت بوارو قد هُيِّئت؛ فقد وُضعت الفناجين والكئوس المختلفة على الطاولة، كما تم إحضار كراسى من الغرفة الأخرى.

ظلّ بوارو يروح ويجىء معيداً ترتيب بعض قطع الأثاث؛ يسحب كرسيًا هنا ويغير مصباحًا هناك، وينحنى من وقت لآخر لتعديل قطع السجاد الصغيرة على الأرض، وقد كان حريصًا أشد الحرص على مسألة الإضاءة؛ فتم ترتيب المصابيح بطريقة تركز الضوء على ذلك الجانب من الغرفة الذى تصطف فيه الكراسى، وفى نفس الوقت ترك الجانب الآخر من الغرفة ضعيف الإضاءة حيث افترضت أن بوارو نفسه سيجلس هناك فى الضوء الخافت.

راقبناه أنا وأورسولا، وسرعان ما قرع جرس البيت.

فقال بوارو: "لقد وصلوا. حسنًا. كل شىء جاهز".

فتح الباب ودخل القادمون من فيرنلى، وتقدم بوارو فرحّب بالسيدة أكرويد وفلورا.

"جميل منكما أن تأتيا، والميجور بلانت والسيد ريموند أيضًا".

كان السكرتير مرحًا كعادته.

قال ضاحكًا: "ما الهدف من كل هذا؟ اختراع جديد؟ هل ستضع حول معاصمنا أشرطة تسجل ضربات قلب الشخص الذى يشعر بالذنب؟

يوجد اختراع من هذا القبيل، أليس كذلك؟".

قال بوارو: "بلى، لقد قرأت عنه، لكنى من طراز قديم؛ فأنا أستخدم الأساليب

القديمة وأعمل بالخلايا الرمادية الصغيرة فقط، والآن دعونا نبدأ... ولكنّ هناك خبراً أود إبلاغكم جميعاً به أولاً".

أمسك يد أورسولا وسحبها إلى الأمام.

"هذه السيدة هى زوجة رالف باتون؛ فقد تزوجا فى مارس الماضى".

انطلقت شهقة صغيرة من السيدة أكرويد وقالت:

"رالف! متزوج؟ مارس الماضى! آه، هذا سخيف. كيف يحصل هذا؟".

ثم حدقت إلى أورسولا وكأنها لم ترها من قبل.

"متزوج بأورسولا. حقًا يا بوارو! إننى لا أصدقك".

احمرّ وجه أورسولا وأرادت أن تتكلم، لكن فلورا سبقتها.

حيث ذهبت إلى جانب الفتاة بسرعة وأدخلت يدها تحت ذراعها.

وقالت: "لا تهتمى لدهشتنا؛ فنحن لم نكن نعرف عن هذا الأمر شيئًا. لقد أبقيتما، أنت ورالف، سركما جيداً. إننى سعيدة جداً بهذا".

قالت أورسولا بصوت منخفض: "أنت طيبةٍ يا آنسة فلورا، كما أن لك كل الحق فى أن تغضبى. لقد تصرف رالف بشكل سيئ جداً...

وخاصة معكِ".

قالت فلورا وهى تربت على ذراعها مواسية: "لا داعى لأن تقلقى من هذا؛ لقد حوصر رالف فى زاوية ولم يكن أمامه إلا طريق واحد للخروج. لو كنت مكانه لفعلت نفس الشىء، ولكنى أظن أنه كان بوسعه أن يأتمنى على سره، فما كنت لأخذله".

نقر بوارو على الطاولة نقراً خفيفًا وتنحنح فى إشارة ذات مغزى.

فقالت فلورا: "سوف يبدأ الاجتماع، السيد بوارو يلمّح إلى أننا يجب أن نصمت، ولكن أخبرينى بشىء واحد فقط؛ أين رالف؟ إن كان لأحد أن يعرف مكانه فهو أنت".

صاحت أورسولا وهى تكاد تنتحب: "ولكنى لا أعرف. هذه هى المشكلة، لا أعرف".

سأل ريموند: "إنه محتجز فى ليفربول، أليس كذلك؟ هكذا قيل فى الصحيفة".

قال بوارو باقتضاب: "إنه ليس فى ليفربول".

قلت: "الواقع أن أحداً لا يعرف مكانه".

قال ريموند: "إلا هيركيول بوارو، أليس كذلك؟".

ردّ بوارو على مزاحه بجد وقال:

"أنا أعرف كل شيء، تذكر هذا".

رفع ريموند حاجبيه دهشة.

ثم قال وهو يصفر: "كل شيء؟ مرحى! هذا ادعاء خطير".

سألته غير مصدق: "هل تعنى أنك تستطيع تخمين مكان اختباء رالف باتون حقًا؟".

قال: "أنت تسميه تخمينًا،أمّا أنا فأسميه معرفة يا صديقى".

قلت مخمنًا: "فى كرانشستر؟".

ردّ بوارو بهدوء: "لا، ليس فى كرانشستر".

لم يزد على ذلك، لكن المجتمعين أخذوا أماكنهم بإشارة منه، وبينما هم كذلك فُتح الباب مرة أخرى ودخل اثنان وجلسا قرب الباب، كانا باركر ومديرة المنزل.

قال بوارو: "العدد مكتمل؛ الجميع هنا".

كانت علامة الرضا واضحة فى نبرته، ولذلك رأيت شيئًا أشبه بالتململ والقلق يظهر على الوجوه المجتمعة فى الطرف الآخر من الغرفة.

كان الأمر كله يوحى بشيء أشبه بالفخ... فخ أغلق على الفريسة.

قرأ بوارو من قائمة كانت معه بلهجة توحى بالأهمية.

"السيدة أكرويد، والآنسة فلورا، والميجور بلانت، والسيد ريموند، والسيدة أورسولا باتون، والسيد جون باركر، والآنسة إليزابيث راسل".

ثم وضع الورقة على الطاولة.

فبدأ ريموند الكلام قائلاً: "ماذا يعنى كل هذا؟".

قال بوارو: "القائمة التى قرأتها الآن هى قائمة بالأشخاص المشتبه فيهم. كل واحد منكم، معشر الحضور، كانت لديه الفرصة لقتل السيد أكرويد".

قفزت السيدة أكرويد من مقعدها وهى تصرخ فى ذعر.

"أنا لا أحب هذا... لا أحب هذا، أفضّل العودة إلى البيت".

32 دقيقة متبقية من «من الذى قتل السيد روجر أكرويد»

قال بوارو متجهمًا: "لا يمكنك الذهاب إلى البيت يا سيدتى حتى تسمعى ما أريد قوله".

سكت للحظة، ثم تنحنح.

"سأبدأ من البداية؛ عندما طلبت منى الآنسة أكرويد التحقيق بالقضية. ذهبت إلى

فيرنلى مع الدكتور شيبارد الطيب، ومشيت معه على الشرفة؛ حيث شاهدت آثار أقدام على عتبة النافذة، ومن هناك أخذنى المفتش راغلان إلى الممر الذى يؤدى إلى الممشى الموصل إلى البوابة. وقد استرعى انتباهى ذلك البيت الصيفى، فذهبت إليه وفتشته تفتيشاً جيداً، وفيه وجدت شيئين... قطعة قماش منشّاة وريشة مفرّغة من نوع خاص، وقد أوحت لى قطعة القماش فوراً بأنها من مريلة إحدى الخادمات، وعندما أطلعنى المفتش راغلان على قائمته التى أعدها عن أهل البيت لاحظت، على الفور، أن إحدى الخادمات ـ أورسولا بورن، خادمة الاستقبال ـ لم يكن لها دليل مؤكد يثبت مكان وجودها وقت الجريمة، ووفقاً لروايتها فقد كانت فى غرفتها من التاسعة والنصف حتى العاشرة، ولكن لنفترض أنها كانت فى البيت الصيفى خلال هذه الفترة وليس فى غرفتها. إن صح هذا فلابد أنها ذهبت إلى هناك لملاقاة شخص ما. نحن نعرف ـ من الدكتور شيبارد ـ أن رجلاً قد دخل البيت من الخارج فى تلك الليلة؛ ذلك الغريب الذى صادفه عند بوابة البيت، ومن الوهلة الأولى كانت مشكلتنا تبدو محلولة. لقد ذهب هذا الغريب إلى البيت الصيفى لمقابلة أورسولا. كان مؤكداً، تقريباً، أنه ذهب بالفعل إلى البيت الصيفى بسبب ريشة الإوزة هذه، وقد ألمح هذا، على الفور، إلى أنه يتعاطى المخدرات ـ وأنه اكتسب عادة أمريكية ـ حيث إن استنشاق السموم البيضاء أكثر شيوعاً هناك بهذه الطريقة. والرجل الذى قابله الدكتور شيبارد كانت لهجته أمريكية وهو ما يناسب هذا الافتراض.

لكنى وقفت عند نقطة واحدة؛ فالأوقات لم تكن مرتبة بتناسق؛ إذ لا يمكن، بالتأكيد، أن تكون أورسولا بورن قد ذهبت إلى البيت الصيفى قبل التاسعة والنصف، بينما دخل الرجل الغريب إلى هناك بعد التاسعة ببضع دقائق. كنت أستطيع، طبعاً، الافتراض بأنه انتظر هناك لمدة نصف ساعة، وكان البديل الوحيد لهذا الافتراض هو حدوث لقاءين منفصلين فى البيت الصيفى تلك الليلة... وعندما فكرت فى هذا البديل وجدت عدة حقائق مهمة. اكتشفت أن الآنسة راسل، مديرة المنزل، قد زارت الدكتور شيبارد ذلك الصباح وأظهرت اهتماماً كبيراً بأمر علاج ضحايا المخدرات، وبربط ذلك مع الريشة التى عثرت عليها فى البيت الصيفى افترضت أن الرجل موضوع الحديث جاء إلى فيرنلى لمقابلة مديرة المنزل وليس أورسولا بورن. من يكون ذلك الذى خرجت أورسولا للقائه إذن؟ لم تدم شكوكى طويلاً. ففى بداية الأمر وجدت خاتماً؛ خاتم زفاف، عليه عبارة (من ر) وعليه تاريخ أيضاً، ثم علمت أن رالف باتون قد شوهد وهو يسير على الممر المؤدى إلى البيت الصيفى فى الساعة التاسعة وخمس وعشرين دقيقة وسمعت أيضاً عن حديث معين دار فى الغابة قرب القرية عصر ذلك اليوم ـ حديث بين رالف باتون وفتاة مجهولة، وهكذا فقد رتبت الوقائع التى أملكها بأسلوب منظم: زواج سرى، خطبة تعلن فى يوم الجريمة، مقابلة عاصفة فى الغابة، واللقاء الذى تم ترتيبه فى البيت الصيفى تلك الليلة.

وبالصدفة البحتة أثبت لى ذلك شيئاً واحداً، وهو أن رالف وأورسولا كانا يملكان

أقوى الدوافع لكى يريدا موت السيد أكرويد، إلى جانب أنه أوضح لى نقطة أخرى بطريقة غير متوقعة؛ وهى أن رالف باتون لا يمكن أن يكون هو الشخص الذى كان مع السيد أكرويد فى المكتب الساعة التاسعة والنصف.

وهكذا نأتى إلى جانب آخر مثير جداً من جوانب الجريمة. مَن الذى كان مع السيد أكرويد فى الغرفة الساعة التاسعة والنصف؟ ليس رالف باتون الذى كان فى البيت الصيفى مع زوجته، وليس تشارلز كنت الذى كان قد غادر قبل ذلك. إذن مَن يكون؟ وعندها طرحت على نفسى أذكى وأجرأ سؤال: هل كان معه أحد فعلاً؟".

مـــال بـوارو بجسـمه إلـى الأمـام وألقـى بكلماتـه الأخـيرة علينـا مزهـواً، ثـم أسـند ظـهره إلـى الـوراء بأسـلوب أشـبه مـا يكـون بشـخص سـدد لمنافسه ضربة قاضية.

لكن ريموند لم يبد متأثراً واعترض بهدوء.

"لا أعرف إن كنت تحاول جعلى كاذباً يا سيد بوارو، ولكن هذه المسألة لا تعتمد على شهادتى وحدها ـ إلا فيما يتعلق بالكلمات المحددة التى سمعتها فقط. تذّكر أن الميجور بلانت هو الآخر قد سمع السيد أكرويد يتحدث مع شخص. لقد كان على الشرفة الخارجية ولم يستطع تبين الكلمات لكنه سمع الأصوات بوضوح".

أومأ بوارو برأسه.

وقال بهدوء: "أنا لم أنس ذلك، ولكن الميجور بلانت كان تحت تأثير انطباع بأنك أنت الذى كان السيد أكرويد يحادثه".

بدا ريموند وقد فوجئ للحظة، ولكن سرعان ما عاد لهدوئه.

وقال: "بلانت يعرف الآن أنه كان مخطئاً".

وافقه بلانت قائلاً: "بالضبط".

قال بوارو: "ومع ذلك، لابد من وجود سبب أوحى له بذلك الانطباع". رفع بوارو يده معترضاً: "لا، لا... أعرف السبب الذى ستطرحه، لكنه لا يكفى. لابد أن نبحث عن سبب آخر. سأشرح الأمر بهذه الطريقة: لقد لفت انتباهى شىء واحد منذ بداية القضية؛ طبيعة تلك الكلمات التى سمعها السيد ريموند. وقد أدهشنى كثيراً أن أحداً لم يعلق عليها ولم يرَ فيها غرابة".

سكت لدقيقة ثم قرأ تلك الكلمات ببطء:

"....لقد تكررت طلبات النقود منى فى الفترة الأخيرة بحيث أخشى أن يكون من المستحيل الاستجابة لطلبك. ألا ترون فى هذه الكلمات أى شىء غريب؟".

قال ريموند: "لا أظن ذلك؛ فلطالما أملى علىّ رسائل كان يستخدم فيها نفس هذه

الكلمات تقريبًا".

صاح بوارو: "بالضبط؛ هذا ما أريد الوصول إليه. هل يستخدم رجل مثل هذه العبارة عندما يتحدث مع رجل آخر؟ من المستحيل أن يكون هذا جزءاً من محادثة حقيقية، والآن، ماذا لو افترضنا أنه كان يملى رسالة...".

قال ريموند ببطء: "أتعنى أنه كان يقرأ رسالة بصوت مرتفع؛ حتى لو كان هذا صحيحًا، فلابد أنه كان يقرؤها لشخص ما".

"لماذا؟ ليس لدينا أى دليل على وجود شخص آخر فى الغرفة. تذكر أنه لم يُسمع صوت آخر غير صوت السيد أكرويد".

"لا يمكن لرجل، بالتأكيد، أن يقرأ رسائل من هذا النوع بصوت مرتفع مع نفسه إلا إذا... إلا إذا كان مجنونًا".

قال بوارو بهدوء: "لقد نسيتم جميعًا شيئًا واحدًا... ذلك الغريب الذى زار البيت يوم الأربعاء السابق للجريمة".

حدّق إليه الجميع.

قال بوارو وهو يومئ متحمسًا: "نعم، يوم الأربعاء. إن ذلك الشاب لم يكن مهمًا بحد ذاته، لكن الشركة التى كان يمثلها أثارت اهتمامى كثيرًا".

قال ريموند مندهشًا: "شركة الدكتافون؟ فهمت الآن. دكتافون! هل هذا ما تظنه؟".

أومأ بوارو برأسه موافقًا.

وقال: "لقد وعد السيد أكرويد بشراء دكتافون كما تذكر، وقد أثار ذلك فضولى وحققت فى هذا الأمر مع الشركة المقصودة، وكان جوابهم أن السيد أكرويد قد اشترى فعلاً جهاز دكتافون من مندوبهم. لا أعرف لماذا أخفى عنك هذا الأمر".

تمتم ريموند: "لابد أنه أراد مفاجأتى به. لقد كان مولعًا بمفاجأة الناس، وربما اعتزم إخفاء الأمر عنى يومًا أو يومين. ربما كان يلعب به مثلما يتسلى طفل بلعبة جديدة. نعم، هذا تفسير مناسب. أنت على حق تمامًا... لا أحد يستخدم هذه الكلمات بالضبط فى الحديث العادى".

قال بوارو: "وهذا يوضح أيضًا لماذا ظن الميجور بلانت أنك أنت الذى كنت فى المكتب، فالكلمات التى سمعها كانت كلمات إملائية، ولذلك استنتج عقله الباطن أنك كنت معه. كان عقله الواعى مشغولاً بشىء مختلف تمامًا ــ الشبح الأبيض الذى لمحه. لقد ظن أنها الآنسة فلورا، ولكن الواقع أن ما رآه كان مريلة أورسولا البيضاء وهى تتسلل إلى البيت الصيفى".

أفاق ريموند من ذهوله.

وقال: "ومع ذلك فإن اكتشافك هذا، على ما فيه من ذكاء ما كنت لأفكر فى مثله، إلا أنه لا يغير من الواقع شيئًا؛ فهو يعنى أن السيد أكرويد كان على قيد الحياة فى الساعة التاسعة والنصف، طالما أنه يتكلم إلى الدكتافون. يبدو واضحًا أن تشارلز كنت كان قد رحل فى تلك الساعة، وبالنسبة لرالف باتون...".

تردد وهو ينظر إلى أورسولا.

صعدت الدماء إلى وجهها لكنها أجابت بثبات.

"لقد افترقنا، أنا ورالف، قبل العاشرة إلا الربع بقليل، ولم يقترب من البيت أبدًا، أنا واثقة من هذا. ولم يعتزم ذلك. كان آخر ما يمكن أن يفكر به مواجهة زوج أمه؛ فقد كان يخشى ذلك كثيرًا".

قال ريموند موضحًا: "إن كلامى هذا لا يعنى أبدًا أننى أشك فى قصتك. كنت واثقًا دائمًا من براءة الكابتن باتون، لكن على المرء أن يفكر فى المحكمة والأسئلة التى ستطرح. إنه فى وضع سيئ لا يحسد عليه، لكنه إذا ظهر...".

قاطعه بوارو.

"أهذه نصيحتك؟ أن يظهر نفسه؟".

"بالتأكيد، إذا كنت تعلم مكانه".

"أفهم من هذا أنك لا تصدق أننى أعرف مكانه، رغم أننى قلت لك قبل قليل إننى أعرف كل شىء؛ حقيقة المكالمة الهاتفية، وآثار الأقدام على عتبة النافذة، وأعرف عن مكان اختباء رالف باتون...".

قال بلانت بحدة: "أين هو؟".

أجابه بوارو مبتسمًا: "ليس بعيدًا كثيرًا عن هنا".

سألته: "فى كرانشستر؟".

التفت بوارو إلىّ.

"دائمًا تسألنى هذا. إن فكرة وجوده فى كرانشستر قد استحوذت عليك. لا، إنه ليس فى كرانشستر. إنه... هناك".

أشار بإصبعه بطريقة مسرحية، فالتفت الجميع برءوسهم إلى حيث أشار.

كان رالف باتون يقف عند مدخل الباب.

الفصل الرابع والعشرون

قصة رالف باتون

كم كانت لحظة غير مريحة لى على الإطلاق، وبصعوبة فهمت ما حدث بعدها، لكن تعالت صيحات المفاجأة! وعندما استعدت وعيى وأصبحت أستطيع إدراك ما يجرى، كان رالف باتون يقف بجانب زوجته ويدها بيده، وكان يبتسم لى عبر الغرفة.

كان بوارو أيضًا يبتسم وينظر تجاهى وهو يقول:

"ألم أخبركم، أكثر من مرة، أنه لا فائدة من إخفاء الأمور عن هيركيول بوارو لأنه سوف يكشفها بنفسه؟".

ثم التفت إلى الآخرين وأضاف:

"تذكرون أننا عقدنا جلسة صغيرة ذات يوم حول الطاولة... فقط نحن الستة، وقد اتهمت الخمسة الآخرين بإخفاء شىء عنى. أربعة منهم كشفوا أسرارهم، لكن الدكتور شيبارد لم يكشف سره. لكن كانت لدى شكوكى منذ البداية. لقد ذهب الدكتور شيبارد إلى فندق ثرى بورز تلك الليلة على أمل أن يجد رالف، ولكنه لم يجده هناك، لكنى قلت فى نفسى، ربما قابله فى الشارع وهو فى طريقه إلى البيت. لقد كان الدكتور شيبارد صديقًا للكابتن رالف باتون، وقد جاء من مكان الجريمة مباشرة. لابد أنه كان يعرف أن موقف رالف صعب جدًا،

وربما كان يعرف ذلك أكثر من عامة الناس".

قلت مكتئبًا: "نعم، وأظن أن من الأفضل أن أفضى بما فى قلبى الآن. لقد ذهبت لرؤية رالف عصر ذلك اليوم، وفى البداية رفض أن يكشف لى سره، لكنه أخبرنى، بعد ذلك، عن زواجه والورطة التى وقع فيها. وعندما تم اكتشاف الجريمة أدركت أنه بمجرد أن تعرف الحقائق فإن الشبهات سوف تحوم حول رالف، وإن لم تكن حوله هو فحول الفتاة التى يحبها. فى تلك الليلة وضعت الحقائق أمامه. إن فكرة اضطراره للإدلاء بشهادة يمكن لها أن تدين زوجته جعلته يقرر مهما كان الثمن أن... أن...".

ترددت فأكمل رالف العبارة عنى.

"أن يهرب. كما ترون، فعندما تركتنى أورسولا وقتها وعادت إلى البيت، فكرت أنها ربما حاولت مقابلة زوج أمى مرة أخرى. لقد سبق أن كان قاسيًا معها عصر ذلك

اليوم، وخطر لى أنه ربما أهانها بطريقة لا يمكن غفرانها، وأنها قامت من دون أن تدرى...".

سكت، فنزعت أورسولا يدها من يده وتراجعت إلى الوراء.

"هل فكرت فى ذلك يا رالف؟ هل فكرت بأننى قد أكون قتلته فعلاً؟".

قال بوارو بجفاء: "لنعد إلى تصرف الدكتور شيبارد الجدير باللوم. لقد وافق الدكتور شيبارد على أن يفعل ما بوسعه للمساعدة، وقد نجح فى إخفاء الكابتن باتون عن أعين الشرطة".

سأله ريموند: "أين؟ فى بيته؟".

قال بوارو: "آه، لا. كان عليك أن تسأل نفسك السؤال الذى سألته أنا. إن كان الدكتور سيخفى الشاب فأين يمكن أن يخفيه؟ لابد أن يكون مكانًا قريبًا، وهكذا فكرت فى كرانشستر. فندق؟ لا. غرفة مستأجرة؟ أيضًا لا. إذن أين؟ آه، لقد عرفتها... فى مصحة، مصحة للمعوقين عقليًا، واختبرت نظريتى هذه عن طريق اختراع قصة ابن أخ مجنون. سألت الآنسة كارولين عن المصحات المناسبة فأعطتنى اسم مصحتين فى كرانشستر كان أخوها يرسل مرضاه إليهما، وقمت بالتحقيق فوجدت أن فى إحداهما مريضًا أحضره الدكتور شيبارد بنفسه فى وقت مبكر من صباح يوم السبت، ورغم أن ذلك المريض كان يحمل اسمًا آخر إلا أننى لم أجد صعوبة فى معرفة أنه الكابتن

باتون، وبعد إنهاء بعض الإجراءات الرسمية سُمح لى بإخراجه، وقد وصل إلى بيتى فى ساعة مبكرة من صباح أمس".

نظرت إليه غاضبًا.

وتمتمت قائلاً: "خبير كارولين القادم من وزارة الداخلية! كيف لم أخمن هذا؟".

قال بوارو: "أترى الآن لماذا لفت نظرى التحفظ والتكتم الذى غلب على ما كتبته من سرد للأحداث. كان السرد صادقًا تمامًا فيما ذكرته، لكنه لم يذكر كل شىء. أليس كذلك يا صديقى؟".

كنت أكثر ارتباكًا من أن أجادله.

قال رالف: "لقد كان الدكتور شيبارد صديقًا وفيًا للغاية. لقد وقف بجانبى فى السراء والضراء وفعل ما ظنه الأفضل. لقد عرفت الآن ـ مما قاله السيد بوارو لى ـ أنه لم يكن حقًا التصرف الأفضل. كان يجب أن أظهر وأواجه الموقف الصعب، وكما تعلمون فإننا فى تلك المصحة لم نكن نقرأ أى صحيفة، فلم أكن أعلم شيئًا عمّا يجرى".

قال بوارو بجفاء: "لقد كان الدكتور شيبارد نموذجًا للتكتم، لكننى أستطيع كشف

كل الأسرار الصغيرة؛ إنها مهنتى".

قال ريموند وقد نفد صبره: "يمكننا الآن سماع قصتك حول ما حدث تلك الليلة".

قال رالف: "إنكم تعرفونها جيداً. لقد غادرت البيت الصيفى الساعة العاشرة إلا الربع تقريباً، وسرت فى الأزقة محاولاً تقرير ما يمكننى عمله بعد ذلك. يجب أن أعترف بأننى لا أملك أى دليل يثبت مكان وجودى وقت الجريمة، ولكننى أقسم لكم بأننى لم أذهب إلى المكتب أبداً وأننى لم أر زوج أمى لا حياً ولا ميتاً. ومهما قال الناس واعتقدوا، فإننى أريدكم جميعاً أن تصدقونى".

قال ريموند: "ليس لديك حجة غياب؟ هذا سيئ. إننى أصدقك بالطبع، لكنه... موقف سيئ".

قال بوارو مبتهجاً: "ومع ذلك فإن هذا يجعل الأمور بسيطة للغاية... بسيطة للغاية".

حدقنا إليه جميعاً.

فقال: "هل تفهمون قصدى؟ لا؟ الأمر بسيط؛ حتى ننقذ الكابتن باتون لابد أن يعترف المجرم الحقيقى".

ابتسم وهو ينقل نظراته بيننا جميعاً.

وقال: "نعم، أنا أعنى ما أقوله. ألا ترون أننى لم أدعُ المفتش راغلان للحضور، وذلك لسبب؛ وهو أننى لا أريد أن أخبره بكل ما أعرفه، لا أريد ذلك هذه الليلة على الأقل".

مال بجسده إلى الأمام، وفجأة تغيرت نبرة صوته وتبدلت شخصيته كلها، وأصبح فجأة رجلاً خطيراً.

"أنا الذى يتكلم معكم ــ وأنا أعرف أن قاتل السيد أكرويد موجود فى هذه الغرفة الآن، وأنا أوجه كلامى إليه: غداً سيعرف المفتش راغلان بالحقيقة. أتفهمنى؟".

ساد الغرفة صمت ثقيل، وخلال هذا الصمت جاءت الخادمة العجوز تحمل برقية على طبق فضى، فأخذها بوارو وفتحها.

ارتفع صوت بلانت عالياً ورنانًا.

"أتقول إن المجرم موجود بيننا؟ هل تعرف... من هو؟".

قرأ بوارو الرسالة، ثم طواها ووضعها فى يده.

وقال: "الآن... أصبحت أعرفه".

اعتصر بوارو الورقة بين أصابعه.

قال ريموند بحدة: "ما هذه؟".

"برقية... من باخرة فى طريقها الآن إلى الولايات المتحدة".

سكت الجميع، ونهض بوارو وهو ينحنى للحضور باحترام.

وقال: "أيها السيدات والسادة، لقد انتهى الآن هذا الاجتماع. تذكّروا ـــ سوف تصل الحقيقة إلى المفتش راغلان فى الصباح".

الفصل الخامس والعشرون

الحقيقة

أشار إلىّ بوارو، إشارة خفيفة، أن أبقى بعد رحيل الآخرين. أطعته وذهبت إلى الموقد وأخذت أحرك قطع الخشب فيه بمقدمة حذائى وأنا أتأمل.

كنت حائرًا، ولأول مرة كنت أجهل تمامًا معنى كلمات بوارو. فى بداية الأمر كنت أميل إلى الاعتقاد بأن المشهد الذى حضرته قبل قليل كان مشهداً ضخماً، وأنه كان يمثل مسرحيته ـ كما قال ـ بهدف إظهار نفسه بمظهر الشخص المهم والمثير للإعجاب، ولكنى اضطررت، رغماً عنى، لتصديق الحقيقة الكامنة خلف المشهد. لقد كان فى كلماته خطر حقيقى...كان فيها نوع من الصدق والإخلاص الذى لا شك فيه، ولكنى كنت لا أزال أصدق أنه يسير فى طريق خاطئ تماماً.

عندما أغلق الباب وراء آخر المغادرين جاء إلىّ حيث النار.

وقال بهدوء: "والآن يا صديقى، ما رأيك فى كل ما جرى؟".

قلت بصراحة: "لا أعرف بماذا أفكر. ماذا كان هدفك؟ لمَ لا تذهب إلى المفتش راغلان مباشرة وتقول له الحقيقة بدلاً من تحذير المجرم بهذا الوضوح؟".

جلس بوارو وأخرج علبة سجائره الرفيعة. أخذ يدخن لدقيقة أو اثنتين فى صمت ثم قال:

"استخدم خلايا دماغك الرمادية. يوجد، دائماً، سبب وراء تصرفاتى".

ترددت لحظة ثم قلت ببطء:

"إن أول ما يخطر ببالى هو أنك لا تعرف من هو الشخص المذنب، ولكنك واثق من أنه واحد من أفراد المجموعة التى حضرت الليلة، وقد أردت بكلماتك تلك إجبار القاتل المجهول على الاعتراف".

أومأ باستحسان.

وقال: "فكرة ذكية، لكنها ليست الحقيقة".

"أظن أنك ربما أردت أن تحمله على كشف نفسه إذا ما صدق أنك تعرف الحقيقة. ليس بالضرورة عن طريق الاعتراف؛ فقد يحاول إسكاتك كما أسكت السيد أكرويد من

قبل، قبل أن تتمكن من التصرف صباح الغد".

"أأنصب فخًا أكون أنا الطعم فيه! شكرًا يا صديقى، ولكننى لست بهذا القدر من البطولة".

"إذن فأنا لا أستطيع فهمك. لاشك أنك تخاطر بترك القاتل يهرب بإقدامك على تحذيره بهذا الشكل".

هز بوارو رأسه نفيًا.

وقال بجدية: "لن يستطيع الهرب. يوجد مهرب واحد له فقط، وهذا امهرب لا يوصل إلى الحرية".

سألته غير مصدق: "أحقًا تعتقد أن واحدًا من هؤلاء الناس الذين حضروا الليلة قد ارتكب الجريمة؟".

"نعم يا صديقى".

"من هو؟".

ساد الصمت لعدة دقائق، ثم ألقى بوارو بعقب سيجارته داخل النار وبدأ يتكلم بنبرة هادئة متأملة.

"سأصطحبك فى نفس الطريق الذى سلكته بنفسى. سترافقنى خطوة خطوة وترى بنفسك أن جميع الحقائق تشير إلى شخص واحد دون نقاش. أولاً، كانت أمامنا حقيقتان ثابتتان وبعض التناقض فى التوقيت، وهو ما جذب انتباهى على وجه الخصوص. الحقيقة الأولى هى المكالمة الهاتفية. لو أن رالف باتون هو القاتل فعلاً فإن المكالمة الهاتفية تصبح سخيفة لا معنى لها، لذلك قلت فى نفسى إن رالف باتون ليس هو القاتل.

ولقد أقنعت نفسى بأن المكالمة لا يمكن أن تكون قد أجريت من قبل شخص من أهل البيت، ومع ذلك كنت مقتنعًا بأن القاتل هو واحد ممن كانوا موجودين فى منزل الضحية ليلة الحادث، ولهذا توصلت إلى نتيجة تفيد بأن من أجرى المكالمة الهاتفية لابد أن يكون شريكًا فى الجريمة، ولم أكن مرتاحًا تمامًا لهذه النتيجة، لكنى احتفظت بها لبعض الوقت.

ثم درست الدافع من وراء المكالمة، وكان ذلك صعبًا لا يمكننى الوصول إليه إلا من خلال الحكم على نتيجته؛ تلك النتيجة التى كانت اكتشاف الجريمة تلك الليلة بدلاً من بقائها، على الأرجح، حتى صباح اليوم التالى. هل توافقنى على ذلك؟".

قلت: "ن... نعم، نعم، كما تقول؛ لقد أعطى السيد أكرويد تعليمات بألا يزعجه أحد، ولذلك لم يكن من المحتمل أن يدخل أحد حجرة المكتب فى تلك الليلة".

"جيد؛ إن المسألة تتقدم، أليس كذلك؟ ولكن الأمور بقيت غامضة بعد ذلك. ما الفائدة من اكتشاف الجريمة فى تلك الليلة بدلاً من صباح اليوم التالى؟ الفكرة الوحيدة التى خطرت لى هى أن القاتل ـ عندما يعرف أن الجريمة ستكتشف فى وقت محدد ـ سيكون واثقًا من أنه سيكون حاضرًا عندما يتم كسر الباب، أو بعد كسره مباشرة فى كل الأحوال، والآن نأتى إلى الحقيقة الثانية؛ وهى الكرسى الذى أزيح عن الحائط. لم يعط المفتش راغلان هذا الأمر أية أهمية، أما أنا فعلى العكس، لقد اعتبرته، دائمًا، عملاً بالغ الأهمية.

"فى مذكراتك التى كتبتها رسمت مخططًا صغيرًا ودقيقًا للمكتب، ولو كان معك الآن لرأيت أن الكرسى ـ عندما يُسحَب بالاتجاه الذى أشار باركر إليه ـ سوف يقف حائلاً فى الخط المباشر بين باب الغرفة والنافذة".

قلت بسرعة: "النافذة!".

"أنت أيضًا خطرت لك فكرتى الأولى. تصورت أن الكرسى قد تم سحبه بحيث لا يستطيع من يدخل من الباب أن يلاحظ شيئًا متصلاً بالنافذة. لكنى سرعان ما تخليت عن هذا الافتراض؛ إذ إن الكرسى، رغم مسنده العالى، لم يكن يغطى من النافذة إلا القليل؛ لم يكن يغطى إلا الجزء الواقع بين حافة النافذة السفلية وبين الأرض. كلا يا صديقى، لكن تذكر أنه كانت أمام النافذة مباشرة طاولة عليها كتب ومجلات. تلك الطاولة، بالذات، كانت مخفية تمامًا خلف الكرسى المسحوب، وعلى الفور راودنى أول شك.

بافتراض وجود شىء على الطاولة لا يُراد له أن يُرى... شىء وضعه القاتل هناك. كنت، حتى ذلك الوقت، لا أعرف ما ذلك الشىء، لكنى عرفت بعض الحقائق المثيرة جدًا عنه. على سبيل المثال، كان شيئًا لم يكن القاتل قادرًا على أخذه معه عندما ارتكب جريمته، وفى نفس الوقت كان من الضرورى جدًا إزالته من مكانه فى أسرع وقت ممكن بعد اكتشاف الجريمة، وهكذا... كانت المكالمة الهاتفية لإعطاء القاتل فرصة الوجود فى مسرح الجريمة عند اكتشاف الجثة.

والآن، كان فى مسرح الجريمة، قبل وصول الشرطة، أربعة أشخاص؛ أنت وباركر والميجور بلانت والسيد ريموند. استبعدت باركر على الفور لأنه الشخص الوحيد الذى سيكون موجودًا فى مسرح الجريمة أيًا كان وقت اكتشافها، كما أنه هو الذى أخبرنى عن الكرسى المسحوب. إذن فقد تمت تبرئة باركر ـ من جريمة القتل؛ إذ كنت لا أزال أرى وقتها أنه ربما كان هو الذى كان يبتز السيدة فيرارز. على أية حال، ظل ريموند وبلانت تحت الشبهات مادام من الممكن، إذا اكتُشِفت الجثة فى ساعات الصباح الأولى من اليوم التالى، ألا يستطيعا الوصول إلى مشهد الجَريمة إلا فى وقت متأخر لا يسمح لهما بمنع اكتشاف ذلك الشىء على الطاولة المستديرة.

والآن، ماذا كان ذلك الشىء؟ لقد سمعت كلامى فى هذه الليلة بخصوص الحديث الذى سمع من خارج المكتب، بمجرد أن علمت أن مندوب شركة الدكتافون قد زار

المنزل تبلورت فكرة الدكتافون فى رأسى. هل سمعت ما قلته فى هذه الغرفة قبل نصف ساعة فقط؟ لقد وافقونى جميعًا على نظريتى، ولكن فاتتهم، كما يبدو، حقيقة واحدة مهمة: لو سلمنا أن السيد أكرويد قد استخدم الدكتافون تلك الليلة... فلماذا لم يتم العثور على أى دكتافون؟".

قلت: "لم أفكر فى هذا أبدًا".

"نحن نعرف أن السيد أكرويد قد اشترى دكتافونًا، لكننا لم نعثر عليه بين حاجياته، لذلك إذا تم أخذ شىء من فوق الطاولة فلماذا لا يكون هذا الشىء هو الدكتافون؟ ولكن ظهرت صعوبات معينة فى الطريق. لقد كان انتباه الجميع مركزًا على القتيل بالطبع، وأظن أنه كان بوسع أى امرئ الذهاب إلى الطاولة دون أن يلحظه أى من الآخرين فى الغرفة، لكن الدكتافون كبير الحجم ولا يمكن أن يُدس فى الجيب بسرعة... لابد من وجود كيس أو شىء لإخفائه فيه.

هل ترى إلى أين أصل؟ إن شخصية القاتل تتضح وتأخذ شكلها. شخص كان فى مسرح الجريمة مباشرة ولكنه قد لا يكون موجودًا لو تم اكتشاف الجثة صباح اليوم التالى... شخص يحمل إناء أو حاوية يمكن لها أن تسع الدكتافون...".

قاطعت كلامه قائلاً:

"ولكن لماذا يؤخذ الدكتافون؟ ما الهدف من ذلك؟".

"أنت تشبه السيد ريموند. إنك تسلم، جدلاً، بأن ما سمعه الساعة التاسعة والنصف كان صوت السيد أكرويد وهو يخاطب الدكتافون، ولكن فكّر فى هذا الاختراع المفيد قليلاً؛ أنت تملى رسالتك عليه، أليس كذلك؟ وفى وقت ما لاحقًا يأتى السكرتير أو الكاتب ويديره فيتكلم الصوت ثانية".

قلت لاهثًا: "تقصد...؟".

أومأ بوارو برأسه.

"نعم؛ هذا ما قصدته. فى الساعة التاسعة والنصف كان السيد أكرويد ميتًا أساسًا. الدكتافون هو الذى كان يتحدث... وليس الرجل!".

"وقد قام القاتل بتشغيله. إذن لابد أنه كان موجودًا فى الغرفة فى ذلك الوقت".

"من المحتمل، لكننا يجب ألا نستبعد احتمال استخدام آلة ما... آلة للتوقيت مثلاً، شىء يشبه ساعة منبه. ولكن، فى هذه الحالة، يجب أن نضيف صفتين لصورة القاتل الذى نتخيله. لابد أن يكون شخصًا كان يعرف بشراء السيد أكرويد للدكتافون، وأيضًا شخصًا يملك الخبرة الضرورية بالآلات.

كنت قد وصلت إلى هذا الحد فى عقلى عندما وصلنا إلى موضوع آثار الأقدام على

حافة النافذة، وهنا كانت أمامى ثلاثة استنتاجات: (1) ربما كانت فعلاً آثار قدمى رالف باتون؛ فقد كان موجوداً فى فيرنلى فى تلك الليلة وربما تسلق ودخل المكتب فوجد عمه مقتولاً هناك، كانت تلك أول فرضية. (2) كان هناك احتمال أن تكون آثار الأقدام لشخص آخر يلبس حذاء له نفس نوعية النعل، ولكن لسكان البيت أحذية ذات نعل من المطاط، ولم أر إمكانية وجود شخص آخر من خارج البيت تصادف أنه كان يلبس حذاءً يشبه حذاء رالف باتون، وكما عرفنا من نادلة الحانة، فإن تشارلز كنت كان يلبس حذاءً ذا رقبة، أو على حد تعبيرها، حذاءً باليًا. (3) تلك الآثار من فعل شخص حاول إلقاء الشبهة عامداً على رالف باتون، ومن أجل التأكد من هذا الاستنتاج الأخير كان لزاماً علىّ التأكد من حقائق معينة.

لقد حصلت الشرطة على زوج من الأحذية الخاصة برالف باتون من الفندق الذى يسكن فيه، ولم يلبسهما رالف ولا أى شخص آخر فى تلك الليلة لأنهما كانا فى محل التنظيف، ووفقاً لنظرية الشرطة كان رالف يلبس زوجاً آخر من الأحذية من نفس النوعية، وقد وجدت أن ذلك كان صحيحاً لأنه كان يملك زوجين من تلك الأحذية، وهكذا كان من الضرورى ـ إذا ما أردت إثبات نظريتى ـ أن يلبس القاتل حذاء رالف تلك الليلة... وفى هذه الحالة فإن رالف كان يلبس زوجاً ثالثاً من الأحذية أياً كان نوعه، ولم يكن بالإمكان افتراض وجود ثلاثة أزواج من الأحذية عنده، بل كان الأرجح أن يكون الزوج الثالث حذاءً أسود طويل الرقبة وليس حذاءً عادياً، ولذا طلبت من أختك القيام ببعض التحريات عن هذه النقطة.... مشدداً على مسألة اللون؛ لأننى كنت أريد، بصراحة، أن أغطى على السبب الحقيقى لسؤالى.

وأنت تعرف نتيجة تحقيقاتها؛ فقد كان رالف باتون يلبس حذاء أسود طويل الرقبة بالفعل. كان أول سؤال سألته إياه عندما جاء إلى بيتى صباح الأمس عما كان يلبسه فى قدميه ليلة الجريمة، وردّ على الفور بأنه كان يلبس حذاءً طويل الرقبة ـــ بل إنه كان مستمراً فى لبسه فى الحقيقة ـــ لعدم وجود ما يلبسه غيره.

وهكذا نتقدم خطوة أخرى فى وصفنا للقاتل: شخص كانت لديه فرصة لأخذ ذلك الحذاء الخاص برالف باتون من فندق ثرى بورز".

سكت، ثم قال وقد ارتفع صوته قليلاً:

"هناك نقطة أخرى، لابد أن القاتل شخص سنحت له فرصة ليسرق ذلك الخنجر من طاولة الفضيات. قد تقول إن بوسع أى شخص فى البـــيت أن يســـرقه، لكنـــى ســـأذكّرك بـــأن فلـــورا أكروي ـــد كـــانت متأكـــدة مـــن أن الخنجـــر لـم يكـن فـى مكانـه عنـدما ألقـت نظـرة علـى طاولـة

الفضيات".

سكت مرة أخرى.

ثم قال: "دعنا نوجز الأمر بعد أن أصبح كل شيء واضحاً؛ شخص كان فى الفندق فى وقت مبكر ذلك اليوم، شخص كان يعرف أكرويد معرفـــة جيـــدة تكفـــى لأن يعـرف أنـه اشـترى جـهاز الـدكتافون، شـخص يملـك عقليـة تقنيـة، وشـخص لـه فرصـة لأخـذ الخنجـر مـن طاولـة الفضيات قبل وصول الآنسة فلورا، وشخص كان يحمل معه شيئًا يستطيع فيه إخفاء الدكتافون... كحقيبة سوداء مثلاً، وشخص بقى فى المكتب وحده بضع دقائق بعد اكتشاف الجريمة، بينما كان باركر يطلب الشرطة عبر الهاتف، إنه فى الواقع... الدكتور شيبارد!".

الفصل السادس والعشرون

... ولا شىء سوى الحقيقة

ساد صمت مطبق لدقيقة ونصف.

ثم ضحكت.

وقلت: "أنت مجنون!".

ردّ بوارو بهدوء: "لا؛ لست مجنونًا. إن ما لفت انتباهى إليك منذ البداية هو وجود تعارض فى التوقيت".

سألته متحيرًا: "تعارض فى التوقيت؟".

"نعم؛ تذكر أن الجميع اتفقوا ـ بمن فيهم أنت ـ على أن المسافة بين الكوخ الخارجى عند البوابة وبين البيت تستغرق خمس دقائق سيرًا على الأقدام، وأقل من ذلك إذا سرت فى الطريق المختصر إلى الشرفة، لكنك غادرت البيت فى التاسعة إلا عشر دقائق بشهادتك أنت وبشهادة باركر أيضًا، ومع ذلك كانت الساعة التاسعة تمامًا عندما خرجت من البوابة المجاورة للكوخ. كانت ليلة شديدة البرودة ولا يمكن للمرء أن يرغب فى التسكع فيها، فلماذا، إذن، استغرقت عشر دقائق فى مسافة لا تحتاج أكثر من خمس دقائق؟ ولقد أدركت، منذ البداية، أننا لا نملك دليلاً على أن نافذة المكتب كانت مغلقة من الداخل سوى أقوالك أنت؛ فقد سألك أكرويد إن كنت قد أغلقتها لكنه لم ينظر ليرى إن كانت مغلقة فعلاً أم لا. إذن لنفترض أن نافذة المكتب لم تكن مغلقة! إن تلك الدقائق العشر تكفى لأن تدور وراء البيت وتبـدل حـذاءك وتـدخل المكتـب مـن النافـذة وتقتـل أكرويـد ثـم تعـود وتخـرج مـن البوابـة الخارجيـة السـاعة التاسـعة، وقـد رفضـت هـذه النظرية لأن كل الاحتمالات تشير إلى أن رجلاً فى عصبية أكرويد تلك الليلة كان سيسمعك وأنت تتسلل، وكان من شأن ذلك أن يُحدث شجارًا، ولكن لنفترض أنك قتلت أكرويد قبل أن تغادر... بينما كنت تقف بجانب كرسيه، ثم خرجت من باب البيت واستدرت حوله إلى البيت الصيفى، وهناك أخرجت حذاء رالف باتون من الحقيبة ـ التى أحضرتها معك تلك الليلة ـ ولبسته وخطوت على الوحل لتترك آثار الأقدام على حافة النافذة، ثم دخلت وأغلقت باب المكتب من الداخل بالمفتاح، ثم عدت بسرعة إلى البيت الصيفى وبدلت الحذاء بحذائك ثم أسرعت إلى البوابة. (لقد قمتُ بنفس الأعمال بالأمس عندما كنت أنت مع السيدة

أكرويد... فاستغرقت منى عشر دقائق بالضبط). بعد ذلك عدت إلى البيت بعدما أعددت حجة غيابك عن مكان الجريمة، وذلك بضبط الدكتافون ليعمل عند الساعة التاسعة والنصف".

قلت بصوت بدا غريبًا حتى على أذنى: "يا عزيزى بوارو، يبدو أنك أطلت التفكير بهذه القضية، ماذا عساى أن أكسب من قتل أكرويد؟".

"الأمان؛ فقد كنت أنت من يبتز السيدة فيرارز. من يمكن أن يعرف سبب وفاة السيد فيرارز أكثر من الطبيب الذى كان يعالجه؟ عندما تكلمت معى أول مرة فى الحديقة ذلك اليوم ذكرت لى أنك حصلت على تركة قبل سنة تقريبًا. لم أستطع اكتشاف أى أثر لوجود تركة فعلاً! لقد كان عليك أن تخترع طريقة ما لكى تبرر حصولك على مبلغ العشرين ألف جنيه التى أخذتها من السيدة فيرارز، ولكن ذلك المال لم ينفعك كثيراً، فقد خسرت معظمه فى البورصة، ثم شددت من ضغطك على السيدة فيرارز ففضلت الموت بطريقة لم تتوقعها أنت. لو أن أكرويد علم بالحقيقة، لم يكن ليرحمك، كنت ستتحطم إلى الأبد".

سألته محاولاً استجماع قواى: "والمكالمة الهاتفية؟ أظن أن لديك تفسيراً مقبولاً لها أيضًا؟".

"سأعترف لك بأنها كانت أكبر عقبة أمامى عندما اكتشفت أن مكالمة قد أجريت معك فعلاً من محطة كينج أبوت. فى البداية اعتقدت أنك اخترعت هذه القصة. كانت حركة ذكية جداً منك؛ فلابد لك من عذر للعودة إلى فيرنلى والكشف عن الجثة، ومن ثَم الحصول على فرصة لإبعاد الدكتافون الذى يتوقف عليه دليل غيابك عن مسرح الجريمة. كانت لدىّ فكرة مبهمة جداً عن كيفية النجاح فى ذلك عندما جئتُ لزيارة أختك لأول مرة لكى أسألها عن المرضى الذين جاءوا لعيادتك صباح الجمعة. لم أكن أفكر فى الآنسة راسل فى ذلك الوقت، وكانت زيارتها لعيادتك من قبيل الصدفة الحسنة لأنها أبعدت تفكيرك عن الهدف الحقيقى وراء أسئلتى، ولقد وجدت ما كنت أبحث عنه؛ فكان من بين مرضاك ذلك الصباح مضيف بحرى على باخرة أمريكية. من سيكون مناسبًا لتلك المهمة أكثر من مضيف بحرى سيغادر إلى ليفربول فى قطار تلك الليلة وبعدها سيرحل بحراً إلى الطرف الآخر من المحيط، بعيداً عن طريقك إلى الأبد، ولقد لاحظت أن الباخرة أورايون قد أبحرت يوم السبت، وعندما حصلت على اسم المضيف بعثت له برقية لاسلكية أسأله بعض الأسئلة، وهذا هو رد البرقية الذى رأيتنى تسلمته قبل قليل على مرأى من الجميع".

قدّم لى البرقية، وكانت تقول:

"ما سألتنى عنه صحيح تماماً؛ لقد طلب منى الدكتور شيبارد أن أترك رسالة فى بيت أحد المرضى، وطلب منى الاتصال به من المحطة لإبلاغه بالجواب، وأجبته قائلاً: "ليس هناك رد".

قال بوارو: "كانت فكرة ذكية، كانت المكالمة حقيقية. أختك رأتك وأنت ترد عليها، ولكن ما قيل حقًا فى تلك المكالمة لا يعتمد سوى على قول شخص واحد هو أنت".

تثاءبت متكاسلاً.

وقلت: "كل هذا مثير جداً... ولكنه لا يكاد يدخل فى باب الواقعية".

"أهكذا تظن؟ تذكر ما قلته... سوف أبلغ المفتش راغلان بالحقيقة صباح الغد، ولكن من أجل أختك الطيبة أريد أن أعطيك فرصة أخرى لمخرج آخر. قد يكون الحل، على سبيل المثال، فى جرعة زائدة من الحبوب المنومة. هل تفهمنى؟ ولكن يجب تبرئة الكابتن رالف باتون... هذا أمر مفروغ منه. أقترح عليك إنهاء تلك الرواية الممتعة التى تكتبها، مع التخلى عن تحفظك السابق".

قلت: "يبدو أنك كثير الاقتراحات. هل أنت واثق تماماً أنك قد انتهيت؟".

"أما وقد ذكرتنى بالحقيقة، فصحيح أنه بقى شىء واحد آخر. سيكون من غير الحكمة أن تحاول إسكاتى كما فعلت مع السيد أكرويد؛ فهذا النوع من الأعمال لا ينجح مع هيركيول بوارو. هل تفهم؟".

قلت مبتسماً: "يا عزيزى بوارو، قد أكون أى شىء لكننى لست مغفلاً".

نهضت واقفًا على قدمى.

وقلت متثائبًا: "حسنًا، لابد أن أذهب إلى البيت. أشكرك على تلك الليلة بالغة المتعة كثيرة المعلومات".

نهض بوارو أيضًا، وانحنى لى بأدبه المعتاد وأنا أخرج من الغرفة!

الفصل السابع والعشرون

دفاع

تشير الساعة الآن إلى الخامسة صباحًا. أنا متعب جدًا، ولكنى أنهيت مهمتى.

ذراعى تؤلمنى من الكتابة.

يا لها من نهاية غريبة لروايتى! كنت أريدها أن تنشر يومًا ما كشاهد على إحدى إخفاقات بوارو! غريب كيف تنقلب الأمور.

منذ البداية كنت أشعر بقرب حدوث كارثة، من تلك اللحظة التى رأيت فيها رالف باتون والسيدة فيرارز وهما يتهامسان معًا. اعتقدت أنها كانت تسر له بشىء وقتها، ولكن تبين أننى كنت مخطئًا تمامًا فى هذا، لكن هذه الفكرة ظلت راسخة حتى بعد أن دخلت المكتب مع أكرويد فى تلك الليلة؛ حتى أخبرنى بالحقيقة.

مسكين أيها العجوز أكرويد. أنا سعيد لأننى أعطيته فرصة؛ فلقد ألححت عليه أن يقرأ تلك الرسالة قبل فوات الأوان. أو دعونى أكن أكثر صدقًا... كنت أدرك فى داخلى أن أفضل طريقة أجعل بها رجلاً عنيداً مثله لا يقرأ الرسالة هى أن ألح عليه بقراءتها. كانت عصبيته فى تلك الليلة مثيرة من الناحية السيكولوجية. كان يعلم أن الخطر قريب محدق به، ولكنه مع ذلك لم يشُكّ فىّ أنا.

جاءت فكرة الخنجر لاحقًا. كنت قد أحضرت معى سلاحًا صغيراً خاصًا بى لكن عندما رأيت الخنجر فى طاولة الفضيات خطر لى، فوراً، كم سيكون من الأفضل استخدام سلاح لا يستطيع المحققون تتبع أثره إلىّ.

لاشك أننى أردت قتله منذ البداية. عندما سمعت عن وفاة فيرارز صرت مقتنعًا بأنها أخبرته بكل شىء قبل وفاتها، وعندما قابلته وبدا منفعلاً جدًا ظننت أنه عرف الحقيقة لكنه لا يريد حمل نفسه على تصديقها وأنه سيعطينى فرصة لتكذيبها.

لذلك ذهبت إلى البيت وأخذت احتياطاتى، فإذا ظهر أن المشكلة لها علاقة برالف فقط لن يحدث أى مكروه. كان قد أعطانى جهاز الدكتافون قبل يومين لضبطه؛ كان فيه مشكلة ما وأقنعته بأن يعطيه لى لكى أصلحه بدلاً من إعادته إلى الشركة، وفعلت ما كنت أريد وأخذته معى فى الحقيبة فى تلك الليلة.

إننى راض عن نفسى ككاتب، ماذا يمكن أن يكون أكثر دقة من العبارة الآتية على

سبيل المثال:

كانت الرسالة قد وصلت فى الساعة التاسعة إلا الثلث، وعندما غادرته كانت الساعة التاسعة إلا عشر دقائق، ومازالت الرسالة لم تُقرأ.

ترددت ويدى ممسكة بمقبض الباب وأنا أنظر إلى الوراء متسائلاً إن كان ثمة شىء لم أفعله.

كل شىء صحيح كما ترون... ولكن افترضوا أننى كتبت مجموعة من النقاط الخالية بعد الجملة الأولى، هل كان أحد سيتساءل عما حدث بالضبط خلال تلك الدقائق العشر الماضية؟

عندما نظرت إلى الغرفة ـ وأنا واقف عند الباب ـ كنت راضيًا تمامًا. لم أترك شيئًا إلا وفعلته. كان الدكتافون على الطاولة قريبًا من النافذة وقد ضبطت توقيته لكى يعمل فى التاسعة والنصف تمامًا (كانت آلية ذلك الجهاز ذكية جدًا... تعتمد على مبدأ ساعة التنبيه) وكان الكرسى العالى مسحوبًا إلى الوراء حتى يغطيه عن الباب.

لابد أن أعترف بأننى صُدمت عندما كدت أصطدم بباركر خارج الباب تمامًا، وقد سجلت تلك الواقعة بصدق.

وبعد ذلك، عندما تم اكتشاف الجثة وأرسلت باركر ليتصل بالشرطة، انظروا للاستخدام الجميل للكلمات: قمت بالقليل مما يجب علىّ فعله. كان ذلك قليلاً بالفعل، فما كان علىّ سوى أن أضع الدكتافون فى حقيبتى وأدفع الكرسى إلى الحائط حيث مكانه الصحيح. ما كنت أحلم أبدًا أن باركر سيلحظ ذلك الكرسى؛ فمن الناحية المنطقية كان يجب أن يكون مضطربًا ومشغولاً فى أمر الجثة بحيث لا يرى أى شىء آخر، لكنى لم أحسب حسابًا لعقدة الخادم المدرب.

كنت أتمنى لو عرفت مسبقًا أن فلورا ستقول إنها رأت عمها على قيد الحياة الساعة العاشرة إلا الربع... لقد حيرنى ذلك أكثر مما يمكننى وصفه. الواقع أن أمورًا كثيرة حيرتنى فى هذه القضية؛ فقد بدا أن لكل امرئ يدًا فيها.

كان خوفى الأكبر طوال الوقت هو كارولين. تصورت أنها قد تخمن الحقيقة. كانت غريبة تلك الطريقة التى تكلمت فيها ذلك اليوم عن "ضعفى الداخلى".

حسنًا، إنها لن تعلم بالحقيقة أبدًا؛ إذ يوجد ـ كما قال بوارو ـ مخرج واحد!

أستطيع أن أثق فيه، وسوف يحل هذه المسألة مع المفتش راغلان. لا أريد لكارولين أن تعرف؛ فهى تحبنى كثيرًا، كما أنها ذات كبرياء أيضًا. سيسبب موتى لها الحزن، لكن الحزن يمر وينتهى.

عندما أنتهى من الكتابة، سوف أضع هذه المذكرات فى مظروف وأرسلها إلى عنوان بوارو.

وبعدها... ماذا؟ حبوب الفيرونال؟ سيتحقق نوع من العدالة الشاعرية، وهذا لا يعنى أننى أعتبر نفسى مسئولاً عن وفاة السيدة فيرارز؛ فقد كانت وفاتها نتيجة مباشرة لأعمالها. لا أشعر بالأسف عليها.

كما أننى لا أشعر بالأسف على نفسى.

إذن لتكن حبوب الفيرونال.

لكنى أتمنى لو أن هيركيول بوارو لم يتقاعد أبداً من عمله، ولم يأتِ إلى هنا لكى يزرع القرع!

جدول المحتويات

الفصل الأول الدكتور شيبارد على مائدة الإفطار
الفصل الثانى مشاهير كينج أبوت
الفصل الثالث الرجل الذي يزرع الخضراوات
الفصل الرابع عشاء فى فيرنلى بارك
الفصل الخامس جريمة قتل
الفصل السادس الخنجر التونسى
الفصل السابع عرفت مهنة جارى
الفصل الثامن المفتش راغلان واثق
الفصل التاسع بركة السمك الذهبى
الفصل العاشر خادمة الاستقبال
الفصل الحادى عشر بوارو يقوم بزيارة
الفصل الثانى عشر حول المائدة
الفصل الثالث عشر ريشة الإوزة
الفصل الرابع عشر السيدة أكرويد
الفصل الخامس عشر جيفرى ريموند
الفصل السادس عشر سهرة لعبة الماجونج
الفصل السابع عشر باركر
الفصل الثامن عشر تشارلز كنت
الفصل التاسع عشر فلورا أكرويد
الفصل العشرون الآنسة راسل
الفصل الحادى والعشرون الخبر يظهر فى الصحف
الفصل الثانى والعشرون قصة أورسولا
الفصل الثالث والعشرون اجتماع بوارو الصغير
الفصل الرابع والعشرون قصة رالف باتون
الفصل الخامس والعشرون الحقيقة
الفصل السادس والعشرون ... ولا شىء سوى الحقيقة
الفصل السابع والعشرون دفاع